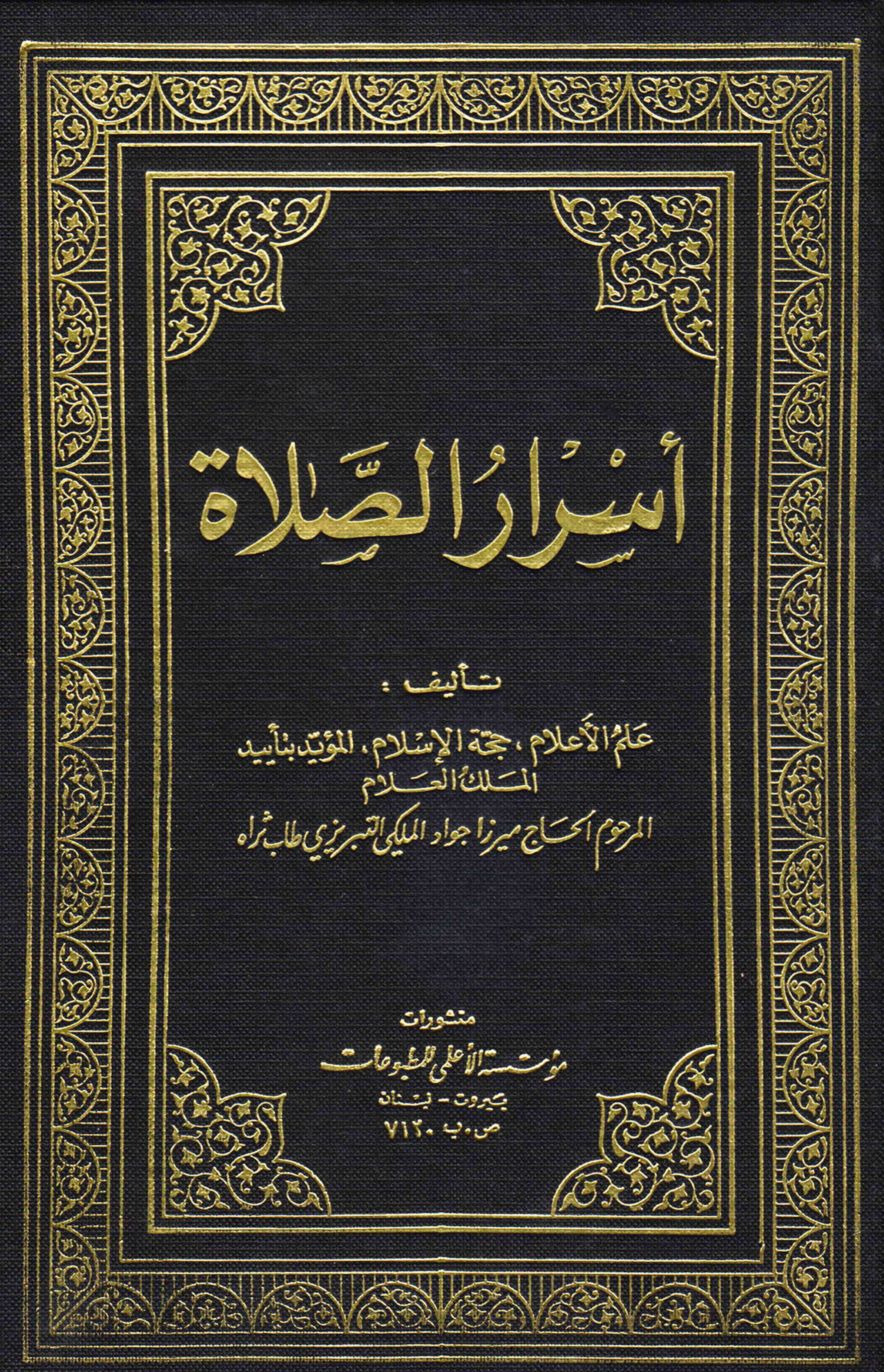

أسرار الصلاة
تأليف :
علم الأعلام، حجة الإسلام، المؤيد بتأييد
الملك العلام
المرحوم الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي طاب ثراه
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

أسرار الصلاة



أسرار الصلاة

تـأليف :

علم الأعلام، حجة الإسلام، المؤيد بتأييد
الملك العلام
المرحوم الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

المؤلف في سطور

هو الشيخ الميرزا جواد آقا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم عالم فقيه واخلاقي فاضل ورع ثقة كان في النجف الاشرف اشتغل فيها على اعلام الدين فقد اخذ مراتب السّلوك عن الاخلاقي الشهير (المولى حسينقلى الهمداني) واكمل نفسه عليه وتتلمذ في الفقه والاصول على العلّامة الشيخ آقا رضا الهمداني وغيره من العلماء وعاد الى ايران سنة ١٣٢٠ فاستوطن دار الايمان (قم) وقام بوظائف الشرع وكان مروّجاً للدّين مربّياً للمؤمنين الى ان توفّى يوم عيد الاضحى سنة (١٣٤٣) ورثاه تلميذه الشيخ اسماعيل بن الحسين المتخلّص (بتائب) بقصيدة ارّخ في آخرها عام وفاته وسمّاها بـ (القصيدة الجوادية) .

وله تصانيف منها كتاب اسرار الصلاة طبع (١٣٣٩) على الحجر وطبع ثانياً بالحروف (١٣٨١) وهو هذا الكتاب .

وله ايضاً كتاب السير الى الله المطبوع قريباً من هذه السنة في عاصمة ايران (طهران) .

وكتاب (اعمال السنة) لم يطبع بعد ونرجو المولى سبحانه ان يوفّقنا لطبعه ونشره .

وأمّا استاذه قدس سرّه فهو الشيخ المولى حسينقلي بن رمضان الشوندى الدّرجزيني الهمداني النجفي من اعاظم العلماء واكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الاخلاق في عصره تتلمذ على الشيخ المرتضى الانصاري في الفقه والاصول وعلى حاج المولى هادي السبزواري في العلوم العقلية وعلى رجل التقوى والمعرفة السيد علي التستري قدس سرّه في التهذيب والاخلاق وفاق فيه اعلام الفن وشملته العناية الربّانية فعرج به الى اعلى مقامات الانسانيّة وكان رضوان الله عليه من ذراري الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري رحمه الله ومن اراد تفصيل ترجمته فليراجع « اعلام الشيعة الجزء الثاني من المجلد الاول ص ٦٧٤ طبع النجف الاشرف » .

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذكر بعض اسرار الطهارة

أعلم انّ الطّهارة لمّا كانت من مفاتيح [1] الصّلاة كما هو صريح بعض الروايات فقدمنا الكلام في بعض ما فيها من الاسرار وفي ذلك أبواب وفصول :

(١) كما في الوسائل باب الوضوء عن الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : افتتاح الصلوة الوضوء «الخ» وكذا عن الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .



﴿ الباب ١ ﴾

في الاشارة الى ما يلزم على العاقل من التفكر

في هذا الحكم اجمالاً وهو ان يتفكّر في حقيقتها وثمراتها وإذا عرف انّ السّعادة ظاهراً وباطناً في النّظافة ، وتفكّر فيما ورد فيها من الآيات القرآنيّة لا سيّما قوله تعالى ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم** ﴾ ، ويضمّ على ذلك قوله تعالى[1] : ﴿ **والله يحبّ المتطهّرين** ﴾، ويعقل معنى حبّ الله ، وانّه أو ثمرته كشف الحجب عن قلب العبد ، فيلقى به كلّ نور ، وسعادة ، ثمّ في قوله[2] ﴿ **الطّهور نصف الايمان** ﴾ ، فيستشعر من ذلك انّ المراد من الطّهور إنّما هو التخلّي ، والتنظيف من موجبات الاكدار ، والقذارات عن الظّاهر والباطن ، ويكون النّصف الآخر من الايمان عبارة عن التحلّي ، والتزيّن بالفواصل ، والفضايل في الظّاهر ، والباطن ، مثلا طهارة البدن بالوضوء ، واجتناب المعاصي وحليته بالعطر والاعمال الصّالحة ، وطهارة القلب بتزكيته عن الاخلاق الرذيلة ، وحليته بالتخلّق بالاخلاق الحسنة ، وطهارة السر بنسيان ما سوى الله ، وحليته بذكر الله ، وبعبارة اخرى نفي

---

(١) التوبة : الآية ١٠٨

(٢) وسائل الشيعة باب الوضوء عن ابي عبد السلام قال : الوضوء شطر الايمان .

الموهوم . وصحو المعلوم ، وكشف سبحات الجمال .

فان قلت: الطّهارة[1] تطلق في عرف الفقهاء بالتنظيف عن الاخباث ، والاحداث ، فمن اين يستشعر انّ المراد منها هذا المعنى العام .

قلت : يستشعر ذلك من النقل والعقل : امّا النّقل فيكفيك قوله تعالى في سورة والشمس بعد تلك الاقسام العظيمة : ﴿ **قد أفلح من زكّيها ، وقد خاب من دسّيها** ﴾ وهذا التأكيد العظيم ، إنّما يدلّ على انّ الأمر في طهارة القلب اهمّ بمراتب عن طهارة البدن ، والمناسب من الطهارة بكونها نصف الايمان هو الاهم ، وسيأتي في أخبار الباب ما يدلّ على ذلك صريحاً وأمّا العقل فانت إذا تأمّلت في لطفه تعالى ثمّ في طلبه منك طهارة مكانك الّذي هو مجاور لك ، ثمّ لباسك الّذي هو ملاصق لبدنك ، ثمّ بدنك الّذي هو قشر لحقيقتك ، تعلم من ذلك بالعلم القطعيّ انّه لا يهمل طهارة قلبك ، وسرّك من الاقذار ، والارجاس المعنويّة ، الّتي لا يقاس خبثها ، ورجاستها على الارجاس الظاهريّة بوجه .

(١) كما ذكروه في تعريف الطهارة .

﴿ الباب ٢ ﴾

في التخلي وفيه فصول

الفصل الأول

في آدابها الظاهرية وجوبا واستحبابا وهي امور :

منها أن يجلس بحيث لا يرى عورته من يحرم نظره إليها ، والاْولى في ذلك أن يستر من السرة إلى نصف السّاق .

ومنها غسل مخرج البول بالماء ، والغايط بالاستجمار أولاً ، ثمّ بالماء .

ومنها ارتياد[1] الموضع المناسب .

ومنها تغطية الرّأس اقراراً بأنّه غير مبرّء نفسه مَن العيوب ، ولئلاّ تصل الرّائحة الكريهة إلى دماغه ، متقنّعاً إظهاراً للحياء من الملائكة الحاضرين .

ومنها تقديم الرّجل اليسرى عند الدخول واليمنى عند الخروج .

ومنها التسمية ، والدّعاء عند الدخول يقول : «بسم الله وبالله أعوذ بالله من الرجس[2] النّجس ، الخبيث المخبث الشّيطان الرّجيم»، وعند

(١) الارتياد : طلب الشيء وتفقد ما فيه من الصلاح .

(٢) الرجس : يطلق على القذارات الباطنية والنجس بالعكس والنجس بفتح الجيم وكسرها كلاهما صحيح .

والمخبث بصيغة الفاعل هو الذي اصحابه واعوانه خبثاء . =

الفعل «الّلهمَّ اذهب عنّي الاذى وهناني طعامي»، وعند الاستنجاء : «الّلهمَّ حصّن فرجي واستر عورتي ، وحرّمها على النار ووفقني لما يقرّب منك يا ذا الجلال والاكرام» وعند القيام ، وامرار اليد على البطن : الحمد لله الّذي اماط عنّي الاذى ، وهنّأني طعامي ، وشرابي ، وعافاني من البلوى»، وعند الخروج « الحمد لله الّذي عرّفني لذّته ، وأبقى في جسدي قوته ، واخرج عنّي اذىً يا لها نعمة ، يا لها نعمة ، يا لها نعمة ، لا يقدر القادرون قدرها » .

ومنها الاستبراء .

ومنها أن يتّقي موارد المياه والطّرق النّافذة ، ومساقط الثمار ، ومواطن النزال ، ومواضع اللّعن ، وهي أبواب الدّور ، وعلى القبر وفي افنية المساجد أربعون ذراعاً في أربعين ذراعاً ، وفي الماء الجاري ، والرّاكد ، ويتأكد في الثاني ، واستقبال القبلة واستدبارها بالبدن ، واستقبال الريح ، واستدبارها واستقبال النيّرين بالفرج والبول ، والبول في الصّلبة ، وقائماً ومطمحاً من الشيء المرتفع ، يرميه في الهواء ، وفي ثقوب الحيوانات ، وطول الجلوس على الخلاء والاكل عليه ، والشّرب والسواك والتكلّم إلاّ لضرورة أو الذكر والاستنجاء باليمنى ، ومسّ الذّكر بها بعد البول ، والاستنجاء باليسار ، وفيها خاتم عليه اسم الله ، ودخول الخلاء ، وهو عليه ، كلّ ذلك للنصّ ، أو شيء من أسماء النّبيّ (ص) ، والأئمّة (ع) ، أو القرآن الحاقاً لها باسم الله .

= وقيل : هو الذي ينسب الناس الى الخبث .

وقيل : هو الذي يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه ، ذكره الزمخشري في (الفائق) اقول : ويمكن ان يقرء بصيغة المفعول بمعنى من تأكد وتراكم فيه الخباثة فيدبر . وهذا الدعاء ورد في كتب العامة والخاصة .

الفصل الثاني

في عبره بالخصوص :

أوّلها أن يتفكّر في عظم لطف الله ، وانّه ما رضي أن يهمل هذه الامّة في الغفلة من فوائد الحكمة ، والذّكر ، والدعاء ، والعبر في مثل هذه الاحوال ، من جزئيّات حركاته ، وسكناته فيستشهد منه على عدم اهماله في الاعمال الشامخة ، والاحوال العالية من صلاته ، وصومه ونحوهما ، ويصدق ما ورد[١] عن رسوله (ص) : انّه ما من شيء يقرّبكم من الله والجنّة ، ولا يبعدكم من الله ، ويقرّبكم إلى النّار ، الا وقد بيّنته لكم ، حتّى الارش في الخدش، ويبالغ في تفّهم اعماله السّابقة المؤثّرة في توفيقه بمراقبة هذا الحال ، وذلك يلزمه في جميع الأعمال ، وإنّ في معرفة ذلك خيراً كثيراً لكلّ عبد مراقب ، انفتح له هذا الباب، مثلا اذ وفّق الانسان لموافقة مراد الله في جميع وجوه الحكمة ، والذكر ، والتوجّه ، والدّعاء ، والعبرة في تخليته . فانّه يؤثّر في التوفيق في غيره ، من حركاته ، وسكناته ممّا يناسبه فيأتي به على وفق مراد الله ، وهكذا ، إلاّ أن يمنع منه مانع ، وهو أيضاً من أثر عمل بدني ، أو قلبي سابق أو حاضر ، وإذا راقب الانسان في هذه الاثار من أعماله ، يورث ذلك

---

(١) كما في خطبة حجة الوداع عند نزوله في غدير خم المشهورة .

خيرات كثيرة في تصحيح أعماله ، وإذا صحّ العمل ، وخلص من الافات ، فله صور عالية عينيّة في البرزخ والقيامة ، غير صورته الّتي في هذا العالم ، كصورة شابّ حسن مؤانس لصاحبه ، وكصورة نعم الجنّة ، والعلم بتفصيل هذا الاجمال وتصديقه يستدعي رسم امور :

منها انّ لكلّ شيء[1] سبباً حتّى ينتهي إلى مسبّب الاسباب وعلّة العلل .

ومنها انّ بين كلّ علّة ومعلولها مناسبة خاصّة .

ومنها انّ لكل[2] موجود في هذا العالم من الاعيان والاحوال ، وجود في العوالم العالية السّابقة ، بصور يناسب ذلك العالم .

ومنها انّ لها أيضا وجود أو أثراً في البرزخ ، والقيامة من العوالم المتعقّبة بوجود ، وصورة تناسبها .

ومنها انّ العمالة في حفظ العوالم كلّها ، أو جلها ، وربط بعضها ببعض وأفاضة خيرات الله تعالى في ممالكه تسمّى ملائكة .

ومنها انّ جميع حركات الانسان ، وسكناته الاختياريّة منشأه عزمه وارادته ، وحبّه وبغضه ، واستشعار السّعادة والشّقاوة ، وبالجملة جميع حركات الاعضاء وسكناته ناشئة من أثر أحوال القلب ، وصفاته وأحوال القلب أيضاً منشـأه ، أمّا ما يؤثّر فيه من الظّاهر من أعمال الجوارح ، لا سيّما الحواس أو من الباطن فالخيال ، والشّهوة والغضب ، والاخلاق المركّبة في مزاج الانسان فإنّه إذا أدرك بحواسه شيئاً ، حصل منه أثر في القلب ، ان خيراً فنور ، وصفاء ، وان شرّاً فظلمة ، وكدر ، وكذا إذا هاجت الشّهوة مثلا بكثرة الاكل ، وبقوّة المزاج ، فانّ لها أثراً في القلب وهذه الاثار تبقى ، وتؤثر في إنتقال الخيال من شيء إلى شيء ، وبحسب

---

(١) كل ذلك مذكور في العلم الالهي ومبرهن عليها .

(٢) في السلسلة النزولية كما ان تاليه في السلسلة الصعودية .

إنتقالها ينتقل القلب من حال إلى حال ، والقلب دائماً في التغيّر ، والتأثّر ممّا يرد عليه من آثار الأسباب ، المذكورة ، وأخصّ الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر ، واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الاخطار ، والاذكار أمّا على سبيل التجدّد ، او التذكّر ، ومنها يحصل الشّوق والنّفور ، ومنها ينبعث إرادة الجلب والدّفع ، فانّ النيّة والارادة والعزم ، إنّما يحصل بتأثير الخواطر ، فمبدء الافعال الخواطر ، وهي تحرّك الرّغبة والرّغبة ، تحرّك النيّة ، والعزم ، والعزم يحرّك العضلات ، وهي تحرّك الاعضاء ، فيحصل منها الافعال .

ثمّ الخاطر على قسمين : قسم يدعو إلى الشرّ وهو ما يضرّ بضرر لا ينتج خيراً أقوى منه .

وقسم يدعو إلى خير لا ينتج ضرراً لا خير فيه أزيد من ضرره .

فالخاطر المحمود الدّاعي إلى الخير يفيضه الباري تعالى بوساطة الملك ويسمّى هو الهاماً ، والّذي يدعو إلى الشرّ بوساطة الشّيطان ، ويسمى هو وسوسة .

واللطف الّذي يتهيّأ به القلب لالهام الملك ، وقبول الهامه يسمّى توفيقاً .

والّذي يتهيّأ به لوسوسة الشّيطان ، وقبول وسوسته يسمّى خذلاناً .

فالملك خلق خلقه الله تعالى لافاضة الخيرات ، من العلم وكشف الحق ، والوعد بالمعروف .

والشيّطان خلق خلقه الله ، شأنه الوعد بالشرّ ، والامر بالفحشاء ، والتخويف عند الهمّ بالخير وبالفقر والفحشاء .

والقلب دائماً متجاذب بينهما ، فاذا عرفت ذلك بوجدانك ، تعرف قطعاً انّ للاعمال بدنيّا كان أو قلبيّاً ، تأثيراً في التّوفيق والخذلان ، ولهما

تأثيراً في الالهام وقبوله ، والوسوسة وقبولها ، وهما منشأ الأفعال والحركات المتعقّبة ، فاذا واظب عبد موفّق قلبه . وراقب ربّه يعلم من حاله الحاضر ، وتهيّؤ أسباب الخير ، وأسباب الشرّ نور أعماله السّابقة ، وظلمته ويستشهد منه لما يأتي عليه ، ويبتلى به من التّوفيق والخذلان في أحواله الاتية ، فيؤثّر هذه المراقبة والمواظبة مع هذه المعرفة ، أن يتدارك ما سبق بالاستغفار . والتّوبة ، ويغيّر ما يأتي بالاستعاذة والدّعاء ، وهذا هو الوجه فيما وصيت به من المبالغة في تفهّم آثار الاعمال ، ومن وفّق لذلك الخير يجد خير المحاسبة الّتي فيها ورد عن الائمّة (ع) : ان ليس منّا من لم يحاسب نفسه .

وثالثها : ان يتذكّر بتخليته لقضاء الحاجة ، نقصه واحتياجه وما يشتمل عليه من الاقذار وإنّه كيف يستسلم لتحمل ما يتأذّى به في دفع ما أورثه أكله وشربه من القذارات ، والعفونات ولا يتوقّع من الله جلّ جلاله أن يبدّل حكمته فيما أودع مخلوقاته استعداد ذواتها من الصّفات ، والتّأثيرات ، ولا ينتظر أن يكون ريح قاذوراته طيّبة ، فكذلك ليس له أن يتوقّع مثل ذلك فيما أودعه في الاعمال القبيحة من التّأثيرات ، وينتظر أن يكون نتيجة ظلمة مثلا نور فإنّ أثر الظلم ليس[1] إلّا الظلمة ، فلا محلّ لانتظار انتاجه النّور فكيف يعد الانسان من زرع حنظلا ، وينتظر أن يحصل سكّرا منه ، ورزقاً حسناً سفيهاً فكذلك فليحذر المسكين ، أن يكون هو هذا السّفيه والاحمق .

ان قلت : فعلى ما ذكرت فأين الرّجاء ؟ وأين قوله (ص) يا مبدل السيّئات[2] بأضعافها من الحسنات ؟

---

(١) كما في الكافي باب الظلم عن رسول الله اتقوا الظلم من ظلمات يوم القيامة .

(٢) كما في الدعاء والآية الشريفة : ﴿ **اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ .

قلت : هذا الايراد أيضاً من الجهل ، فانّ الرّجاء[1] غير الآمال ، والآمال غير الأماني ، والأماني غير الحمق هذه مراتب انتظار الخير .

فمن زرع حنطة في أرض صالحة ، وسقى زرعه عند اقتضائه ما يقتضيه السّقي ، وواظب تعهّده بما هو معمول فيه . وانتظر من الله أن ينبت زرعه ، ويعطيه من هذا الزّرع أجود ما يحصد من أمثال هذا الزّرع ، فهذا هو الرّجاء .

ومن زرع حنطة في أرض صالحة ، وسقاه بعض سقيه ، وانتظر أن يكمل سقيه بالانتظار الّذي ينتظر مثلها إلّا في بعض السنّين فهو مؤمّل .

وأمّا من زرع مثل زرعه ولم يسقه أبداً وانتظر أمطارا تسقيه ، وكان ذلك في بلد لم ير فيه مثل هذه الامطار ، لا يعدّ انتظاره للزّرع الصّالح الطيّب رجاء ولا أملاً بل أمنيّة .

ومن زرع شعيراً ولم يتعاهد زرعه أبداً ، وانتظر أن يحصد حنطة ، فهذا هو الحمق والسّفه .

وأمّا قوله (ع) يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات ، فانّه ليس من قبيل ما يجري من طرق الاسباب المتعارفة ، ولكن له أيضاً سبباً لطيفاً معنويّاً ، طرف منه بيد المكلّف ، وهو أن لا يرى الخير من الاسباب ، بل ولا الشرّ ، ولا يكون عنده ضار ولا نافع إلّا الله ، لا في الدّنيا ولا في الآخرة فيتوسّل بدعائه إلى باب فضله ، ليستجلب خيره من باب العناية المحضة ولكن ذلك إنّما يجري لا محالة فيمن يعتقد هذه الصّفة في الله ، وهذا الانسان المعتقد لربّه هذه الكريمة ، لا يتفاوت حاله فيما يرجوه من ربّه من تبديل السّيئات بالحسنات في الامور الدّنيويّة ، والاخرويّة كليهما وأنت إذا أشتبه عليك انك تعتقد في ربّك هذه الصّفة ، وصادق في عقيدتك ، فأمتحن نفسك الغرور في شيء من

---

(١) فسره قده في ذيل كلامه .

محاويجك الدُّنيويّة ، هل تترك التّوسل إليه من الاسباب ؟ لا سيّما الاسباب البعيدة الّتي زجر الشّارع عن التّمسّك بها وتتوكّل على الله ؟ ام لا فاذاً تعرف أنّك لست بصادق في دعويك بانّ الله مبدّل السّيئات بأضعافها من الحسنات فدع الايراد لمن يعتقد ذلك صادقاً وأن يذكّر ممّا يراه من تبدّل المطاعم ، والمشارب بالاقذار ، والادناس سائر التّغيّرات الواردة عليها . وعلى سائر حطام الدُّنيا الّتي يعشق عليها ويقتل نفسه في حسراتها ويستشعر من ذلك هوان الدُّنيا وخسّتها وإلى مجمل ما ذكرنا وغيرها يشير .

ما في مصباح الشّريعة .

قال الصادق (ع) • سمّى المستراح مستراحاً لاستراحة النّفوس من اثقال النّجاسات ، وإستفراغ الكثافات والقذر فيها ، والمؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدُّنيا كذلك يصير عاقبته ، فيستريح بالعدول عنها فيتركها ويفرّغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه من النّجاسة والغايط والقذر ، ويتفكّر في نفسه المكرّمة في حال ، كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم أنّ التّمسّك بالقناعة والتّقوى يورث له راحة الدّارين فانّ الراحة في هوان الدُّنيا والفراغ من التمتع بها ، وفي إزالة النَّجاسة من الحرام والشبهة ، فيغلّق على نفسه باب الكبر بعد معرفته أيّاها ، ويفرّ من الذّنوب ويفتح باب التّواضع ، والنّدم ، والحياء ويجتهد في اداء أوامره وإجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب ، وطيب النّفس ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصّبر ، والكف عن الشّهوات إلى أن يتّصل بامان الله في دار القرار ، ويذوق طعم رضاه ، فانّ المعقول ذلك ، ما عداه لا شيء .

أقول : أوّل المراد أنّ المؤمن عند ما رأى انّه إذا تلذّذ قليلاً بخالص حطام الدُّنيا ، فصار عاقبته إلى ما تأذّى منه ، ومن آفته ، ولم يسترح إلّا بدفعه وأنّه صار سبباً لوقوعه ، في هذه الذّلّة فيعلم منه أنّ

عاقبة لذّات الدُّنيا إنّما هو ذلك فيترك التّلذذ بها ، وجمعها إلّا بقدر الضّرورة ، طلباً للاستراحة القلبيّة والنّفسيّة بالفراغ من ثقل تعلّقها ، في الحلال منها ، واذى حرامها ، وشبهاتها ، فيتّقي عنها اتقائه من النّجاسات ، ويعلم عجزه ، واضطراره بالطّبع إلى ذلّة التّحمّل بدفع أذى ما يضطرّ إليه ممّا به قوامه ، وبقائه فيترك التّكبر ويتواضع ويندم على ما فرّط في ذلك من قبل ، ويستحيي عن ربّه في ترك إجابة وصاياه ، فيما يتعلّق بطهارته ، وراحته ويقطع بأنّ هذه اللّذّات الدّنية الدّنيوية يجب الصّبر عنها لسوء عاقبتها ، وأنّ اللّذة الخالصة الحقيقيّة لا توجد في حطام الدّنيا ، فاللّذة بعد الوصول بامان الله في دار القرار في طعم رضاء الله جلّ جلاله .

ورابعها : أن يتفكّر في لطيف صنع الله تعالى به ، في بناء أعضائه كيف وضع في تعديل صورته ، عورته في موضع مناسب لها ، ويعرف وجوه حكمة كونها في هذا المحلّ ، من تيسّر دفع الأذى ، والتطهير مع قربه عن مستقرّ الاقذار وكونه تحت المعدة ، وفي استر موضع من بدنه ، كما قال الصّادق في توحيد المفضّل بقوله : اعتبر يا مفضّل بعظم النّعمة على الانسان في مطعمه وتسهيل خروج الاذى ، أو ليس في خلق التقدير في البناء ، ان يكون الخلاء في استر موضع منها ، فكذلك جعل الله تعالى المنفذ المهيّا للخلا من الانسان في استر المواضع ولم يجعله بارزاً من خلفه ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيّب في موضع غائض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان ، ويحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيوار يانه إذا احتاج الانسان ، وجلس مصبّاً مهيّاً تلك الجلسة ، القي ذلك المتقذّر منه لانحدار الثّقل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ، ولا يحصى نعماؤه فعلى العبد بعد معرفة ذلك الفضل في ستر عورته ، أن يستحيي لامحالة من ظهور سوء الصّفات الرّذيلة منه . الّتي هي عورات في الحقيقة لروحه ونفسه فيسترها عن الظّهور والبروز في الاعمال والافعال .

وخامسها : أن يتفكّر في نعمة الله في خلق أسباب التطهير من الماء ، وجه الارض ، وكثر تهما ، وبذلتهما .

وسادسها: أن يتفكّر في منّة الله على هذه الامة بالسمحة السّهلة ، من الشريعة فلا يكفرها بتجاوز حدود الله تعالى بالوسوسة ، والتضييق على نفسه فأنّ الوسوسة من أضر الصفات ، والامراض القلبيّة ويتأدّب من أئمّة الدّين حيث لم يجوزوا لنا المبالغة في الاحتياط في هذا الباب بل زجروا عنه بالقول والفعل وإذا عرف الانسان الاداب الواردة في الاخبار بالنّسبة إلى التّطهير ، علم أنّ الاحتياط الّذي شرعوه في سائر المقامات ، زاجروا عنه في هذه المسألة بخصوصها ، وعرف وجه الفرق ، وعلم منه ميزان جزئيات احكام الشرع المقدّس وإنّها في ايّة درجة من الحكمة .

ولا بأس أن نذكر ما سنح بخاطرنا من وجه الفرق ، وهو إنّ الطهارة والنجاسة ليست لها كسائر الاحكام اهمية لقلّة تعلّقها بالجهات القلبية ، والاحتياط فيها موافقة لطباع أهل الدّنيا فلا يشكل عليهم المبالغة فيها لاجل موافقة طباعهم وأمّا الاحتياط في حقوق الغير من المال والجاه ، والامور التّعبّديّة الّتي يعسر للعاقل التّعبّد بها ، فهي من الامور المهمّة المؤثّرة في الجهات القلبيّة والعمل بالاحتياط فيها مخالف لطباع أهل الهوى فصار لحاظ ضرر الوسواس فيها الزم من لحاظ الاحتياط والدّليل على ما ذكرناه من أن الاحتياط فيها موافق لاغلب الطباع بخلاف سائر الاحكام ما تراه بالعيان انّ الوسوسة فيها مع زجر الشارع من زيادة الاحتياط أكثر ممّا منع عنه في غيرها بين النّاس بمراتب الا ترى انّه لا يوجد من يوسوس في اداءِ قروضه فيؤدّي ثلث مرّات ولكن ترى أكثر الناس يوسوس في عدم اسباغ الماء في الوضوء وتطهير الاعضاء فيغسل أكثر من ثلثين مرّة وهذا هو الوجه في الفرق ولعلّ له وجوها غيره .

وسابعها : أن يتفطّن في حكم الشّرع في التطهير من الاخباث الظاهرية هذه الدّرجة لدرجة أهمّية تطهير القلب عنده بل الّذي يظهر من

بعض الاخبار مثل ما يأتي من رواية مصباح الشّريعة في أسرار السواك ومثل ما حكوا (ع) من مواعظ عيسى (ع) وسنشير إليهما انشاء الله أنّ المقصود الاهمّ من هذه الاحكام التنبيه والايقاظ لامر الباطن وإن كانت هي في أنفسها أيضاً مطلوبات للشّارع ولها تأثيرات أيضاً في طهارة القلب كما يجده أرباب القلوب من الفرق بين حال الحدث والطّهارة في قلوبهم .

ثمّ انّ للقاضي سعيد القمّي كلاماً في المتخلي لا بأس بنقله ، قال لمّا كان الله دعى العبد في صلاته إلى قربه ، ومناجاته فينبغي للعبد ان يميط عن نفسه كلّ اذى ، ووسخ يبعده عن ربّه ، فمن ذلك تطهير جوفه بتخليته عن فضلة طعامه وشرابه الّتي هي رجز الشّيطان ، حيث لم يكن لها في تلك المدينة منفعة ، بل هي مثيرة للفتن ، والعلل ومنشأ الآلام ، والاسقام في هذا الهيكل ويغسل موضع خروجها حتّى لا يبقى أثر من آثارها ، امّا بالماء الّذي هو أصل الحياة إذ الموضع لاقى الميت البعيد عن تصرف الروح فيه أو الاستجمار حيث كان الحجر آلة لدفع كلّ ما يقصد تبعيده فيقوي بذلك على التطهير من رؤية الاسباب ، والمسببات كما هو فائدة الوضوء ويصير هذا عنواناً لتطهير قلبه من جميع الادناس ، وللبرائة من نفسه ومن الناس لنزول سلطان القرب بلا قياس .

أقول : ولقد أفاد ، واجاد شكر الله سعيه ، ولكن لو بدّل ما ذكره في تأويل الاستجمار بقوله أو بالتواضع بمسّ الارض ليستعد بالفناء عن انيته لدرك الطهارة من الله ذي الجلال ، كان أولى ، إذ الاستجمار ليس منحصراً بالاحجار بل بمطلق الأرض وما يخرج منها أيضاً على اختلاف الفتاوى .

ثمّ ان أراد العبد ان يتمّ مراقبته في الفكر فليتفكّر في بعض آدابها مثل التقنّع والذكر .

فان التقنع للحياء من الملائكة لما رواه[1] في البحار عن المجالس ، والمكارم في وصيّة النبي (ص) لابي ذر قال (ع) يا أبا ذر استحي من الله تعالى ، والّذي نفسي بيده لاظلّ حين اذهب الى الغائط متقنّعاً بثوبي استحياء من الملكين الّذين معي إلى أن قال استحي من الله حقّ الحياء .

وإذا تفكر الانسان في هذا الحكم ، وهذه الرواية ، وعلم حقيقة الحياء ، واستحى من ربّه حقّ الحياء ، يسلم بذلك عن حياء ، ويوم العرض على الله ومن عذابه وقد روى عن الصادق عليه السلام ما معناه : انّه لو علم النّاس ما في حياء العرض على الله لما سكنوا العمران ، واختاروا رؤوس الجبال وما اكلوا وما شربوا ، الا عن اضطرار وقد نقلته بالمعنى ، ولا يحضرني لفظ الرواية وان شئت ان تعلم لم هذا الامر ، فاعلم إنّ شدّة الحياء يكون من شدّة القبح في العمل ومن كثرة العمل ، القبيح وشدّة القبح لها أسباب وجميع أسبابها موجودة بما لا يتناهي في قبائح أعمال العبد مع خالقه ، ووجه ذلك يعلم بالقياس إلى القبائح المعمولة بين الناس ، فان الانسان إذا أتى بمنكر وخلاف لرجل فله قبح ما في نظر العقلاء وعليه الحياء من الرجل بقدر ذلك القبح وإذا كان الرجل من معارفه يزيد قبح هذا الخلاف والحياء وإذا كان من الاشخاص الاجلاء يزيد درجة القبح والحياء فكلما يزيد الجلالة في الرجل يزيد القبح والحياء حتّى يصل إلى أجل رجل في العالم فكيف اذا فرض ذلك مع من لا نهاية لعظمته وجلاله فان قبح كل خلاف ومنكر بالنسبة إليه في درجة غير متناهية وأيضا اذا فرض لهذا الرجل ولاية له في جهة من الجهات فانّ ذلك يزيد في قبح الخلاف وفي الحياء فهي أيضاً تزاد بزيادة

---

(١) كما في الوسائل باب استحباب تغطية الرأس والتقنع عند قضاء الحاجة .

الجهات ، حتّى ينتهي إلى ولاية الايجاد وأيضاً إذا فرض زيادة على ذلك كونه منعما على هذا المخالف ، فانه أيضاً يزيد في قبح المخالفة والحياء وذلك أيضاً يزداد حتّى يصل إلى ما لا يحصى من النعم وأيضاً إذا فرض للمخالف جناية غير هذا أيضاً فانّه يزيد في جهة القبح والحياء وذلك أيضاً يزاد حتّى يصل إلى جنايات لا تعدّ ولا تحصى وبالجملة إذا جاء يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لا يحتسبون وبدا لهم سيئات أعمالهم ووجد كل امرء ما عمل محضراًفحينئذ ينكشف حقائق الامور ويعلم ميزان الحسنات والسيّئات وفرضنا إنّ هذا الربّ العطوف طالب عبداً عن عباده واجب حقّه من شكر نعمه وقال : يا عبدي ألم تك عدماً محضا فأوجدتك ؟ من غير ان انتفع بوجودك وايجادك بل لمحض انتفاعك منّي وجعلت كلّ مملكتي وجميع ممالكي يخدمونك في محاويجك وكمالاتك من قبل وجودك ولم يمنعني معصيتك لي في جميع نعمي الّتي لا تحصى بالكفران ، عن ان احفظك وجميع ما أنعمت به عليك ، من رزقك واعزازك وتربيتك وكمالاتك في جميع وجوه نعمي عليك ، وادعوك باللطف وحسن الطلب حتى ارسلت إليك في كلّ ليلة ملكا كريماً ، يدعوك إلى التوبة ويعدك عنّي قبولها ، ويخبرك اني اجيبك إذا دعوتنيْ ، وافرح بتوبتك اشد فرح ويدعوك إلى انسي ومناجاتي وقربي ووصالي وأنت تردّ رسولي وتطيع عدوّي ومع ذلك كلّه لا أمنع عنك نعمتي ورحمتي وحسن صنعي بك ولا يزيد ذلك كلّه لك إلاّ اعراضاً عني وإدباراً مني ولي إلاّ تلطّفاً لك وانعاماً عليك واصراراً في دعوتك وحسن طلبك حتّى بلغ الامر إلى أن صار الوقت اللّيلة الفلانية مثلا أرسلت إليك واحداً من عيالي وفقراء عبيدي وإمائي يسألك شيئاً من نعمي العظيمة الموجودة عندك وقد اخبرتك قبل ذلك إنّك أن اعطيته شيئاً فقد اقرضتني وأنا الآخذ منك والمؤدّي لك احوج ما تكون عليه من الحال وان رددته رددتني فكفرت بنعمتي عليك ولم تعطه شيئاً ورجع من عندك خائباً ونام جائعاً يا عبدي لأي شيء رددتني وما اقرضتني اخفت لي

الفقر او خفت ان اخونك واكذب لك في مواعدي عبدي لايّ شيء كنت تعامل عبيدي وامائي معاملة الوفاء ولم تعاملني معاملتك معهم فكيف صرت أهون عليك من جميع مخلوقاتي وعبيدي ، وما كنت تستحي من الاعراض عن اعداءك إذا أقبلوا عليك بصورهم وان علمت عداوتهم لك في قلوبهم ولا تستحي منّي وقد علمت اقبالي عليك منذ خلقتك وقبل خلقك بايجاد مواد نعمي عليك وانتاج فروعها وحفظها حتّى تنتفع منها حين حاجتك فتكفر لي فانّي قد خلقت لأجلك سماء وأرضاً وشمساً وقمراً وماء وتراباً وملائكة قبل خلقك كلّهم يعملون لك ويخدمونك في اصول نعمي عليك من مأكلك ومشربك وملبسك ومسكنك وغيرها مما لا يعدّ ولا يحصى من النعم وكيف لا تستحي منّي في اعراضك عنّي بعد هذا الاقبال التام والانعام العام والتحبّب الكامل واللطف الفاضل فتتبغّض إلي بالذنوب والمعاصي وطاعة عدوّي ، وبالجملة إذا كان يوم تبلي السّرائر وكشف للانسان عن حقيقة نفسه ورأى ما كسب فيها من تفاصيل هذه الاحوال وهذه المخالفات والكفران والتبغّض مع هذا الرب الرؤوف والملك الجبّار المنعم العطوف حصل له ما ذكره الامام من الحياء والخجل والافتضاح وتألم منه فوق تألّمه من النّار كما اشير إلى ذلك في بعض الاخبار ان الله يقول لبعض عبيده يوم القيامة أما فعلت أما فعلت حتّى يحصل له من الخجل ما يستدعي منه جل جلاله ان يأمره إلى النار ليخلص بها من شدّة الم هذا الخجل ولا يذهب عليك انّ عدم حيائنا اليوم عمّا نحن فيه من مسائة الحال وقبائح الاعمال وحياتنا يوم القيامة لوجوه لا تخفى على المتأمّل اولها جهلنا في الدنيا بمبلغ نعم الله التي لا تحصى من وجوه عديدة وثانيها جهلنا بجميع مسائينا وافعالنا القبيحة ودرجة قبحها وثالثها وهو العمدة ضعف الايمان بمقامات الدين من العلم بالله وملائكته وأنبيائه ورسله وكتبه وشرائعه وأمّا في القيامة فيكون الغيب عياناً ويكون العبد حاضراً عند ربّه ويكشف له عن جزئيّات نعم الله الظّاهريّة والباطنيّة كلّها بحيث يراها ويرى أنّها من الله ويكشف لجميع

جزئيّات سيّئاته وقبائح أعماله وسيّئاته الّتي لا تحصى أيضاً بالكشف الالهي ويكون الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله شهوداً وعياناً ويرى عباد الله المتّقين المراقبين في معاملتهم مع ربّهم باحسن المراقبات فيخجل لا محالة لنظير ما يراه كلّ واحد منّا في مخازي الّتي عند حضور الاشهاد من أعيانها فان من كان له شوهة في وجهه أو جُرح قبيح عليه أو كان مكشوف العورة أو خلق الثياب او كان مكشوف الرأس يخجل من حضور مجلس أعيان بلده او رآه أحد وهو يأكل الخبزة أو شيئاً رديّا لا يأكله الناس مثل الميتة فلا محالة يستحيى عمّن رآه في ذلك الحال وليس الحياء في اختيار الانسان لانّه صفة انفعاليّة منشأها استشعار انكشاف صفة قبح في النفس عند الغير لا سيّما إذا كان ممّن يعرفه ويخلف هذا التأثّر في القبائح الشّرعيّة عدم الاعتقاد بقبحها أولاً فان المغتاب لا يرى الغيبة اكلا للحم الميّت وان سمعه من لسان الانبياء يفرضه امراً خياليّاً من باب الامثلة مخالفاً للعيان وهكذا لا يرى غضبه مغيراً لصورته الانسانيَّة إلى صورة الكلب ولا يرى معاصيه شوهة لوجه روحه ثمّ انّه لا يرى حضور ربّه عياناً بل شيئاً سمعه وغفل عنه فانّه لا يورث الحياء وأمّا إذا كان يوم القيامة يرى ربّه حاضراً والانبياء والملائكة والمؤمنين شهوداً مكرّمين على هيئات حسنة عليهم ثياب النّور مقدسّين من كل شين وعلى رؤوسهم تاج الكرامة قد غشيهم النّور وجوههم ناضرة مستبشرة ورأى نفسه اشعث أغبر عليه ثياب خلقة ممزقة بل مقذرة وعلى بدنه جراحات منكرة يسيل منها الصديد[1] بل رأى وجهه ممسوخاً على وجه الخنازير وبدنه على صورة القردة قد غشيه ظلمة الذنوب ورأى برأى العين انّ اللطيف تعالى امره أن يختار زيّ الانبياء المقرّبين والشّهداء والصالحين وصورة هؤلاء المكرّمين وهو بنفسه اختار هذه الهيئة القبيحة والصّورة المنكرة فلا محالة يخجل ويستحي ممّا أوقع نفسه فيه واختاره من الزيّ القبيح

---

(١) الصديد : بالفتح القيح المختلط بالدم .

ويتحسّر من مخالفة ربّه الكريم الرحيم .

فـاذا تمهّـد لـك ذلـك فتفكّـر في نفسـك حضـورك في يـوم عـظيم ومحضر عظيم لامر عظيم وظهـور سلطان الله الّذي لا يقـدر قدره القـادرون ويعجـز عن درك شدّتـه العـالمـون وحـزنـك في مثـل هـذا المقـام الهـائـل وافـرض أهوالـه وانكالـه وعتابـه وخطابـه وحيائـه وحسرتـه وحرارتـه وفزعـه وجوعه وعطشه وعرقه وخصمـائه وزبـانيته ثمّ تفكّـر فيما أنت عليـه في هذه الـدنيا في عـالم التكليف ، من لطفـه وعزّتـه وشـرفـه ، ونعمـه وتـأمّـل في معـاملة سلطان المعاد معـك في هذا المقـام ، وتشـريفـك بخلع التكـاليف الجميلة وإكـرامك بـدعـوتـك لـك إلى منـاجـاتـه ، ومجلس انسـه وقـربـه وجـواره ، بهذه الكيفيّات الجميلة ، وتأمّـل في قولـه : أنا افـرح[1] بتـوبـة عبـدي من رجل ضـلّ مركبـه وزاده في سفـره ، ويـأس منـه ونـام مسلّمـاً نفسه للهلاك ، ثمّ استيقظ ورأى مركوبه ، وزاده حاضراً عنده .

وفي قـوله الكـريم في الحديث القـدسي : لـو علم المـدبـرون عني كيف انتـظاري بهم ، وشـوقي إلى تـوبتهم ، لمـاتـوا شـوقـاً إليّ ولتفـرّقت أوصالهم من أجل محبّتي .

وقـولـه : يـا عيسى كم اطيـل النّـظر ، واحسن الـطّلب ، والقـوم لا يرجون .

وقوله : عبدي بحقّك عليّ إنّي أحبّك ، فبحقّي عليك احبّني .

وقـوله : بلسـان الملك الداعي . أنـا جليس من جالسني ، أنـا ذاكر من ذكـرني ، أنا غـافـر من استغفـرني ، أنـا مـطيـع من أطـاعني ، وأمثـال ذلـك ، ثمّ تـأمّـل بمـاذا ، وبـأيّ لـذّة ولأيّ كـرامـة تـرضى تبـديل هـذه التشريفات الفاخرة ، بمخازي يوم القيامة ، وانظر إلى ما روى من ذلك .

---

(١) كما في اصول الكافي في باب التوبة .

في قول مالك بعد إلحاح ألف سنة : انّكم [1] ماكثون .

وقول الجبّار تعالى : اخسئوا[2] ولا تكلّمون ، وانظر في قيامك لصلاتك في الدنيا ، يحفّك الملائكة من قدمك إلى عنان السماء ، وينظر عليك الجبّار بنظر اللّطف ، ويجيبك فيما تقوله من قليل وكثير ، ويباهي بك ملائكة المقرّبين ، ويقول في كلّ ما تعمله في صلاتك من استقبالك إلى سلامك : أما ترون عبدي ، أما ترون عبدي ؟ ويعد لكلّ واحد من ذلك كرامةً لك ، وقبوله وجزاءه ورضاه ومقامك يوم العرض على الله مكبلا ، مغلولاً ازرق العين ، أسود الوجه ، مصفداً مقترناً مع شيطان ، يقال لك : يا غادر ، يا فاجر ، يا مرائي أما استحيت منّي ؟ ثمَّ يصدر من سلطان جلال الله خطاب خذوه[3] فغلّوه، ثمَّ الجحيم صلّوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه،كيف يتصدّع قلبك من استماع هذا الخطاب ، ولعمري انّ هذا ما لا تقوم له السموات والارض ، فكيف بك يا مسكين ، فيأخذك الزبانيّة ، ويجرّك على وجهك إلى نار حرُّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعها حديد ، وشرابها الحميم والصديد ، واستمع قول الإمام البصير ، ولعمري لا ينبئّك مثل خبير ، حيث يقول : كيف استطيع ناراً لو قذفت بشرارة على الأرض لأحرقت نبتها ، ولو تمسّك إنسان بقلّة لانضجته ، وهيّج النار في قلبه ؟ وانظر يا عاقل في أحوال قوم مستقرّهم الجحيم ، وطعامهم من ضريع[4] وشرابهم الحميم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شدّت

---

(١) الزخرف : الآية ٧٧ ، ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك . قال : انكم ماكثون .

(٢) المؤمنون : الآية ١٠٨ .

(٣) الحاقة. الآية ٣٠ .

(٤) الضريع : قيل هو نبت بالحجاز له شوك كبار يقال له الشرفة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله الضريع في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وانتن من الجيفة وأشد حراً من النار .

أقدامهم بالنواصي ، واسودّت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادونهم من أكنافها ، ويصيحون من نواحيها وأطرافها ، يا مالك قد حقّ علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منّا الجلود ، يا مالك اخرجنا منها ، فانّا لا نعود ، فيقول : الزبانية هيهات هيهات ، لات حين مناص ، لا خروج لكم منها ، ولا خلاص فاخسؤا فيها ، ولا تكلّمون ، ولو اخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعيدون ، فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسّفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأنين يكبّون على وجوههم ، مغلوبين ، وفي انفسهم معلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار عن ايمانهم ، والنار عن شمائلهم ، وهم غرقى في النار طعامهم النار ، شرابهم النار ، لباسهم النار ، مهادهم النار ، وهم بين مقطّعات النيران وسرابيل القطران ، ولثقل السلاسل يتجلجلون في مضايقها ، ويتحطّمون بمقامعها ، ويصطرخون بين غواشيها ، أو يضطربون في حواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والثبور ، ومهما دعوا بالعويل يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم ، يصبر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم ، تنفجر الصديد من أفواههم ، ويتقطّع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، وتسقط من الوجنات لحومها ويذاب من الظهور دسومها ، ويتعمّط من الأطراف شعورها ، وجلودها ، فكلّما نضجت جلودهم بدّلوها جلوداً غيرها ، قد عريت من اللّحوم عظامهم قد اسودّت وجوههم واعمت أبصارهم ، وابكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، وغلت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، يمشون على النار بوجوههم ، ويطئون حسك الحديد بأحداقهم ، والحيّات يلسعهم والعقارب تلدغهم ، وهم مع ذلك يتمنّون الموت ، فلا يموتون وهذا بعض ما نصّ عليه الكتاب والسنّة من أخبارهم وأحوالهم .

الفصل الثالث

في الوضوء ، وفيه أبواب :

﴿الباب ١﴾

في بعض آدابها الظاهريّة ، وجوباً واستحباباً

يستحبّ قبله السواك والتيامن(١) في غير ما يجب أيضاً من أفعاله ومقدّماته ، وزيادته التنظيف في مائه ، وغسل الكفّين قبل ادخالهما الاناء ، من حدث النوم والبول مرّة ومن الغايط مرّتين ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وتثليثهما ، بل تقديم المضمضة على الاستنشاق ، وفتح العين عند غسل الوجه ، والدعاء بما يأتي عند أفعاله وإمرار اليد بالغسل على اعضائه ، وتخليل شعر الوجه ، وبدئة الرجل بظاهر ذراعيه ، والمرئة بباطنهما ، والاسباغ بمد والاولى وحده الغسل بغرفتين اسباغاً ، وترك الاستعانة في مقدّماته وترك استعمال ، الآجن(٢) والمشمس وسؤر الحايض غير المأمونة ، واليهودي والنصراني ، والمشرك والناصب ، وولد الزنا على القول بطهارته ، وإلّا فيجب ، وما أصابته الوزغة والحيّة والعقرب ، والقليل الّذي أصابته النجاسة ولم يتغيّر على القول بطهارته ، وماء البئر الّذي أصابه ما يوجب النزح ، ولم ينزح منه المقدر بعد ، والمستعمل في رفع الحدث الأكبر على القول بالجواز كما هو الأقوى ،

(١) التيامن : هو جعل الماء على اليمين ويأتي في الفصل الآتي الاشارة الى أهمية التيامن .

(٢) الآجن : الماء الذي تغير لونه او طعمه او ريحه وغالب استعماله في الثالث .

كلّ ذلك عند الاختيار .

وأمّا تفصيل الدعاء فيه ، وفي مقدّماته ، ففي الصحيح[1] عن أمير المؤمنين انّه استدعى ماء فاكفا بيده اليمنى على اليسرى ، ثمّ قال :

بسم الله والحمد لله الّذي جعل الماء طهوراً ، ولم يجعله نجساً ثمّ استنجى ، وقال : اللّهمّ حصّن فرجي ، وأعفه واستر عورتي ، وحرمني على النار ، ثمّ تمضمض وقال : اللّهمّ لقّنيّ حجّتي يوم ألقاك واطلق لساني بذكرك ، ثمّ استنشق فقال : اللّهمّ لا تحرم عليّ ريح الجنّة ، واجعلني ممّن يشمّ ريحها ، وروحها وريحانها[2] ثمّ غسل وجهه وقال : اللّهمَّ بيّض وجهي يوم تبيضّ فيه الوجوه ، ولا تسوّد وجهي يوم تسودّ فيه الوجوه ثمّ غسل يده اليمنى فقال : اللّهمّ اعطني كتابي بيميني والخلد[3] في الجنان بيساري وحاسبني حساباً يسيراً ثمّ غسل يده اليسرى فقال : اللهمّ لا تعطني كتابي بشمالي ولا تجعله مغلولة إلى عنقي ، وأعوذ بك من مقطّعات النيران ، ثمّ مسح رأسه فقال : اللهمّ غشّني برحمتك وبركاتك وعفوك[4] ثمّ مسح رجليه فقال : اللّهمّ ثبّت قدمي على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام ، واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي يا أرحم الراحمين[5] .

---

(١) كما في الكافي والفقيه والتهذيب عن عبد الرحمن بن كثير .

(٢) وفي بعض نسخ الحديث (وطيبها) بدل (وريحانها) وفي بعض كلاهما مذكوران والريح : الرائحة والروح بفتح الراء النسيم الطيبة .

(٣) والمراد برات الخلد أي اعطني برات خلودي في الجنان يسارى وله تفسيرات اخر ايضاً .

(٤) وفي بعض النسخ : ليس « بعفوك » موجوداً وفي بعض « وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك » .

(٥) وفي بعض النسخ : « يا ذا الجلال والاكرام » بدل قوله : « يا أرحم الراحمين » .

ثم قال لمحمَّد ابنه راوي الحديث: يا محمَّد من توضّأ مثل وضوئي، وقال مثل قولي، خلق الله عزّ وجلّ من كلّ قطرة ملكاً يقدّسه، ويسبّحه ويكبّره، ويكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة.

وفي تفسير الإمام من قال في آخر وضوئه وغسله «سبحانك اللّهمّ، وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت، استغفرك وأتوب إليك، وأشهد أنّ محمّداً عبدك ورسولك، وأشهد أنّ عليّاً وليّك، وخليفتك بعد نبيّك، وانّ اوليائه خلفائك، وأوصيائه أوصياءك» تحاتّ عنه ذنوبه كورق الشجر وخلق الله بعدد كل قطرة من وضوئه أو غسله ملكا، يسبّح الله ويقدّسه، ويهلّله ويكبّره ويصلّي على النبيّ وآله الطيّبين، وثواب ذلك لهذا المتوضّي.

وروي في الفقيه: انّ زكاة الوضوء ان يقول المتوضّي: اللّهمّ انّي أسألك تمام الوضوء، وتمام الصلاة، وتمام رضوانك والجنّة.

﴿ الباب ٢ ﴾

في تفصيل السواك ، وفضلها وفوائدها ، وكيفيّتها وأوقاتها وغيرها

أمّا فضيلتها وفوائدها فورد في ذلك أخبار كثيرة ، نشير إلى بعضها تبرّكاً .

منها الخبر المشهور[١] المروي عن أبي جعفر (ع) عن النبيّ (ص) قال : قال : لولا ان اشقّ على امّتي لأمرتهم بالسّواك ، مع كلّ صلاة .

ومنها ما عن الخصال مرفوعاً إلى النبيّ (ص) قال : في السّواك اثنتي عشرة خصلة ، مطهّرة للفم ومرضاة للربّ ، وتبيّض الأسنان ، وتذهب الحفر[٢] ويقلّ البلغم ، ويشهي الطعام ، ويضاعف الحسنات ، ويصاب به السنّة ، وتحضره الملائكة ، ويشدّ اللّثّة ، وهو يمر [٣] بطريق القرآن ، وركعتين بسواك أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من سبعين ركعة بغير سواك .

---

(١) كما في الوسائل عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) الحفر : بفتح الحاء والفاء : صفرة تعلو الاسنان ، وحفر حفراً أي بتثليث الفاء فسدت اصول اسنانه .

(٣) لأن الفم طريق القرآن ، كما في الوسائل عن أبي عبد الله عن النبي «ص» : نظفوا طريق القرآن : قيل : يا رسول الله وما طريق القرآن : قال : افواهكم .

ومنهـا ما عن ثـواب الأعمـال عن أبي عبـد الله (ع) قـال : قـال أبـو جعفر (ع) : لو يعلم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحافهم .

وأمّا كيفيّتها وآدابها فيستحب أن يكون بالاراك فـإن لم يوجـد أو شقّ تحصيله ، فبغيـره حتّى الدّلـك بالابهـام ، والمسبحة ، وإن يكـون عـرضـاً وان يـدعـو عنـده بقـولـه : « اللّهمّ ارزقني حـلاوة نعمتـك ، وارزقني بـرد روحك واطلق لساني بمناجاتك ، وقرّبني منـك مجلساً ، وارفـع ذكري في الأوّلين اللّهمّ يا خير من سئل ، ويا أجود من اعطى ، حـوّلنا ممّـا تكره إلى ما تحبّ وترضى ، وإن كانت القلوب قاسيـة ، وإن كانت الاعين جـامدة ، وإن كنّـا أولى بالعـذاب ، فأنت أولى بـالمغفرة ، اللّهمّ احيني في عـافية ، وأمتني في عافية » .

وأمّا أوقاته فألّذي وجدتـه في الأخبار[1] عنـد كلّ وضـوء ، وعند كـلّ صلاة ، وعند النوم في اللّيل ، وعند القيام منـه ، وقبل الخـروج الى صلاة الصبـح ، ويحتمـل قـويـاً كفـايـة ثـلاث مـرّات في ليلة عن حقّ الـوضـوء والصّلاة .

وأمّـا عبرهـا يكفي فيها مـا في مصباح الشـريعة قـال الصـادق (ع) : قال رسول الله (ص) : السـواك مطهّـرة للفم ، مرضـاة للربّ ، وجعلها من السنن المؤكّدة ، وفيها منـافع للظاهـر والباطن ، مـا لا يحصى لمن عقل ، فكمـا تزيـل مـا تلوث من أسنـانـك من مـطعمـك ، ومشـربـك ، ومـأكلك بالسواك ، كـذلك فـأزل نجاسـة ذنوبـك بالتضـرّع ، والخشوع والتهجّـد ، والاستغفار بالأسحار ، وطهّر بـاطنك وظـاهرك من كـدورات المخالفـات ، وركـوب المناهي كلّهـا خالصـاً لله ، فانّ النبيّ (ص) أراد بـاستعمالهـا مثلاً لأهل اليقظة ، وهو انّ المسواك نبـات لطيف نـظيف ، وغصن شجر عـذب مبارك ، والأسنان خلق خلقه الله في الفم آلة لـلأكل واداة للمضـغ ، وسبباً

---

(١) كل ذلك مروي في الوسائل وغيره فلا حاجة الى نقل ما ورد فيها فليراجع .

لاشتهاء الطعام واصلاح المعدة ، وهي جوهرة صافية تتلوّث بصحبة تمضيغ الطعام ، ويتغيّر بها رائحة الفم ، ويتولّد منها الفساد في الدماغ ، فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللّطيف ، ومسحها على الجوهرة الصافية ، وأزال عنها الفساد والتغيّر ، وعادت إلى أصلها ، كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً ، وجعل غذائه الذكر والفكر والهيبة ، والتعظيم وإذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر ، صقل بمصقلة التوبة ، ونظف بماء الانابة ليعود إلى حالته الاولى ، وجوهرته الاصلية الصافية ، قال الله : ﴿ **إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين** ﴾ وقال النبيّ (ص) عليكم بالسواك فانّ النبيّ (ص) أمرنا باستواك ظاهر الأسنان ، وأراد بهذا المعنى المثل ، ومن أناخ تفكّره على عتبة باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الأصل والفرع ، فتح الله له عيون الحكمة ، والمزيد من فضل الله ، والله لا يضيع اجر المحسنين انتهى .

أقول : على المصدّق بالنّبيّ وآله ان يعتني بامثال هذه كلّ الاعتناء ، ولا يهملها ولا يضيّعها ، ويعامل معها معاملة الاسرار ، ويغتنم ما وصل اليه من هذه المعارف ، والتّأويلات الحقّة بجزئيّات العبادات الواردة في الشّريعة القادسة ، ومقدّماتها ويشكر لله ولرسوله المبلّغ ، ولخلفائه الحافظين بل وعلى الجملة الرّاوين لها عنهم (ع) ، فيؤدّي حقّ شكر هذه النّعم الباطنيّة الفاخرة ، ويفوز بانوارها ويصل الى ثمراتها وفوائدها ، والا فمن غفل عن الجملة من النّعم اللّطيفة الحقيقيّة ، ولم يعظمها حقّ عظمتها ، فلا ينتفع منها بل ويزيده خساراً من جهة تضييعها بعد اتمام الحجّة ، وامّا اذا آمن بها واعتقد عظمتها ، فلا بدّ ان يواظب عليها ويجد في التّأمّل فيها ، وفي امثالها كما اشير اليه في آخر ما في مصباح الشّريعة ، واذا اشتغل بهذه المراقبة ، وغاص في التفكّر فيها ، ربّما ينكشف له عن حقائقها ، ويرى صورها المثاليّة ، واثراتها الباطنيّة ، وانقلب له الغيب عياناً ، والرّواية دراية والعلم وجداناً ، فيكثر جدّه ،

واهتمامه في هذا الباب ، ويستغرق اوقاته ويصير همّه همّا واحداً ، فينجرّ ذلك الى ساير المعارف ، حتّى يستغرق عقله بمعرفة الله ، واذا يكون سائس اموره الدنيّوية ، وشؤنه الظّاهريّة هو الله ، فلا يبقى له شغل بمخلوق ، وهم بغير الله ، وجدّ في غير لقاء الله ، فيزيد شوقه يوماً فيوما ، حتّى ينسلك في سلك المشتاقين ، وحينئذ يشتاق اليه ملائكة ربّه ، فيبشره ملك الموت عند قبضه ، بقوله : ابشر يا ولي الله ، انّ الله اليك لمشتاق كما يأتي تفصيله في حديث المعراج هذا ، ومن اللّوازم في عبر مسئلة السّواك ، وامثالها من الآداب الجزئيّة الّتي ورد فيها مثل ذلك ، من التأكيد والفضل . والمثوبات الجليلة ، ان لا يستبعدها وان كان بعيداً في عقله ، بل عليه حينئذ ان يتفكّر في حكمها ، حتّى يظهر له بنور الفكرة ما يزيل عنه ظلم الشكوك، والارتياب فانّ الله موفّق للصّواب ، مثلا اذا لاحظ في مسئلة السّواك هذه الفضيلة العظيمة ، واستبعد عقله ان يكون لمثل هذا العمل البدنيّ الجزئي ، الّذي هو عبارة عن دلك الاسنان ، وتطهيرها من الفضل ان يزيد ثواب صلاته بسبعين ضعفاً ، وايّاه ان يقبل عن عقله هذا الحكم الصّادر من بادى نظره ، بل عليه ان يمعن النّظر ويغور في تفهّم حكم هذا الامر الجزئي ، وفوائده واذا تفكّر في ذلك ، واجال نظره فيه ، رأى انّه سبب لدفع فساد الدّماغ الّذي هو مركب عقل الانسان ، واذا اختل ، اختل العقل باختلاله وفساده والادلاك للانسان اعظم من فساد عقله ، صدّق قول الحكيم الصّادق في الحثّ عليه ، وحقّ الحكمة الالهيّة في جعل هذه المثوبات الجزيلة له واذا زاد في الفكر ورأى انّه سبب بقاء الاسنان ، اذ الاسنان له دخل عظيم في تحليل الغذاء ، الّذي به قوام البدن ، الّذي به حياة الانسان ،وطول عمره ، الّذي به يفوز الى الدّرجات العالية ، يزيد في تصديقه ، وايضا اذا امعن النّظر يرى انّ ميزان حسن الاعمال ، والافعال وقبحها ليس بالكثرة والقلّة ، بل باللّطف والدّقة ، فان شئت تصديق ذلك ، فانظر في خدّام السلاطين ، فانّ الجندي خدمته المقاتلة الّتي قد ينجر الى القتل

والهلاك ، واجرته شيء قليل ونذر يسير ، والوزير خدمته بعض التّدبيرات والفكرّيّات ، واجرته ووظيفته يزيد على وظيفة عشرة آلاف جندي ، فالعبرة في الخدمة بلطف العمل ، لاكثرته وشدّته ، فاذا كان الامر على ذلك ، فلم تستبعد ان يزيد مراقبة العبد لمولاه في تطهير اسنانه ، عند صلاته في عمل سبعين ضعفاً ، فيكون هذا التّضعيف في قبال لطف هذه المراقبة الدّقيقة ، بان لم يرض العبد ان يكون عند حضوره في محضر ربّه ، ومناجاته شيء من اعضائه ، لا سيّما عضوه الّذي هو طريق قرائة كلام ربّه ، متلوثا باثر شيء من الدنيا المبغوضة ، فهذه مراقبة لطيفة يستحق كلّ نوع من المثوبات الجزيلة ، فلا استبعاد إلاّ في النظرة الاولى والحمقى ، والحمد لله .

الفصل الرابع

ورد في الاخبـار ما يفهم منـه[1] التّـرغيب في التيـامن في الافعـال ، والاعمـال الشريفـة بل الـوضيعة والبـداءة باليمين عنـد الابتـلاء بكليهمـا ، فيعتبـر العاقـل عنده بـان ذلك كلّه من شؤونات الحكمـة الالهيّـة ، وبعبـارة اخرى من شؤونات ترجيح يمين الله ، وان كان كلتا يـديه يمينـا ، ولا يهمل المراقبة في شيء من افعاله ، واعماله ، فيبتلى بترجيح المـرجوح ، ثمّ لـه ان يلتفت انّ اليمين عبـارة عن الـطّرف القـوي من الـطرفين كعـالم الغيب بالنّسبة الى الشهادة ، وعالم الارواح بـالنّسبة الى عـالم الاجسام ، فلك ان تقـوى في جميـع حـالاتـك روحـك ، وسـرك وتخـدمـه حتّى تكـون من الـرّوحانيّين ، والكلمـة الجـامعـة تجمـع مـا جـاءت بـه الانبيـاء (ص) من الشرائع ، انّما هو ذلك ، فهم يريدون ان يعمّروا عـالم الغيب ويخدمـوه ، والنّـاس بـاغـواء الشيّـاطين ، يـريـدون تعمير هـذا العـالم المحسـوس ، فـالمضـادّة بينهم دائمـة ، ثمّ لا يخفى عليـك انّـه قـد يـرى من الأنبيـاء ،

---

(١) كما هو المشهـور : واستدل عليه بمـا روى عن النبي صـلى الله عليـه وآلـه إنـه كـان يحب التيامن في طهـوره وشغله وشأنـه كله ، وبما ورد في بعض الاخبـار ان الله يحب ما هو الايسر والاسهل ، ولكن الروايتين مرسلتـان ، والعمدة في المسئلة الشهـرة العظيمـة والانجبار بأدله التسامح فراجع .

والأولياء في بعض الاحيان التوجّه في تعمير هذه الـدنيا ، فهـو أيضاً خـدمة لعـالم الغيب ، وتخريب لعـالم الحسّ ، ووجـه ذلـك انّ تعميـر الآخـرة ، وتحصيل المعرفة لا يكون إلاّ بالحياة الدنيويّة ، فتعمير هـذه بقدر الضـرورة لبقـاء الحياة ، وبقـاء النـوع ليحصلوا بـه المعـرفـة ، ويعمـروا فيهـا الـدار الآخـرة لازم ، ولكن لا يكون ذلـك أزيد من قـدر الحاجـة ، فتعميـر أهـل الحقّ للدنيـا واشتغالهم بـه من باب المقـدّمة بقـدر الضـرورة ، وتعمـير أهـل الـدنيا من جهـة انها بنفسها مـطلوبـة عنـدهم ، ومعشـوقـة لهم ، يـريـدونها ويحبّونها لنفسها ، لا بشيء سواها ، ويقـدرونها بجميع مـا سواهـا ، هذا كـما قـد يرى من ذكـر اهل الـدنيا واشتغـالهم بأمـر الآخرة تقيَّـة من أهل الحق ، حيث يـرون حفظ سعاداتهم الـدنيويـة في ذلك ، فـذكرهم الآخـرة انّمـا هـو للدُّنيا .

الفصل الخامس

ومن العبر عند ملاحظة آداب الوضوء من الدعوات ، ان يتأدّب الانسان في جميع أحواله ، وأفعاله بما علّمه الشارع من ذكر الله بما يناسب هذا الحال وهذا الفعل والدعاء للحفظ والبركة ولذكر ما يناسبه من امور الآخرة والدعاء لها ، ومن هذا الباب الأدعية الّتي أنشأها السيّد ابن طاوس قدّس سرّه لبعض الأحوال ، والأفعال ، فانه وإن لم يأخذها بالخصوص من الروايات ، الا انّه أخذها ممّا يفهم من الروايات والعمومات .

الفصل السادس

والعبـرة عند رؤيـة الماء واستعمـاله ، مـا في مصبـاح الشـريعـة قال الصادق إذا اردت الوضوء ، فتقدّم إلى المـاء يقدمـك إلى رحمة الله ، فـإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاتـه ، ودليلاً إلى بسـاط خدمتـه ، وكما انّ رحمته تطهّر ذنوب العباد ، كذلك النجاسات الظاهـرة يطهّـرها المـاء لا غيره .

قـال الله تعـالى : ﴿ وهـو[1] الّـذي أرسـل الـريـاح بشـراً بين يـدي رحمتـه ﴾ وقـال : ﴿ أنــزلنـا من السمــاء مـاءاً طهــوراً ﴾[2] ، وقـال : ﴿ وجعلنـا [3] من الماء كـلّ شيء حيّ أفلا تعقلون ﴾ فكمـا احيى بـه كـلّ شيء من نعيم الدنيا ، كذلك بفضله ورحمته جعل حيـاة القلوب بالـطاعات وتفكّـر في صفاء المـاء ورقّته[4] وبـركته وطهـوريّته ، ولـطيف امتزاجـه بكلّ شيء وفي كــلٍّ شيء ، واستعمـله في تــطهيــر الأعضــاء الّـتي أمــر الله

---

(١)الاعراف : الآية ٤٨ .

(٢) الفرقان : الآية ٤٨ .

(٣) الانبياء : الآية ٣٠ .

(٤) وتزكيته وطهوريته خ ل .

بتطهيرها ، وأت بآدابها فرايضه وسننه ، فانّ تحت كلّ واحد منها فوائد كثيرة ، إذ استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ثمّ عاش خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء ، يؤدّي كلّ شيء حقّه ، ولا يتغيّر عن معناه معتبراً لقول رسول الله (ص) مثل المؤمن الخاص كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعاتك كصفوة الماء ، حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً ، وطهّر قلبك بالتقوى ، واليقين عند طهارة جوارحك بالماء .

وعن الرضا (ع) [١] إنّما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار عند مناجاته إيّاه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيّاً من الأدناس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل ، وطرد النعاس ، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبّار ، وانّما وجب الوضوء على الوجه واليدين ، والرأس والرجلين ، لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار فانّما يكشف من جوارحه ويظهر ما وجب الوضوء ، وذلك انّه بوجهه يسجد ويخضع ، وبيده يسئل ويرغب ، ويرهب ويتبتّل ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، وبرجليه يقوم ويقعد الخ ، هذا .

ويلزم على العاقل بحكم عقله انّه إذا علم من الشريعة لزوم طهارة مكانه ، الّذي هو طرفه الابعد ثمّ ثيابه الّذي هو غلافه الأقرب ، ثمّ جلده الّذي هو قشره الأدنى ، فلا يسعه أن يغفل عن تطهير لبّه الّذي هو ذاته وهو قلبه ، فعليه أن يجتهد في تطهيره ازيد من غيره لأنّه موضع نظر ربّه ، وتطهيره بالتوبة النصوح ، فانّ الباطن انّما يطهر بها ، أما سمعت [٢] قول الصادق (ع) وطهّر باليقين والتقوى قلبك ، فإنّ اليقين يورث التقوى ، والتقوى لا يكون إلّا بالتوبة ، وإذ قد تمهّد ذلك فاعلم إنّ التوبة أهمّ من الطهارة في الصلاة فيجب أن يعلم حقيقتها فأقول :

---

(١) في العيون : وعلل الشرايع للصدوق عليه الرحمة واشار اليه في الوسائل .

(٢) في حديث مصباح الشريعة الذي مر آنفاً .

حقيقتها فهو ان يرجع العبد من غير الله إلى الله وإن شئت قلت : من مكروه الله إلى رضاه ، وإن شئت قلت : من بعده إلى قربه ، وإن شئت قلت من الظلمة إلى النور ، وإن شئت قلت : من الجهل إلى العلم ، وإن شئت قلت : من الشقاوة إلى السعادة ، وإن شئت قلت من المعصية إلى الطاعة .

ويكتمل من علم وحال وعمل ، ويتحقّق بكلّ منها لأنّ كلّها مطلوبة مستقلاً ، واضدادها بخلافها ، فالرجوع عنها يسمّى توبة .

أمّا العلم فاجماله ان يعلم انّ الحال الّذي فيه هو ، مورث الشقاوة أو مانع من السعادة ، وتفصيله ان يعلم جميع مراتب العلوم النافعة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر مع استشعار الحرمان من السعادات اللاّزمة لها ، والكائنة فيها .

وأمّا الحال فالتحسّر بالشقاء ، وقصد أنّ السعادة في الماضي والحال والاستقبال والرغبة بالتدارك في الأحوال الثلاثة .

وأمّا العمل فبالرجوع والخروج عمّا كان ، والعزم لادامته فيما يكون والرجوع اجمالا ان يحصل معنا يتدارك به ما تحس بسببه للعاجل والآجل وهو ان كان متعلّقاً بحقّ من حقوق الله ، فله تداركه بالقضاء ومحو الآثار ، ومنه اذابة اللّحم الناشيء من المعصية ، واذاقة النفس ألم الطاعة بقدر التذاذها بالمعصية ، وصفائها بالنور بقدر تكدّرها بظلمة المعصية ، وإن كان متعلّقاً بحقوق المخلوق ، فإن امكنه الاداء فباداء حقوقهم ، ولو بالاستعفاء والاسترضاء مع محو الآثار كما مضى ، وإن لم يمكنه ذلك كما إذا خان مثلاً مؤمناً في عرضه ، فانّه لا اداء له ، وقد يكون الاستعفاء والاسترضاء مورثاً للفتن ، فله ان يستغفر له ، ويعمل له اعمالا صالحة بقدر ما يتدارك به الخيانة ، ثمّ محو الآثار وان كان من قبيل الحيوانات ، فإن امكنه أن يعوّضه من

اضـراره بنحو يقـابله ثمّ محو الآثـار ، فله ان يتداركـه احتياطـاً ، وهذا كلّه يفهم من التدبّر فيما روى[1] عن أمير المؤمنين ، أنّه قال ، لقـائل بحضـرته استغفـر الله ثكلتـك أُمّـك ، أتـدري مـا الاستغفـار ؟ انّ الاستغفــار درجـة العلّيّين ، وهو إسم واقعٌ على ستّة معانٍ :

أوّلها : الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العود إليه أبدا .

والثـالث : ان تؤدّي إلى المخلوقين حقـوقهـم ، حتّـى تلقـى الله أملس وليس لك تبعـة .

والرابع : ان تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها ، تؤدّي حقّها .

الخامس : ان تعمـد إلى اللحم الّـذي نبت على السحت ، فتـذيب بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم ، فينبت بينهما لحم جديد .

السـادس : أن تـذيق الجسم ألم الـطاعـة ، كمـا أذقتـه حـلاوة المعصيـة ، فعند ذلـك تقـول : استغفـر الله ، وفي مصبـاح الشـريعـة قـال الصّـادق (ع) : التوبـة حبل الله ، ومـدد عنايتـه ولا بـدّ للعبـد من مـداومـة التوبة على كلّ حال .

وكل فرقة من العباد لهم توبة .

فتوبة الأنبياء من اضطراب السر .

وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات .

وتوبة الأصفياء من النفس .

وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله .

وتوبة العام من الذنوب ، ولكلّ واحـد منهم معرفـة ، وعلم في أصل

---

(١) كما في نهج البلاغة وغيره .

توبته ومنتهى أمره ، وذلك يطول شرحه هيهنا .

فأمّا توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة ، والاعتراف بجنايته دائماً ، واعتقاد الندم على ما مضى ، والخوف على ما بقى من عمره ، ولا يستصغر ذنوبه ، فيحمله ذلك إلى الكسل ، ويديم البكاء ، والأسف على ما فاته من طاعة الله ، ويحبس نفسه من الشهوات ، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ، ويعصمه من العود على ما سلف ، ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ، ويقضي الفوائت من الفرائض ، ويردّ المظالم ، ويعتزل قرناء السوء ، ويسهر ليله ، ويظمأ نهاره ، ويتفكّر دائماً في عاقبته ، ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرّاءه وضرّائه ، ويثبت عند المحن والبلا كيلا يسقط عن درجة التوّابين هذا ، وقد ذكر بعض السلف [1] من العرفاء للتوبة حقائق واسراراً ولطائف الاسرار ، وذكر في الأوّل ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، واتهام التوبة ، وطلب اعذار الخليقة ، والمراد من الأوّل ما أشار إليه الصادق (ع) من قوله : ولا يستصغر ذنوبه ، والمراد من الثّاني ما أشار إليه بقوله : ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته والمراد من الثالث ما اشار اليه بقوله ويردّ المظالم .

وذكر في السرائر تميز التقيّة من العزّة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة ، والمراد من الأوّل أن يخلص توبته من الرياء ، والمراد من

---

(١) وهو العارف الكامل الخواجه عبد الله الانصاري الهروي ينتهي نسبه الى أبي أيوب الانصاري الصحابي المشهور ، صاحب التأليف والحافظ للأحاديث الكثيرة المتوفى سنة ٣٨٣ او (٣٩٦) او (٣٩٧) ، ومن تآليفه : منازل السائرين الى الحق ، والمناجات الفارسية المشهورة ، ونقل الكلام المذكور في المتن من كتابه منازل السائرين ، الذي شرحه العارف كمال الدين ، المولى عبد الرزاق بن جمال الدين اسحاق الكاشاني ، صاحب تأويل الآيات واصطلاحات العرفاء ، وشرح نصوص الحكم وشرح منازل السائرين ، وغيرها المتوفى سنة ٨٨٧ .

الثاني أن يشتغل بذكر الله بعد التوبة ، حتّى ينسى جنايته ، وتوبته من الجناية ، وهو وإن كان حالا ومقاماً سنيّاً ، إلّا أنّه لا يدخل في التوبة ، والمراد من الثالث على الظاهر التوبة من التوبة لنقصها ، أو التوبة من التوبة الّتي يراها بحوله وقوّته ، وكلاهما جيّد ، ولكن عدّ ذلك في تلو الثاني لا يخلو عن شيء [١] .

وذكر في الثالث أيضاً ثلاثة :

الأوّل : ان تنظر بين الجناية والقضيّة ، فتعرف مراد الله إذ خلاك واتيانها فانّ الله انّما يخلي بين العبد والذنب لاحد معنيين :

أحدهما : ان تعرف عزّته في قضائه ، وبره في ستره وحلمه في امهال راكبه ، وكرمه في قبول العذر عنه ، وفضله في مغفرته .

أقول : التفكّر في هذه الأحوال اشتغال عن جهة الذنب ، والتوبة بالله من جهة الصفات والأفعال ، وهذا من وجوه قوله (ع) في بعض الروايات : مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك ، قال : والثاني ليقيم على العبد حجّة عدله ، فيعاقبه على ذنبه بحجتّه ؛ واللّطيفة الثانية ان يعلم انّ طلب البصير الصّادق سيّئته ، لم يبق له حسنة بحال لأنّه يصير بين مشاهدة المنّة وتطّلب عيب النفس والعمل ، يعني انّ البصير الصّادق يرى جميع سيّئاته من جهة نفسه ، وخيراته من جهة الربّ فهو أولى بسيّئاته ، والله أولى بحسناته فلا يبقى له حسنة ، إذا طلب حقيقة الحال .

قال : واللّطيفة الثالثة انّ مشاهدة العبد الحكم ، لم تدع له

---

(١) أي سرائر حقيقة التوبة ، حيث قال : وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء تميز التقيه من العزة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة .

والمراد من العزة الجاه بين الناس : بأن يتميز ان توبته منبعث من التقوى والرياء والجاه بين الخلق والحشمة عندهم .

وان شئت توضيح كلامه وتفصيل مرامه تراجع الى الكتاب المذكور وشرحه .

استحسان حسنة ، ولا استقباح سيّئة لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم .

قال : الشارح في شرح هذه الفقرة : مشاهدة الحكم ان لا يرى مؤثّر إلّا الله ، ولا حكماً ولا أثراً ، ولا فعلا إلّا له ، فيتحقّق العبد عياناً معنى قوله كلّ شيء هالك إلّا وجهه له الحكم .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاولى قوله تعالى : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك** ﴾ ومن الثاني قوله : ﴿ **قل كلٌّ من عند الله** ﴾ وكلّ ناظر إلى جهة .

قال : فتوبة العامّة لاستكثار الطاعة ، فانّه يدعو إلى ثلاثة أشياء : إلى جحود نعمة الستر والامهال ، ورؤية الحقّ على الله تعالى ، والاستغناء الّذي هو عين الجبروت والتوثّب على الله ، اي العامّة ترى التوبة من حسناته ، فيقدم عليها من جهة تحصيلها ، ولا ينظر إلى جهة جناياته، ونعمة ستر الله عليه وامهاله، حتّى يتوب ، وأيضاً اذا نظر اليها من جهة انّها من حسناته يرى له المنّة والحقّ على الله ، فيستغني عن الله من جهة قبولها ، وعفو آثار الجنايات ، قال : توبة الاوساط من استقلال المعصية ، وهو عين الجرئة والمبارزة ومحض التديّن بالحميّة ، والاسترسال للقطيعة ، والمراد من الأوساط الّذين يعتقدون من بعض ما رأوا من الحالات ، بل وبعض ما سمعوا من الآيات والروايات ، ولم يصلوا إلى المراد منها : انّهم مجبورون في أفعالهم ، وانّ سيّئاتهم بحكم الله وقضائه وقدره ، وانّ ذلك يؤثّر في عدم استحقاق المذمّة لأنفسهم من جهة هذه الأفعال القبيحة ، واغتروا ببعض أوائل المعارف ، ووقعوا في خطر عظيم أعظم من جهل العامّة ، وهو عين الجرءة والمبارزة ، وعلّة وقوعهم في هذا الجهل حمية أنفسهم من قبول نسبة القبيح ، وذلّ الاعتراف ، وهذا الحال استرسال للقطيعة .

قـال : وتوبـة الخـاصّـة من تضييـع الـوقت ، فـانّـه يـدعـو إلى درك النقيصـة ويطفي نـور المراقبـة ، ويكـدّر عين الصحبـة ، أي حـال التـوبـة للخـواصّ من جهة دركهم نقيصـة الذنب ، يكـدر لهم صفاء المـراقبة الّتي يكـون للمقرّبين ، قـال : ولا يتمّ التوبـة إلاّ بالانتهـاء إلى التوبـة ممّـا دون الحقّ ، ثمّ رؤيـة علّة تلك التوبـة من رؤية تلك العلّة أي تـوبة أهـل القرب يكون من كلّ مـا يشغله عن الحقّ ، حتّى رؤية انّـه تاب عن الأشتغـال بغير الحقّ ، فيكمل لذّة الوصال عند نسيان الغير والغفلة عن النسيان .

أقـول : وللمقـرّبين أيضـاً درجـات بعضهـا فـوق بعض ، فيشبـه أن يكون هذا ، مقـام توبـة الخواص في كـلام الإمام الصـادق (ع) في مصباح الشـريعة ، حيث قـال : وتـوبـة الخـاص من الاشتغـال بغيـر الله ، ويمكن تـطبيقه بتـوبة الأوليـاء أيضاً في كـلامه ، وإذ قـد عرفت بعض مـا فيهـا من الأسـرار ، فـاعلم انّــه لا يخلو أحـد من الاحتيـاج إلى التـوبـة ، حتّى الأنبيـاء ، والشاهـد على ذلك مـا يرى من اختـلاف أحوالهم ، فـانّ وجـود الاختـلاف ، دليل على أنّ لهم أيضـاً أحوالا بعضهـا فـوق بعض ، فيكـون الرجوع عن الأدنى تـوبة ، وقـد سمعت ما في مصبـاح الشريعـة : انّ توبـة الأنبيا ء من اضطراب السـرّ ، وكان[1] رسـول الله يستغفر كـلّ يوم مـائةمـرّة من غيـر ذنب ، على ما في الـرواية ، وأنت إذا تـأمّلت في معنى التـوبـة ، وكيفيّـة خلق العباد وتـرقيهم ، علمت وجه احتيـاج الكلّ إلى التـوبة فـانّهـا عبـارة عن الـرجـوع من حـال ادنى ألى أعـلا منه ، وليس في الـوجـود إلاّ الـذات الغني بالـذات ، موجـود وجد كـامـلا بحيث لا يحتـاج إلى التـرقّي والتكميـل ، وذلـك يصحّـح معنى الحـاجـة إلى التـوبـة في الكـلّ ، وأمّـا

(١) ففي الكـافي « باب الاستغفـار من الذنب » عن زيـد الشحام عن أبي عبـد الله عليـه السلام قـال : كـان رسـول الله يتـوب الى الله عـز وجـل في كـل يـوم سبعـين مـرة الحديث .

وفيه « في باب نـادر » في رواية : ان رسـول الله صلى الله عليـه وآله كـان يتوب الى الله ، ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة .

الأغلب فلأنّ العقل الّذي به كمال الانسان ، وطاعة الرحمن ، لا يكمل في المخلوق إلّا بعد كمال الشهوة والغضب ، وسائر الأخلاق المذمومة ، والعلم لا يعمل إلّا بعد الجهل ، ومعلوم انّ الجهل وسائر الصفات المذمومة أسباب المعصية ، بل هي من المعصية يجب التوبة عنها ، فإنّ العقل يظهر مباديه بعد سبع سنين ، وأصله عند مراهقة البلوغ ، والشهوة موجودة قبل التولّد ، والتوبة عبارة عن قبول حكم العقل في الزجر عن التوغّل في الشهوات ، هذا وجه حاجة الكلّ إلى التوبة ، وأمّا وجه دوام الحاجة إليها ، فهو انّ البشر لا يخلو من معصية بجوارحه ، او الهم بالمعصية والخواطر ، والوساوس المذهلة عن ذكر الله ، أو غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته ، وبآثاره بحسب الطاقة ، وكلّ ذلك نقص ولها اسباب ، وتركها والإشتغال بأضدادها رجوع عن النقص إلى الكمال ، كلّ بحسبه كما سمعت انّ الأنبياء انّما يعرض عليهم اضطراب السرّ ، فيتوبون عنه ، ثمّ انّ قبول التوبة الصادقة من كلّ أحد ، حتّى المرتد بقسميه[1] مقتضى الأدلّة العقليّة ، والنقليّة ، وإنّما الكلام أنّها قد يكون الذنب بحيث يعسر منه التوبة ، بل قد يعذر كما إذا انطبقت ظلمة المعاصي في القلب ، أو فعل فعلا لا يمكن تداركه كما إذا أضلّ المسلمين ، فكفروا باضلاله ، وماتواعلى الكفر ، نعوذ بالله وأمّا إذا امكنه التّوبة بشرائطها ، فلا خلف في القبول ، هذا .

وروي عن أمير المؤمنين[2] : انّه قال الذنوب ثلاثة : فذنب مغفور ، وذنب غير مغفور ، وذنب يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه ، قيل :

---

(١) من الفطري والملي .

(٢) كما في نهج البلاغة ورواه في الكافي عن علي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن حماد عن بعض اصحابه رفعه قال : صعد أمير المؤمنين بالكوفة المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس ٥١ باختلاف في بعض فقراته ، وسقط بعض جملاته ولم يذكر الذنب الثالث الذي يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه فراجع .

يـا أمير المؤمنين فبيّنهـا لنا ، قـال : نعم أمّا الـذنب المغفور ، فعبـد عاقبـه الله على ذنبـه في الـدنيـا والله تعـالى احلم وأكـرم من أن يعـاقب عبـده مرّتين ، وأما الذنب الّذي لا يغفـره الله ، فظلم العبـاد بعضهم لبعض ، إنّ الله اذا بـرز لخلقه ، أقسم قسمـاً على نفسه ، فقـال : وعـزّتي وجـلالي لا يجـوز في ظلم ظالم ، ولو كفّـاً بكفّ ، ولا مسحـة بكف ، ولا نـطحـة مـا بين القـرنـاء والجمّـاء فيقتصّ للعبـاد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحـد مـظلمة ، ثمّ يبعثهم الله للحسـاب ، وأنت إذا تأمّلت في الخبـر الشريف ، علمت أنّ مـراده (ع) من غيـر المغفـور مـا لا يتـدارك بـردّ المـظالم ، أو الاستـرضاء ، وهـذا الّذي في الخبـر ابقى الظلم بحـاله من الآخـر ومـن المـرجوّ أمّـا ما يكـون التوبـة فيه نـاقصـة من جهة محو آثـاره أو الحكم لله تعـالى بما وعـده لعباده فهـو سـوء أدب لأنّـه الـزام بـالفضـل ، وأمّـا عـدم الحكم له بنفي القبيح عنـه ، فهو ايضاً سوء أدب ، وان احكم في الأوّل ، وتـرجى في الثاني كـان حسناً ثمّ انّ الـذنب امّا كبيـرةأو صغيرة ، واجتنـاب الكبائر ، والصلوات الخمس تكفّر الصغائـر ، كما ورد في الكتـاب والسنّة ، قـال الله تعـالى [1] : ﴿ **ان تجتنبـوا كبـائـر مـا تنهـون عنـه ، نكفّـر عنكم سيئّـاتكم** وقـال : ﴿ **والّـذين [2] يجتنبـون كبـائـر الاثم والفـواحش ، إلا اللّمم** ﴾ قـال رسـول الله : « الصلوات الخمس ، الجمعـة إلى الجمعـة تكفّر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر » ، والروايات وكـذلك الأقـوال تختلف في تحديد الكبيرة والصغيرة ، عن الصادق عليه السـلام في تفسير الآيـة الأولى قـال : « الكبيـرة مـا أوجب [3] الله عليهـا النـار » وعنـه انّـه سئـل [4] عن الكبـائر ، فقـال : هنّ في كتاب علي سبـع : الكفر بـالله ، وقتل النفس ،

(١) النساء : الآية ٣١ .

(٢) الشورى : الآية ٣٧ .

(٣) الكافي باب الكبائر عن الحلبي عن الصادق عليه السلام .

(٤) في الكافي ايضاً باب الكبائر عن عبيد بن زرارة عن الصادق عليه السلام .

وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البيّنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتعرّب بعد الهجرة ، قيل : فأكل درهم من مال اليتيم أكبر ، أم ترك الصلاة ؟ قال : ترك الصلاة ، قيل : فما عددت ترك الصلاة في الكبائر ؟ فقال : أيّ شيء أوّل ما قلت لك ؟ قال : الكفر ، قال : فانّ تارك الصلاة كافر .

أقول : الاخبار مختلفة جدّاً وأنا اعد كلّما ذكر في الاخبار من الكبيرة فيعلم وجه الاحتياط ، ثم اذكر ما يقوى في نظري . وقد مضى منها في الرّواية المزبورة سبع ، وذكر في [1] غيرها اليأس من روح الله ، والامن من مكر الله ، وقذف المحصنة ، والسّحر ، والزنا ، واليمين [2] الغموس ، والغلول [3] ، ومنع الزكاة المفروضة ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، وترك الصلاة متعمّداً أو شي ء ممّا فرض الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرّحم والسرقة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله ، من غير ضرورة ، والسحت ، والميسر ، والقمار ، والبخس في المكيال والميزان ، واللّواط ، والقنوط من رحمة الله ، ومعونة الظالمين ، والرّكون اليهم وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب ، والكبر ، والاسراف ، والتبذير ، والخيانة ، والاستخفاف بالحج ، والمحاربة لاولياء الله ، والاشتغال بالملاهي والاصرار على الذّنوب ، وانكار حقّ اهل البيت ، وكل ما اوجب الله عليه النار .

أقول : أقل الروايات انها خمس ، وهي الشرك بالله ، وعقوق

---

(١) هي رواية عبد العظيم عبد الله الحسني المذكورة في الكافي فراجع .

(٢) اليمين الغموس : هي التي تغمس صاحبها في الاثم ثم في النار والمراد منها . اليمين الكاذبة .

(٣) الغلول : الغل والغلل العطش اوشدته والمراد منه هنا هو الاكل من بيت المال قبل القسمة كما في الآية الشريفة : ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . وورد في تفسيرها اخبار كثيرة بهذا المضمون .

الـوالدين واكـل الربـاء بعـد البينـة ، والفـرار من الـزحف ، والتعـرّب بعـد الهجرة ، وهذه الـرواية صحيحـة ، وفيها بعض تصـريح على انّ السـرقة ، والـزنـا ليس منهـا ، وفي بعضهـا انّ المـلاهي الّتي تصدّ عن ذكـر الله مكروهة ، كالغنا وضرب الاوتار .

أقول هيهنا امران :

الاول : رفـع الاختـلاف من الاخبـار ، وبيـانـه انّ من المعلوم بـانّ الكبيـر والصغير أمـران اضافيـان فالـزنـا بـالنسبـة الى القبلة واللمسّ كبيـرة قطعاً ، والقبلة واللمس بالنسبة الى النظر كبيرة ، وهكـذا فلعلّ الاخبـار كل يحد الكبيرة من جهة حكم خاصّ ، مثـلاً بعضها نـاظر الى الكبيـرة الّتي لا يكفرها الصلاة ، وبعضها نـاظر إلى الكبيـرة الّتي يكفر اجتنـابها الصغـائر ، وبعضهـا ناظـر إلى الكبيـرة الّتي نـاقض العـدالـة ، وهـذه ايضـا اختـلافهـا باختلاف العدالة المشروطة مثلا في الشهادات ، وغيرها من الاحكام .

والثاني : فقه المسألة ، وبيانه انّ الّـذي صرّح بـاشتراط اجتنـابها في قبـول الشهادات ليست مـطلقة ، بـل اجتناب الكبيـرة الّتي أوجب الله عليها النـار ، هذا بحسب الـواقع ، وامـا بحسب الظاهـر فـالاخبـار متـظافـرة في الاكتفـاء بحسن الظاهـر ، إذا لم يكن متجاهـراً بالفسق ، والتـزم الجماعـة وعـرف بين الناس بـالستر والعفـاف ، هذا في الشهـادات والولايات ، غيـر ولاية الفتوى .

وأمّـا صـلاة الجمـاعـة فليس في اخبـارهـا مـا يشـرط فيــه اجتنـاب الكبـائر ، بـل ولا العـدالـة ، بـل وقـع النّهي عن الصـلاة بمـرتكبي بعض الكبائر ، مثـل قولـه لا تصل خلف شـارب الخمر ، وآكـل لحم الخنزيـر ، ومن يقتـرف الذّنـوب بل الاقـوى جـواز الصـلاة خلف مجهـول الحـال من الشيعة ، فليس لتعيّن خصوص الكبيرة اهميّة للعمـل ، بل الحكمـة الالـهيّة مع فضله لعلّهما يقتضيان خفائها لامرين :

أحدهما :- أن يجتنب المنقول إليه من جميع الذنوب من جهة الاحتياط ، والاخر أن لا يكون المقترف مقترفاً عالما ، فيخفّ عقابه بجهله ، وهذا المقدار من الكلام في تحقيق الكبيرة كاف ، والأهمّ بمرادنا والانسب بكتابنا هو تحقيق أن الصغيرة إذا اعتقدها المقترف صغيرة ، وكان في نظره هيّنا كبرت بقدر اعتقاده صغرها ، كما انّ الكبيرة كلّما ازداد كبرها في نظر العارف ، صغرت عند الله ، وأيضاً حكم الصغر في الصغيرة من باب الفضل ، وأمّا في الواقع بحكم العقل فكلّ مخالفة لامر الله كبيرة ، يجب على مرتكبها النار باستحقاق ، بل هذا حكم كل ما منع منه الشارع ، ولو بالكراهة الاصطلاحية بل وهذا حكم كل مباح يصير سبباً للغفلة عن ذكر الله ، بل الاشتغال بغير الله ولو مع عدم نسيان الذكر ،فالعقل بعد تصور حضور الله ، وعظمته ولطفه وطلبه العبد الى أنسه وذكره ، يعد كلّ ما يخالف هذا الطلب ولو بعدم الاهتمام كبيرة .

وبعبارة اخرى الادبار على الملك المنعم في حضوره ، والاشتغال بعدوّه عند العقل كبيرة ، ولكنّ الله جل كرمه ، وعظم فضله بفضله لم يجعل للصغيرة ولا المكروهات الاصطلاحية ، ولا المباحات عقاباً . وبملاحظة هذا الفضل أيضاً يشتدّ حكم العقل بقبح هذه المراتب كلّها ، وبالجملة كلّ المخالفات كبيرة في نظر العقل ، ولكن الفضل الالهي انّما صغر بعضها ولكن ذلك فيما إذا لم يعدها العبد صغيراً .

وقد ورد عن الصادق (ع)[١] أنه قال : قال رسول الله (ص) اتّقوا المحقّرات من الذّنوب ، فانّها لا تغفر . قيل : وما المحقرات ؟ قال : الرّجل يذنب الذنب ، فيقول طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك ، وقال : إنّ الله يحب العبد ان يطلب الله في الجرم العظيم ، ويبغض العبد ان يستخفّ بالجرم اليسير وبالجملة ما يكبر به الصّغيرة الاصرار ، وقد[٢]

(١) اصول الكافي باب استصغار الذنوب عن زيد الشحام .

(٢) في الكافي باب الاصرار على الذنب عن عبد الله بن سنان .

ورد لا صغيرة مع الاصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار ، والإصرار كما عن أهل اللّغة الادامة للشيء ، ولكن الاستغفار يبطل حكم السابق ، فيكون الارتكاب ثانيا مع الاستغفار له ايضاً ، وعدم العزم الّذي ينافيه الاستغفار ، بحكم الواحد الغير المتكرّر .

عن الباقر (ع)[1] في قوله تعالى : ﴿ **ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ قال الاصرار ان يذنب الذّنب ، فلا يستغفر . ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاستغفار التوبة ، كما هو المراد في بعض الاخبار ، فيكون ولا يحدث نفسه بتوبة من عطف التفسير ، ويمكن أن يكون بمعنى الدعاء بالمغفرة للذّنب ، فيتحقّق الاصرار حينئذ بشرطين :

أحدهما عدم الاستغفار ، **والثّاني** التوبة ، فإذا وجد احدهما لا يكون العبد مصرّاً ، وليته كان كذلك ، ولكن جماعة افتوا بعدم كفاية الاستغفار ، وشرطوا العزم على التّرك ، وان خالف عزمه الفعل ثانياً ، ولكن من الاستغفار والعزم على الترك يفاد من جملتها السّرور بالصغيرة ، واعتداد التمكّن من ذلك نعمة ، لكن مع العلم بكونه ذنباً مكروهاً ، ولكن إذا جهل كونه معصية ولم يكن في جهله مقصرا ، وسرّ من اجل انّه يحسبه حسنة ، ومقربة من رضا الله ، فلا أظنّ أن يكوْن هذا السّرور سبباً لكونها صغيرة ، بل يمكن ان لا يكون محرماً بل ويمكن في بعض الموارد ان يكون راجحاً في حقه ، ومثاباً بسروره ، وبالجملة الفرح والسّرور بالتمكّن من المعصية الصّغيرة ، يكبرها ، بل اللازم على المؤمن ان يتحسّر بذنوبه ، ويتأسّف عليها ، ويكون في مصيبة من ابتلائه بما

---

(١) ايضاً الكافي ـ باب الاصرار على الذنب ولكن لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وآله .

يوجب بعده من رضاء الله جلّ جلاله ، ومن جملتها الاظهار لان فيه كفران لنعمة ستره تعالى ، وقد يكون تحريكاً لرغبة الغير ، بل قد يكون تهيّة لاسباب السرور ، وبتفاحش الامر بل مجرد الاظهار يلازم هتك النواميس الالهيّة ، وان لم يكن فيه شيء ممّا ذكر ، وعن [1] الرّضا (ع) ، قال رسول الله (ص) : المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة ، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له .

نعم هنا شيء ، وهو انه قد يكون الاظهار في بعض الموارد معظّما على النفس ، ولكن مع تأسف وتحسّر ، وتعظيم للامر ، فلا يكون حكمه حكم سابقه ، ولكن ذلك ايضا امر ذوقيّ لم يرد به تعبّد ، بل الوارد لنا بخلافه ، فالأحوط تركه او اذا كان العبد في مقام الاستعلاج ، والاستفتاء من عالم ، ويرى استكماله في ذلك ، أظنّ ان لا يكون ذلك مرجوحاً كما قد اتّفق امثال ذلك لبعض المؤمنين في الاستعلاج من الائمة ، ومن بعض العلماء ، ولم يتعرّضوا لنهيهم ، ولا يذهب عليك انّ هذا المرجوح من الاظهار انّما هو مختصّ باظهار المعاصي بخصوصها ، وبعينها وامّا اظهار التقصير والذنوب بالعموم باعظام واظهار تأسف وهو غير مرجوح بل هو من دأب الاكابر حيث يظهرون من انفسهم انّهم من أهل الجنايات والتقصيرات ، لا سيّما في المكاتيب ، بحيث صار المذنب والعاصيّ ، والجاني من القاب المؤمن عند ذكر نفسه في الكتب والرسائل ، هذا ايضا بالنسبة إلى الناس ، وأمّا بالنسبة إلى الخالق باظهار التأسّف والتحسّر ، والاحتراق والاسترحام ، والاستغفار وذكر نعمة الامهال ، والسترّ والمغفرة ، بل الاقرار والاعتراف بالذنب ، وقلّة الحياء فهو من اعظم وجوه المناجات ، وله خاصية عظيمة في قبول التوبة ، وتنوير

---

(١) ايضاً الكافي عن العباس مولى الرضا عليه السلام وعن اليسع بن حمزة عنه نفسه عليه السلام .

القلب بل الكمّل من الاولياء يعدون حسناتهم سيّئات بوجه من المعاريض يخرجه من الكذب الصّريح ، بل كان دأب جماعة من الاعاظم التعبير من عباداته ، واعماله ومجاهداته وزراً ، والوجه في ذلك انّ عظمة الامر قد يجعل المحتمل محقّقاً في الانظار ، بل قد يجعل غير المحقق كالمحقّق ، ومعروف انّ الّذي لدغته الحيّة يخاف من الخبال ، مع علمه بانّ الحبل لا يلدغ ولعلّ من هذا الباب ما ورد في الاخبار انّ من تمام الاخلاق الحسنة أن يقطع الانسان انّ كلّ أحد أتقى منه ، انّا لله وانا اليه راجعون من مصيبة الغفلة ، والعجب والدّلال الّذي يشهد عليه جميع احوالنا وحالاتنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، وإلى الله الكريم المشتكى من شرور انفسنا ، وغرورها بربّنا الكريم ، فانّه قد غرّنا بالله الغرور ، فالمستعان من الربّ الغفور ، ومن جملتها أن يكون المذنب ممن يقتدى به كالعلماء ، وبعض المعروفين بالقدس والتقوى ، فانّ الصغيرة منهم قد يصير سبباً لكبائر الذنوب من العوام ، وذلك ما يعمله من السيّئات بحيث يراه النّاس ، وان كان العلم بنفسه يكبر معه قبح المخالفة من بعض الوجوه ، ولكن المراد هنا ما يكبر من جهة اقتداء العوام به ، فانّ للعالم وظيفتين :

الاولى : ترك الذنب ، والثانية اخفائه إذا ابتلى هذا ومن المؤثّر في محو آثار الذنوب اتباعها بالحسنات ، لا سيّما الخوف والبكاءِ والصدقات ، وآثر من الكل التحابّ في الله لا سيّما محبة آل محمّد ، ويتبعه محبّة شيعتهم ومواليهم .

والمؤمن انّما يغفره الله ، وان لم يتشبّث بهذه الاسباب وغيرها ، كان يبتليه بالمصائب ، والبلايا في نفسه واهله وماله وجاهه ، فيكون ذلك كفارّة لذنوبه كما في بعض الاحاديث القدسية اهل معصيتي لم اقنطهم من رحمتي فان ماتوا فانا حبيبهم وان مرضوا فانا طبيبهم وان لم يتوبوا فبالمصائب والبلايا اطهرهم ومن هذا الباب ورد ان كل ما يصيبه الانسان

حتّى ضرب العرق والصداع والنكبة فهو من ذنوبه ، فالبلايا كلها رحمة للمؤمن ، فله ان يستقبلها بقبول حسن ، كما ورد انّه قال الله لبعض [١] انبيائه اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصّالحين وإذا رأيت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته فإذا البلايا والمصائب الدنيويّة من نعم الله تعالى للصالحين ، كما ان النّعم الدنيوية عقوبة من وجه هذا .

وأمّا علاج الاصرار والدواء لتحصيل التوبة ، فهو بتحصيل اسبابها وهي العلم والذّكر والفكر والمجاهدة بالعمل أمّا العلم فبأن يعلم انّ الاخرة خير وابقى ، وانّ الذنوب موجبة للشقاوة العظيمة في الدّنيا والآخرة ، والتوبة منجية منها ، ومورثة لمحبّة الله ، وموصلة الى جوار الله ولقائه ، وإنّ لذة اللّقاء هي التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولها من اللّذة والبهجة والسرور والحبور ، ثم لا ينفع العلم مع الغفلة حتى يتذكّر وعلامة الفكر النّافع أن يؤثر فكره في تغيّر حاله ، كتأثير فكره فيما يتفكّر فيه من عواقب السوء ، لتفريطه في المنافع العاجلة مثلا إذا سبّ أحداً من المؤمنين فله ان يعلم انّ سبّه يورث في الآخرة نكالا ، وعذاباً لا يقاس بشيء من نكال الدنيا ، وهذا العلم لا ينفع مع الغفلة عنه حتّى يكون ذكراً له ، والذكر لا يكثر نفعه حتّى يديم فكره فيما يتذكّره من سوء عاقبته ، حتّى يؤثر في تغيير حاله ، مثل ما يعتبر حاله إذا سبّ ملكا مثلا في غيبته وسمع انّه وصله سبّه فدعاه إلى محضر التنكيل ، فكيف يكون حال هذا المسكين عند الفكر فيما يحتمل أن يفعل به السلطان في مجازاته ، وعقابه وكيف ينغّص عيشه ويتحسّر بتفريطه ، ويذمّ على ما ارتكبه ، وكيف يشتدّ حزنه وخوفه ، وكيف يتصوّر حاله في محضر الملك ، وانّه بأيّ عقاب يجازيه وبأيّة مثلة يمثله ، وكيف يكون حاله إذا أمر الجلاوزة لأخذه ، وامير الغضب لقطع لسانه مثلا ،

---

(١) في كتاب ارشاد القلوب للشيخ الزاهد ابي محمد الديلمي ، ففيها أوحا الله الى موسى عليه السلام اهـ .

وبالجملة لا يدع شيئاً من العقوبات إلّا ويتذكّر وقوع نكالها عليه من السلطان ، ويتألّم به حتّى انّه شوهد في بعض الأوقات انّه تلف الجاني المتوقّع للعقوبة من كثرة خوفه ، واختلّ عقله من شدّة حزنه ، والفكر الكامل الصحيح قد يؤثر في القلب بما لا يؤثره وقوع ما يتفكّر فيه .

وبالجملة إذا تفكّر الإنسان في عظمة أمر الآخرة من الحسنة والنار وتصوّر لذّات نعم الجنّة كلّها بأنواعها وأفرادها وتصوّر بهجتها وسرورها وكرامتها وتصوّر حسرة حرمانها ثمّ تصوّر ألم عذاب الآخرة بأنواعها وافرادها ، وتصوّر وقوعها على نفسه ، نظير ما يتفكّر في اللّذات الدنيويّة ، والمولمات الدنيويّة المتوقّعتين ، يؤثر ذلك لا محالة أثراً يصحّح توبته لا محالة والأنفع بحال المبتدى الفكر في الموت ، وشدّته وسكراته ، وفزعه وحرارته وألمه ، وحسرته وفراق جميع محابه ومألوفاته ، ووحشة القبر وظلمته وغربته وكربته ودوده وبلاه . .

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلا[1] عن اللهو واللذات للمرء زاجر

وقد رأيت بعض المستمعين حين مذاكرتي لأحوال الموت والموتى ، اختلّ دماغه عن الفكر في ذلك في أيّام قليلة ، حتّى احتجت لعلاجه ممّا وقع به فمنعته من حضور مجلس المذاكرة ، والفكر في الموت ، وأمرته في الفكر في رحمة الله ووسعتها ، وفي اخبار موت الصالحين ولذّة ما يجد أولياء الله بالموت من الشوق إلى لقاء الله وكراماته حتّى أفاق ممّا كان .

وبالجملة لو تفكّر بهذا الترتيب في عواقب احواله ، وافعاله فأقلّ ما يؤثر فيه انقلاعه عن الذنوب ، وانّما عدم التأثير في الأغلب من جهة انّ الناس يتغافلون عن ذكر الموت ، والقبر والبلا وان عرضهم عارض

---

(١) البلا : بفتح الباء ناقص يائي بمعنى الرت والخلق ، ومن الناقص الواوي بمعنى الامتحان والابتلاء ، والمراد في المقام هو الاول .

فذكرهم الموت ، يشتغلون عن ذكره فراراً من تنغّص العيش .

ولكنّ الأكابر كانوا يتعاهدون قبورهم وينامون فيها ويخاطبون أنفسهم بما يخاطب به الأشقياء ، ليتأثّروا بذلك أثراً يمنعهم عن الوقوع فيه بغير عدّة ، وكان دأب بعضهم انّه أعدّ لنفسه قبراً يأتيه وينام فيه ، ثمّ يقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً ، ثمّ يخاطب نفسه ، ويقول : يا فلان قم ارجعك ربّك ، فاعمل صالحاً من قبل أن يأتيك يوم تؤمّل فيه الرجوع ، ولا تظفر به ثمّ يبالغ ويجتهد في العبادة ، وبلغني انّ العلاّمة الاشرفي المازندراني ، كان يحرق ناراً كثيرة ، ويأمر من يشدّه بحبل ، ويجرُّه إلى النار ويذيق نفسه بعض ألمها ، وحكى عمّن رأى في البيت المقدس من العبّاد انّهم كانوا يمرُّون بالسلاسل من اكتافهم ، ويخرجونها من ظهرهم ، ويشدُّونها باسطوانة البيت ويشتغلون العبادة .

وبالجملة يلزم في تأثير الفكر المبالغة فيه ، مثلا يفرض في نفسه جميع سكرات الموت ، والقبر والبلاء ، وينظر إلى طراوة صورته في حاله ، ثمّ ينظر بعين الخيال في قبره كيف يوقعه القبر في قبح المنظر ، يسيل احداقه ويتخلخل لحمه ويبلى شعره فانّه يبصر من قبح المنية منظراً يهتال المرء منه ويرتاع الناظر ، ثمَّ يتذكر مفاجات الموت ، وان استقله بعد ذكر مفاجات الامراض وتعاقبه للموت ، فكم من نفس بات حياً صحيحاً واصبح ميتاً ، وكم من نفس بات صحيحاً واصبح بعد صحته مريضاً ، وبعد سلامته نقيصاً ، يعالج كرباً ويقاس تعباً في حشرجة السياق ، وتتابع الفراق وتردد الانين ، والذهول عن البنات والبنين ، والمرء قد اشتمل عليه شغل شاغل ، وهو هائل قد اعتقل منه اللّسان ، وتردد منه البيان وذاق وضعاً مكروهاً وفارق الدنيا مسلوباً لا يملكون له نفعاً ، ولا لما حلّ به دفعا ، وليعلم الانسان ان الناس سيّارة قد حدى بهم الحادي ، وحدى بخراب الدنيا حاد ، وناداهم للموت مناد .

الا وانّ الدنيا غدّارة مكارة ، تنكح في كل يوم بعلا ، وتقتل في

كلّ ليلة اهلا ، وتفرق في كلّ ساعة شملا ، فكم من منافس فيها ، وراكن إليها من الامم السابقة قد قذفتهم في الهاوية ودمّرتهم تدميراً ، وتبرتهم تتبيراً ، واصلتهم سعيراً أين من جمع فأوعى ، وشدّ فاوكى ، ومنع فاكدى ، واين [1] من اسكر الاساكر وعسكر العساكر ، وركب المنابر ، اين من بنى الدّور ، وشرف القصور وجمهر الالوف ، قد تداولتهم أيّاما .

وابتلعتهم اعواما ، وناهيك للانقلاع عن المعاصي التفكّر في اقسام الموت للصّالحين والطالحين ، هذا وان وفق عبد للتوبة ، فله حينئذ ان يأخذ كتاباً لنفسه ، ويكتب فيه كلمّا توجّه إليه من حقوق الله من عباداته ، وسائر فرائضه من الافعال ، والتّروك وكلّما ابتلى به من حقوق النّاس في اموالهم ، واعراضهم وحقوقهم اجمالا ، ثمّ يكتب فصولا لاعضائه من سمعه وبصره ولسانه ومذاقه ومشامه ، ويده ورجله وبطنه ، وجميع جوارحه . وقلبه ثمّ ينظر في أقسام الطاعات من صلاته ، وزكاته وخمسه وصومه وحجّه ، والامر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والعهد واليمين والنذر ، والكفارات ، وردّ السلام بل التحيّات كلّها ، وتسمية العاطس اذا حمد وصلّى ، وصلة الارحام وبرّ الوالدين ، واداء حقوق الاخوان وهي كثيرة .

في الخبر ما عبد [2] الله بشيء افضل من اداء حق المؤمن ، ومنها نفقة الزّوجة ، والمملوك ، وسائر حقوقهما ، ونفقة الاقارب مع فقرهم وغنائه ونفقة الحيوانات الّتي حبسها ، وتقدير المعيشة من غير سرف ، ولا

---

(١) هذه الجملة لعلها من اغلاط النساخ ، او الطبع ، وليست جارية على قانون اللغة فان السكر وهي الخمر لا تجمع على وزن الاساكر والمعنى واضح ولعله من مراعاة القافية .

(٢) الكافي باب حق المؤمن على أخيه ، عن مزارم عن أبي عبد الله عليه السلام .

بخل وطلب الحلال ، ودفع الضرّر عن النفس والمال ، والختان للرجال ، والتزويج مع خوف الوقوع في الحرام بدونه ، والصدق في الأقوال وقيل في الأفعال ايضا ، واداء الامانة الى البرّ والفاجر ، والوفاء بالعهد والوعد . وصرف نعم الله تعالى فيماخلقت لاجله ، والسجود عند تلاوة العزائم واستماعها، بل سماعها ايضا هذا كلّها من الفرائض العينيّة وأمّا الكفائية فكالجهاد ، والامر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، والافتاء والقضاء مع اضطرار الناس ، وتخليص المشرف على الهلاك ، واعانة المستغيث مع القدرة ، واطعام الجائعين على ذوي اليسار مع قصور الصدقات الواجبة ، وتحمل الشهادات مع عدم تعيّنه عليه ، والا فيكون عيناً ، وكذا تجهيز الموتى وتغسيلهم ، ودفنهم وسائر الولايات ، وابقاء ضروريّات البقاء للنّوع .

ثمّ يتأمّل في الطّاعات القلبيّة ، وهي ايضاً امّا عينيّة وامّا كفائية .

ومن الاولى معرفة العقائد الحقة الواجبة ، ولو اجمالا ومعرفة الاحكام الشرعيّة ، ولو تقليداً عند العمل ، ومعرفته للاخلاق ، وآفات الاعمال والنفس والتوبة والشكر والصبر ، والخوف والرجاء ، والنيّة ، والاخلاص وغيرها مما يجب على المكلف من الاعمال القلبيّة .

ومن الثانية معرفة علم الكلام للرد على المبتدعة ، ومعرفة الاحكام الشرعيّة زايدا على الواجبة عيناً .

ثمّ يتفكّر في المعاصي ، وهي ايضاً على اصناف : منها ما هو حرام بأصل الشّرع كشرب الخمر والزنا ، وما يحرم بالقصد والنيّة كالأكل والبيع مثلا للتقوى ، والاعانة على المعصية ، ومنها معاصي الجوارح ، ومنها معاصي القلوب وكلّ منها امّا كبيرة او صغيرة ، وفي تعيين الكبيرة اختلاف شديد روايةً وفتوى ، ولعل الصلاح في الابهام أن يجتنب المتّقي

عن الاغلب ، وفي الصحيح [1] انّ الكبيرة ما وعد الله عليها النّار ، وفيه [2] من أجتنب ما وعد عليه النّار كفر عنه سيّئاته إذا كان مؤمنا ، وروى [3] أنّها السبع الموجبات وهي : قتل النّفس الحرام ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، والتعرّب [4] بعد الهجرة ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وفي الحسن [5] هن في كتاب عليّ سبع : الكفر بالله ، وقتل النفّس ، وعقوق الوالدين ، واكل الرّبا بعد البيّنة ، وأكل مال اليتيم ظلما ، والفرار من الزّحف ، والتعرّب بعد الهجرة ، وعيّنها الرّضا في كتابه إلى المأمون خمسة وثلاثين واتمّها بالاصرار على الصغائر .

ثمّ ينظر في اصناف المحرّمات وهي كثيرة : معاصي القلب ، ومعاصي الجوارح :

الأول : كالحسد إذا اظهره ، والحقد ، واضمار السوء للمؤمن ، والفرح بمصيبة المؤمن ، وقتله ، والفرح بضعف الاسلام ، وقوّة الكفر ، والرّكون الى الظّالمين . وسوء الظنّ بالمسلمين في غير محلّه ، وحبّ اعداء الله ، وقيل حبّ الدّنيا ، ومنه حبّ الجاه والرّياسة ، والعجب والريّاء ، والكبر ، بمعنى تذلّل القلب لقبول الحق ، والحرص القوي والسخط على قضاء الله ، والغفلة عن التكليف ، والنّفاق ، وتعلّم العلوم المحرّمة كالكهانة ، والسّحر للعمل ، والبخل والجبن ، والامن من مكر

---

(١) الكافي ـ باب الكبائر ـ عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في رواية الكبائر التي أوجب الله عز وجل عليها النار .

(٢) في الخبر الثاني في ذلك الباب .

(٣) ايضاً الخبر الثاني من ذلك الباب .

(٤) التعرب بعد الهجرة : هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان مهاجراً .

(٥) هو الخبر الثامن من ذلك الباب ، وقد مضى شطر من الكلام في الكبائر والصغائر .

الله ، واليـأس من روح الله ، والقنـوط من رحمـة الله ، والجهـل كلّهـا من معـاصي القلب ، نعم بعض مراتبهـا لا تعـد كبيـرة بـل ولا محـرّمـة ، بـل داخلة في المكروهات والثاني كالكبائر الّتي ذكـرناهـا آنفا ، والبـدعة ومنـع مسـاجد الله ان يـذكر فيهـا اسمه ، والسعي في خـرابها ، والسعي في كـلّ معصية ، وكتمان الحقّ والرّشا ، والـوقوف في بـلاد الكفر بعـد التمكّن من الخروج منها ، ومشاقة الرّسول . ومتابعة غيـر سبيل المؤمنين ، والاستكبـار عن الـدعاء وكـل عبادة ، وقـطع الطريق ، وتحـريف الكلم عن مواضعـه ، وتكـذيب آيـات الله ، وايـذاء رسـول الله والمؤمنين واهـانتهم ، بـل وايـذاء الحيـوانـات من غيـر اذن الشـرع ، والأعـراض عن آيـات الله وابـطالهـا ، والتخلف عن الجهاد بل بعض اقسام الدّفاع ، والقعود في المسـاجد جنبـاً وحـائضاً والمـرور عن المسجدين ، ولبس الـذّهب والحـريـر للرّجـال عـدا المشروط في حال الحرب ، والاكل والشـرب من اواني الذّهب والفضّـة ، بل واتّخاذهما ، وعمل آلات اللّهو والقمار .

ومنهـا الآلات المذكـورة ، وتصويـر ذوات الارواح ، والاحـوط تـرك اتخـاذها محتـرماً والبنـاء رياء وسمعـة اي فضلا على مـا يكفيه ، واستـطالةً على الجيران ، ومباهاةً للاخوان ، والاستخفاف لفقير مسلم ، وعدم اعفـاء اللّحيـة ، والقمـار والـرهـانـات إلّا مـا استثنى ، وانشـاء مـا يتضمّن هجـاء مؤمن ، والتشبيب بإمـرأة معيّنـة غيـر محللة ، أو بغـلام على الأحـوط ، والنياحة بـالباطـل ، والاستماع اليهـا ، والغناء بـالصوت اللّهـوى ، والقيادة والمساحقة ، ومباشرة المرأة مع الاخرى ليس بينهمـا ثوب ، وتحـدثها بمـا تخلوبه مع زوجها ، وتزيينهـا لغير زوجهـا ، وخروجهـا من بيتها بـدون اذن زوجها ، والنظر إلى الاجنبي مـع ريبة ، حتّى نـظر الرّجـل الى الجميل من الولدان ، والمصافحة مع غير الحـرم من النّساء ، والتـزامهنّ ، ونظرالرَّجل إلى عـورة أخيه المسلم ، والمـرأة إلى عـورة المـرأة ، والتـطلع على دور

الغير ، والجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، لعن [1] رسول الله الخمر ، وعاصرها وغارسها وشاربها وبايعها ومشتريها وآكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وقال انّ الله لعن أكل الرّبا ، وموكله وكاتبه ، وشاهديه .

وعن أمير المؤمنين (ع) [2] :

إيّاك أن تكون عشارا ، أو شاعرا ، أو شرطيّا ، أو صاحب عرطبة وهي الطنبور وصاحب كرية ، وهي الطبل .

ومن المعاصي الاخبار بالمغيبات على البت ، لغير نبيّ أو وصي نبيّ سواء كان بالتنجيم ، أو الكهانة ، أو القيافة ، أو الرمل ، أو غير ذلك ، والشعبذة والسحر ، وفي الحديث إيّاكم وتعلّم النجوم إلاّ ما يهتدى به في برّ أو بحر ، فانّها تدعو إلى الكهانة ، والمنجّم [3] كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، وفي آخر من تكهّن أو تكهن له ، فقد برء من دين محمّد (ص) .

والسّحر[4] هو كلام ، أو كتابة أو رقية أو اقسام ، أو عزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ، ومنه عقد الرجل عن زوجته ، وإلقاء البغضاء بينهما ، ومنه استخدام الملائكة والجنّ ، واستنزال الشياطين في كشف الغايبات وعلاج المصاب ، واستحضارهم ، وتلبسهم ببدن صبيّ أو

---

(١) وسائل الشيعة : كتاب التجارة لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة : غارسها ، وحارسها ، وعاصرها ، وشاربها ، وساقيها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبايعها ، ومشتريها ،وآكل ثمنها ، وما نقله قدس سره ليس متن الرواية، ولعله منقول بالمعنى ، مع اختصار .

(٢) كما عن نوف البكالي عن علي عليه السلام وقد نقلوه في الكتب الفقهية ايضاً .

(٣) كما في الوسائل عن نضر بن قابوس وغيره .

(٤) هو عبارة الشهيد في الدروس .

امرأة ، وكشف الغائب على ذلك ، فتعلّم ذلك واشباهه حرام ، والتكسّب به سحت إلّا للتوقّي ، ودفع المتنبّي ، ويجوز حلّه بالقرآن ، والاقسام ، أو مطلقا ، وفي الخبر[1] : حلّ ولا تعقد ، ومنها الغضب لغير الله ، والحميّة ، والعصبيّة مع اعمالها ، والتكبّر ، والتجبّر ، والاختيال في المشي ، والتفاخر حتّى بالولايم ، والبذاء والفحش ، والبغي وتزكية النفس ، والخرق والمراء ، والنميمة والاستماع إليها واشاعة الفواحش في المؤمنين ، وتجسّس عيوبهم ، والبهتان والسعاية ، والسباب واللّعن ، والطعن لغير مستحقّهما ، والمكر والخديعة ، والغدر والغش والتدليس إلّا ما استثنى والغصب والنهب وأكل ما حرّمه الشرع بل مطلق التصرّف المحرّم والذهاب بحقوق المسلمين ، والظلم والقساوة والجفاء وكلّ ما نهى الله ورسوله عنه ، وترك الآداب والسنن النبويّة بالمرّة ، واعانة الظّالمين والاعانة بالكفر ، والإثم ، هذه اصول الطاعات والمعاصي ، وإذا أراد التوبة فلينظر بالتأمّل في جميعها ، واحداً بعد واحد في ثلاثة أمور :

الأوّل : في انقسام هذه الى الأعضاء ، فيكتب لكلّ عضو صحيفة لما يجب عليه ، ولما يحرم ، وفي كلّ صفحة جدولين طويلين ، وفي ذيل كلّ جدول أيضاً جدولين ، ثمّ يتفكّر أوقاته من بلوغه إلى حين التوبة تفصيلا ، هل يجد فيها اخلالاً بالواجبات ، أو ابتلاه بالمحرّمات ، ثمّ ينظر هل من المحرّمات ما ارتكب به او من الواجبات ما اخلّ به ، يثبت كلّاً منها في صحيفة ثمَّ ينظر هل هو من حقوق الله ، أو من حقوق الناس ، ويكتب كلا منهما في جدول ، ثمّ ينظر في حقوق الله هل له قضاء ، أو كفّارة أو لا ، يثبته تفصيلا في محلّه ، ثمّ إذا بالغ في تجسّس حالاته ، وأوقاته أيّاماً بهذا المنوال ، فيثبت كلّ ذلك في محلّه ، ثمّ ينظر في حقوق الناس هل له اداء وتبرئه ، أم ليس له إلا الاستغفار ، وهدية

---

(١) كما عن الكافي في رواية عيسى بن السقفي عن ابي عبد الله عليه السلام .

الأعمال ثمّ يتجسّس ما جنى في صغره في أموال الناس ، وثبت في ذمته ضمان مالي لمسلم ، أو ذمّيٍّ فيثبتها في صحيفة أخرى ، ثمّ يشتغل باستخلاص ذمتّه ، ويغتسل غسل التوبة ، ويذهب إلى موضع خال ، ويعمل أولا بما رواه السيّد في الإقبال عن رسول الله للتائب ، ثمّ يسجد على الأرض ، ولو كان جلوسه على الرماد كان أولى ، يدعو الله باسمائه الحسنى ، ويكثر من ذكر أسمائه الجماليّة ، ويختمه بيا أرحم الراحيمن سبعاً ، ثمّ يعترف بذنوبه ، ويعدها كلّما أمكنه ، ثمّ يحمد الله على امهاله ، وفتح باب التوبة ، ثمّ يصلّي على محمّد وآله ويبالغ فيها ، ثمّ يصلّي على جميع الأنبياء والمرسلين ، والملائكة أجمعين ، وجميع عباد الله الصالحين ، وجميع المؤمنين ، ثمّ يدعو لإمام زمانه حجّة الله صاحب الزمان ، أرواح العالمين فداه بالفرج ، والعافية ، والنصر ، ثمّ يكشف عن رأسه ، ثمّ يحثّ التراب عليه ، ويتمرّغ في التراب ، ويبكي بكاء الثكلى ، ويلحّ في الاستغفار ، ويقول : يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس اجب لي في قبول توبتي ، ووفّقني لاتمامه ، فإنّ الخير كلّه بيدك ، وأنت الفاعل لما تشاء ، وكيف تشاء : ثمّ يقول يا كريم العفو ، يا مبدّل السيّئات بالحسنات ، صلّ على محمّد وآله ، وبدّل سيّئاتي بأضعافها من الحسنات ، ويا قابل السحرة صلّ على محمّد وآله ، واقبلني ثمّ يقول : اللّهمَّ إن كنت قبلت مثلي فاقبلني يا قابل السحرة اقبلني اللّهمّ وإن لم تكن قبلت إلى الآن مثلي ، فمن الآن اقبلني وأمثالي ، فليكن هذه أوّل ما ظهرت من وسعة رحمتك الّتي لم تظهر إلى الآن في الوجود ، فإنّ رحمتك وسعت كلّ شيء وانا شيء فامتعني رحمتك يا أرحم الراحمين ، ثمّ يكرّر هذا التفصيل ثلاثاً ، ويختم كلّ واحد منها بالصلاة ، وقول ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله ، ثمّ يعزم على تركها فيما يأتي مستعيناً من الله ، ومتوكّلا عليه ، ويشرع في استكمالها على ما ذكرنا مبتدء بالأهمّ والأهمّ ، وليحسن ظنّه بقبول الله تعالى ، وان يرى توبته ناقصة يراقب في الوفاء بتوبته ، وان اتّفق إحياناً نقضها في

بعض الامور ، فليعد إلى التوبة ، ويقرء على نفسه اخبار الرجاء ، ولا ييأس من روح الله وقبوله ، فما لم يسأم العبد من التوبة لا يمنع الله من المغفرة ، فإنّه هو التوّاب الرحيم ، ويبالغ في الالحاح والمسئلة بالمغفرة ، على قدر عظمة الجنايات .

وليتذكّر توبة أبيه آدم ، وما روي انّه بكى مأتي سنة .

وليتذكّر ما روي من توبة داود (ع) ، حيث روى انّه سجد أربعين يوماً ، لم يرفع رأسه من السجدة حتّى خرقت ركبته ، وجبهته ونبت حوله من دموع عينيه نبات ، واحرقه بنار نفسه ، حيث تأوّه من شدّة حزنه ، وكان بعد قبول توبته ينوح على نفسه ، ويبكي على خطيئته في البراري ، وروي انّه إذا أراد النياحة ، امر سليمان أن ينادي في الناس ، الا من أراد ان يسمع نوح داود (ع) على نفسه ، فليأت فيجتمع حوله من الناس ، والوحوش خلق كثير ، فيأخذ في ثناء الله تعالى ثمّ ذكر الجنّة والنار ، ثمّ في أهوال يوم القيامة ، وفي النياحة على نفسه ، فيموت من الهوام والوحوش ، ومن الناس جمع كثير ، فيقول سليمان (ع) : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كلّ ممزق ، فيأخذ في الدعاء ، فبينا هو كذلك إذ نادى بعض العباد يا داود عجلت في طلب الجزاء على ربّك ، فيخرّ داود (ع) مغشيّاً عليه ، فيأخذ سليمان (ع) سريراً ، ويحمله عليه إلى داره ، وينادي المنادي في الناس : الا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير ، ويحمل جنازته ، فإنّ الّذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنّة والنار ، فكانت المرأة تأتي فتحمل قريبه ، ويقول : يا من قتله ذكر النار ، يا من قتله خوف النار ،! وهكذا يكون حال من كان عارفاً بعظمة ربّه ، مع انّ خطاياهم (ع) ما كانت من ذنب كذنوبنا ، فانّهم معصومون عن ارتكاب الذنوب ، وخطاياهم ، انّما كان ترك الاولى ، وليتأسّ بالشابّ النبّاش ، ويذكر قصّته على [1] ما رواه في الصافي عن المجالس

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٥ نقلها قدس سره باختلاف يسير .

عن عبد الرحمن بن غنيم الدوسي قال دخل معاذ على رسول الله (ص) باكياً ، فسلّم فردّه ، ثمّ قال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله انّ بالباب شاباً طريّ الخد ، نقيّ اللّون حسن الصورة يبكي على شبابه ، بكاء الثكلى على ولدها ، يريد الدخول فقال النبيّ (ص) : ادخل عليّ الشابّ يا معاذ ، فادخله عليه فسلّم فردّ ، ثمّ قال : ما يبكيك يا شابّ ؟ قال : كيف لا أبكي ، وقد ركبت ذنوباً ان أخذني الله ببعضها ادخلني نار جهنّم ، ولا أراني إلّا سيأخذني بها ، ولا يغفر لي ابدا فقال رسول الله (ص) : هل اشركت بالله شيئاً ؟ قال : أعوذ بالله ان اشرك بربّي شيئاً ، قال : أقتلت النفس الّتي حرّم الله ؟ **قال** : لا ،

فقال النبي (ص) : يغفر الله لك ذنوبك ، وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ، ورمالها وأشجارها ، وما فيها من الخلق ، قال : فانّها أعظم من الأرضين السبع ، وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق ، فقال النبيّ (ص) : يغفر الله لك وإن كانت ذنوبك مثل السموات ، ونجومها ، ومثل العرش والكرسي ، قال : فانّها أعظم من ذلك ، قال : فنظر النبيّ كهيئة الغضبان ، ثمّ قال : ويحك يا شابّ ذنوبك اعظم أم ربّك فخرّ الشابّ بوجهه وهو يقول : سبحان ربّي ما من شيء أعظم من ربّي ، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم ، فقال النبيّ (ص) : فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الربّ العظيم قال الشابّ : لا والله يا رسول الله ، ثمّ سكت الشابّ فقال النبيّ (ص) : ويحك يا شابّ الا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك ، قال : بلى اخبرك انّي كنت انبش القبور سبع سنين ، اخرج الأموات وانزع الأكفان ، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار ، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرفت عنها أهلها ، وجنّ عليها اللّيل ، أتيت قبرها ونبشتها ثمّ استخرجتها ، ونزعت ما كان عليها من أكفانها ، وتركتها مجرّدة ، على شفير القبر ، فمضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنها لي ، ويقول : أما ترى بطنها وبياضها ، أما

ترى وركها ، فلم يـزل يقول لي هـذا حتّى رجعت إليها ، ولم أملك نفسي حتّى جامعتها ، وتركتها مكانها فـإذا أنا بصـوت من ورائي يقول : يـا شاب ويـل لك من ديّـان يوم الـدين ، ويوم يقضي لي ولـك كما تـركتني عريـانة في عسـاكر المـوتى ، ونـزعتني من حفـرتي ، وسلبتني اكفـاني ، وتـركتني أقـوم جنباً إلى حسـابي ، فـويـل لشبـابـك من النـار ، فمـا أظنّ إنّي أشمّ رائحـة الجنّة أبـداً ، فما تـرى لي يـا رسـول الله فقـال النبيّ (ص) : تنـح عنّي يـا فاسق ، إنّي أخـاف أن احترق بنـارك ، فما اقـربك من النـار ، ثمّ لم يـزل يقول ويشيـر إليه حتّى مضى من بين يـديه ، فـذهب فأتى المـدينة فتـزوّد منها ، ثمّ أتى بعض جبـالهـا ، فتعبّـد فيهـا ، ولبس مسحـا ، وغـلّ يديه جميعـاً إلى عنقه ، ونـادى يا ربّ هـذا عبدك بهلول بين يـديك مغلول يـا ربّ أنت الّـذي خلقتني ، وزل منّي مـا تعلم سيّـدي ، يـا ربّ أصبحت من النـادمـين ، وأتيت نبيّـك تـائبـاً ، فـطردني ، وزادني خـوفـاً ، فـأسئلك بـاسمك وجـلالك عـظم سلطانك ان لا تخيب رجـائي ، سيِّـدي ولا تبـطل دعـائي ، ولا تقنـطني من رحمتـك ، فلم يـزل يقـول ذلـك أربعين يــومـاً وليلة ، ورفـع يديـه إلى السمـاء وقـال : « اللّهمّ مـا فعلت في حـاجتي ان كنت استجبت وغفــرت خــطيئتي فــاوح إلى نبيّــك ، فــإن لم يستجـب دعائي ، ولم تغفر لي خـطيئتي ، وأردت عقوبتي ، فعجّـل بنار تحـرقني ، أو عقـوبة في الـدنيا تهلكني ، وخلّصني من فضيحـة يوم القيـامة ، فـأنـزل الله على نبيّــه ﴿ **والّـذين إذا فعلوا فــاحشـة وظلمــوا أنفسهم ذكــروا الله فـاستغفروا لـذنوبهم ، ومن يغفـر الـذنـوب إلاّ الله ، ولم يصـرّوا على مـا فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جـزاؤهم مغفرة من ربّـه ، وجنّات تجـري من تحتهـا الأنهار ، خـالدين فيهـا ونعم اجر العاملين** ﴾ أتـاك عبدي يـا محمّد تـائباً ، فـطردته فـأين يـذهب ، وإلى من يقصـد ، ومن يسئـل أن يغفـر لـه ذنبـه ، ولمّا نـزل الآية كـان يتلوها النبيّ (ص) ، وتبسّم فقـال لأصحابـه : من يدلّنا على ذلـك الشاب قـال معاذ : يـا رسول الله بلغنـا انّه في مـوضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وأصحـابه، حتّى انتهـوا

إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبونه ، فإذا هم بالشاب قائمٌ بين الصخرتين ، مغلولة يداه إلى عنقه ، قد اسودّ وجهه ، وتساقطت اشفاره من البكاء ، ويقول سيّدي قد أحسنت خلقي ، وأحسنت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي في النّار ، تحرقني أو في جوارك تسكنني ، اللّهمّ انّك قد أكثرت الإحسان إلَيّ ، فأنعمت عليّ فليت شعري فماذا يكون آخر أمري إلى الجنّة تزفّني أم إلى النار تسوقني ، اللّهمّ انّ خطيئتي أعظم من السموات والأرض ، ومن كرسيّك الواسع وعرشك العظيم فليت شعري تغفر خطيئتي ، أم تفضحني بها يوم القيامة ، فلم يزل يقول نحو هذا ، وهو يحثّ التراب على رأسه ، وقد أحاطت به السّباع ، وصفّت فوقه الطير ، وهم يبكون لبكائه ، فدنى رسول الله فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه ، وقال : ابشر ، فانّك عتيق الله من النار ، ثمّ قال : لاصحابه هكذا تداركوا الذنوب ، كما تداركها بهلول ، ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه ، وبشّره بالجنّة .

خاتمة : اعلم انّ الّذي يفهم من اخبارنا ، انّ الكون [1] على الطهارة مستحبّ في جميع الأوقات ، لا سيّما لطالبي العلم فإذا كان الأمر على ذلك فلا وجه للاحتياط في الوضوء لتحصيل الطهارة قبل الوقت ، وإن كان غرضه من هذا التحصيل ان يصلّي بهذه الطهارة صلواته في الوقت ، لأنّ الدّاعي الأوّل أمر راجح مطلوب شرعاً ، وإن كان الداعي أمراً غير قربي وظنّي انّ هذه الاحتياط على اطلاقه ليس براجح ، حيث انّه كثيراً ما يؤدّي في الأسفار إلى الصلاة بالتيمّم ، وإلى ترك الكون على الطهارة ، وورد في الاخبار حثّ أكيد على الكون على الطهارة ،

---

(١) كما في الوسائل في حديث أنس « وان استطعت ان تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل » .

وكما في الحديث الآتي المروي عن ارشاد الديلمي ، ورايته مروياً في كتب العامة ايضاً : « من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني» الحديث نقله ملخصاً قدس روحه .

مثـل ما ورد : انّ من احـدث ولم يتوضّأ فقد جفاني ،ومن تـوضّأ ولم يصـلّ ركعتين فقـد جفاني ، ومن صلّى هـاتين الركعتين ، ولم يـدع عقبيهـا فقـد جفـاني ، ومن يتوضّـأ وصلّى ودعى عقبيها ، ولم استجب لـه دعـائـه فقـد جفـوته ، ولست بـربّ جـاف ، ثمّ انّـه كـان بعض مشـايخي [١] قـدّس الله سـرّه ، وجزاه عنّي خيـر جزاء المعلّمين المـربّين ، كان يـوضيني بـالعمـل بمضمون هذه الرواية ، ويقول اسجدوا بعـد هاتين الـركعتين وادعوا الله في السجدة ان يرزقكم معرفته ومحبّته .

فصلٌ : يجب الوضـوء [٢] للصّلاة الـواجبة ، والمنـدوبة ، والـطواف الـواجب ، ولمس كتـابـة القـرآن ، والأحـوط تـركــه لمسّ جلده وورقـه ، وأسمـاء الله ، وأسماء المعصـومين ، ولكتـابـة القـرآن ، ويستحبّ للكـون على الطهارة ، وللطـواف المندوب ، أو شيء ممـا لا يشرط فيـه الطهور من مناسك الحـج ولدخـول المسجد ، وللتـأهّب للصلاة الفـريضة قبـل دخول الـوقت ، وقـرائـة القـرآن ، ولـطلب الحـاجـة ، وللنـوم ، وجمـاع المـرئـة الحـامل ، وللدخـول على الأهل من السفـر ، ولصلاة الجنـازة ، ولادخـال الميّت على قبـره ، وللمتطهّـر إذا مضى من طهارتـه مدّة يصـحّ بها اطـلاق التحـديـد بـه ، وللمحـدث بـالـرعـاف والقيء ، والتقبيـل بشهــوة ، ومسّ الفـرج ، وبما خـرج من الذّكر بعـد الاستبراء ، وإذا تـوضّأ قبـل الاستنجاء والتخليل [٣] المخرج للدم مع كراهية الطبـع ايّاه ، والمـذي وانشاء الشعـر الباطل زيادة على أربعة ابيات ، والكذب والغيبـة والظلم والاكـل الجنب ،

---

(١) وهو الآية في العرفان : والـزهد والتقـوى ، الاخونـد المولى حسينقـلي الهمداني رضوان الله عليه قدمنا ترجمته فراجع .

(٢) كل ذلك مذكور في كتب الفقه والروايات ، فراجع اليها ، وقد أوجب العامة الوضوء في مثـل الرعـاف والقيء والتقبيل ومس الفـرج والذكـر ، والتحليل المخـرج للدم بل لكل خروج الدم وغير ذلك ، ولا حاجة لاطالة الكلام ونقل الاخبار في ذلك .

(٣) اي تخليل الاسنان مع خروج الدم وكراهته خروجه .

ونـومه وجمـاعه ، وتغسيله الميّت ، ولغـاسـل الميّت إذا أراد الجمـاع قبـل الغسل ، وللحـائض إذا أرادت الذكر وقت صلاتها .

فصل : في الغسل حكمته وجوباً وندبـاً حكمة الـوضوء ، وعبـره مثل عبره ويزاد في عبره أن يعتبر الإنسـان من وجوب غسـل تمام البـدن فيه ، انّ التطهير بقدر الكثافة ، فإذا يعرف تكليفه في تـطهير قلبـه ، وروحه ، وسـرّه عن كلّ ما يدنسها بالجملة ، يستحبّ فيها التسميـة ، والدعـاء بالمـأثور في اثنائه بقـوله : اللّهمّ طهّـر قلبي ، واشرح لي صـدري ، واجر على لسـاني مـدحتك ، والثنـاء عليك اللهمّ اجعله لي طهـوراً وشفاء ، ونـوراً انّك على كـلّ شيء قدير. وبعـد الفـراغ بقـولـه : اللّهمّ [1] طهّـر قلبي وزكّ عملي ، وتقبّـل سعيي ، واجعل مـا عندك خيـراً لي ، اللّهم اجعلني من التّـوابين ، واجعلني من المتطهّرين. وروي غير ذلك ، وهـذه الاذكار كمـا ترى شـاهدة على أنّ الغـرض الأصلي ، والمقصـود الأهم ، طهـارة القلب ، وشـرح الصـدر وهو على مـا روي عن النبيّ نور يقـذف في القلب ، فينشـرح منـه الصـدر ، وعلامته التجـافي عن دار الغـرور ، والانـابـة إلى دار الخلود ، والمـراد منه على مـا يراه بعض أهـل التحقيق نور معـرفة النفس ، وهـو ان يـرى حقيقة نفسـه ، بلا صـورة ولا مادة نـوراً ذات حياة وعلم ، وهـو النور الّذي اشير إليـه في آخر منـاجاة شهـر شعبان : والحقني بنـور عزّك الأبهـج فأكون لك عارفاً كما ذكره بعض المشايخ ، وبالجملة إذا اعـطى العبد نـور معرفة النفس الّـذي به يمكن الـوصول إلى معـرفة الـربّ ، يرى بهـذا النّور ملكوت هذه العوالم المحسوسة للناس ، فيكون انسانـاً ملكوتيّـاً ، ويدخـل في دار الخلود لغلبـة روحـانيّتـه ، وهـذا هـو المـراد من الانـابـة إلى دار الخلود ، وكيف كان وكما انّ طهارة الجوارح يـرفع المـوانع من دخـول المسجد والصـلاة ، كذلـك طهارة السرِّ عن مقتضيـات هذا العـالم المحسوس ، عـالم

---

(١) كما في رواية علي بن الحكم رواه في الوسائل .

الطبيعة المظلمة يرفع الموانع عن الانابة الى دار الخلود ، أي الى دار السلام ، ودار الحيوان ، وجوار الله ، وبدخول هذه الدار يقرب العبد من الله ، ويحصل له المعرفة الكشفيَّة فيكون ما عند الله خيراً ممَّا عنده ، وعند الناس ، ويرى هذا العالم عالم الغرور .

ويستحبّ الغسل في مواضع يذكر في الفقه لا يهمّنا ذكرها ، إلّا ما ذكر بعضهم من انّه يستحبّ لكلّ مشهد ، ومكان شريف ، ولكلّ يوم وليلة شريفة ، وعند كلّ فعل يتقرّب به إلى الله ، ويلجأ فيه إليه ، ولا بأس بذلك برجاء المحبوبيّة ، كما يستشعر ذلك من تضاعيف الاخبار ، ومن خصوص بعضها .

مثل ما رواه في العلل عن الرضا عليه السّلام في علّة غسل الجمعة والعيدين ، وغير ذلك من الأغسال لما فيه ، من تعظيم العبد ربّه واستقباله الكريم الجليل ، وطلب المغفرة لذنوبه ، إلى أن قال : وجعل في ذلك الغسل تعظيماً لذلك اليوم على سائر الأيّام ، وزيادة في النوافل والعبادة ، وهذه الرواية تشعر بل تشهد على ما ذكر ، وهذا البعض الاسكافي [1] ، وكيف كان لا بأس بالاتيان به في هذه المقامات برجاء المحبوبيّة ، هذا ويعلم بعض ما يلزم فيه من المراقبات ممّا أشرنا إليه ، ونزيد في ذلك لبيان عبرة لترتيبه يأتي في الوضوء أيضاً ، وهو انّ الإنسان إذا التفت لعدم اهمال الشارع لترتيب غسل الاعضاء في الوضوء

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الجنيد ، من أكابر علماء الشيعة الامامية ، متكلم ، فقيه ، محدث ، اديب ، واسع العلم صنف في الفقه والكلام ، والاصول ، والادب وغيرها تبلغ مصنفاته خمسين كتاباً ، والاسكافي منسوب الى الاسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط ، قيل مات بالري سنة ٣٨٠ .

ويطلق الاسكافي ايضاً على الشيخ أبي علي محمد بن أبي بكر ، همام بن سهيل بن بيزان المعاصر للشيخ الكليني توفى سنة ٣٣٢ ، وعلى أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي المتوفى سنة ٢٤٠ .

والغسل ، علم من ذلك عزّة الحكمة الإلهيّة . وانّ لها في كلّ شيء مجرى ، وحكما في اهميّة امر المراقبة في جزئيّات حركاته وسكناته ، وإذا اهتم بذلك وعمل بما علمه من وجوه الحكمة في الافعال ، يورثه الله علم ما لا يعلم من الحكمة ، ومن يؤتى الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ، وإذا تعمّق في ذلك ، ورأى انّ تقديم الرجل مثلا على الرأس خلاف الحكمة ، فيرضى بما يفعله الحكيم تعالى في جميع ما يحكم به ، ويرى انّ سخطه على ما لا يوافق هواه من احكام الحكيم تعالى من نقصانه ، واعوجاجه وإلّا فلا اشكال في حسن الحكمة وكمالها .

فصل : في الحمّام ، عن [1] أمير المؤمنين (ع) أنّه قال : نعم البيت الحمّام يذكر النار ، ويذهب بالدرن ، وفي الرواية مع وجازتها اشارات لطيفة إلى مطالب جليلة ، ومهمّات عظيمة .

منها انّه قدم ذكر النار على ذهاب الدرن ، وفيه تأديب للمؤمنين في تقديم ذكر الآخرة على الدنيا ، ولو في الأمور الدنيويّة ، وكان هذا دابه (ع) في جميع اموره وأحواله بل وكان امره اعلى من ذلك ، وهو ان كل امرين وردا عليه وتساوى فيهما جهة رضا الرب تعالى من جميع الجهات ، كان ينظر في أنّ أيّهما اشدّ على النفس ، وعلى صاحبه ، ويمكن ان يكون تقديم ذكر الله في جميع الأشياء احد معاني قوله (ع) انّه ما نظرت إلى شيء إلّا ورأيت الله قبله ، وبعده ومعه ، هذا وإن كان له معنى آخر على ما قدم ، وهو الأصل ، ولكنّه لا ينافيه كون ذلك أيضاً في مرتبة من معانيه ، هذا وكان لنا شيخ [2] له أصحاب من أهل التقوى وكان من جملتهم سيّد [3] من سادة بلدة همدان ، وكان شابّاً حسن

(١) كما في رواية محمد بن اسلم ، رواه في الوسائل .

(٢) وهو الشيخ الجليل الاخوند ملاحسينقلي الهمداني قدس روحه ، قدمنا ترجمته فراجع .

(٣) ولعله السيد علي الهمداني على ما ذكروه انه من تلاميذ الشيخ قده فراجع اعلام الشيعة للشيخ آقا بزرك الطهراني دام بقائه ، وذكرنا في ترجمته ايضاً .

السيرة بالفطرة ، مراقباً مجاهداً مستقيماً يشتغل لتحصيل الفقه ، وتزكية النفس في خدمة الشيخ فاتفق يوم ان شكى من أهل بلده من بعض اخوان هذا السيّد إلى الشيخ ، بانّه قصر في أمر من الامور المتعلّقة بالتجارة ، وامر الشيخ السيد ان يكتب في ذلك كتاباً لأخيه ، فكتبه وجاء به إلى الشيخ لينظر كيف كتبه وإذا فتح الشيخ كتابه ، وإذاً في الكتاب ملامة لأخيه من سوء معاملته ، وانّ امثال ذلك يضره في اعتباره عند الناس في كسبه ، وإنّه يضرّه في آخرته ، ولمّا رأى الشيخ كتابه ، وانّه قدم الضرر الدنيوي على الضرر الاخروي ، قال : هذا الكتاب يشبه كتاب الغافلين ، فإنّ المراقب لا يقدم ذكر الدّنيا على الآخرة .

ومنها انّ الحمّام يذكر النار للمراقبين ، فمن لم يتذكّر النار في الحمّام ، فهو من الغافلين ، ووجه ذلك انّ المؤمن من جهة ايمانه باليوم الاخر لا بدّ له ان يكون دائماً خائفاً من النار ، حتّى يجوز على الصراط ويأمن منها ، والخائف من شيء هائل منتظر ، انّما يتذكّر بروية كلّ ما يشبه ما يخافه ، والحمّام انّما يشبه في بعض الوجوه بجهنّم ، لأنّ النار من تحت ، والظلمة من فوق ، وهو ماء حارّ .

ومنها الاشارة إلى أنّ المؤمن انّما يلزمه ان يكون متذكّراً في كلّ ما يراه ، ما يناسبه من امر آخرته ، فانّ الحمّام لا خصوصيّة له من هذه الجهة ، فالحكم عامّ فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون له فيما يراه من جزئي أو كلّيّ عبرة ، وموعظة فاذا نظر الى النار ، يتذكّر منها نار جهنّم وإلى الظلمة ذكر ظلمة القبر ، وان استوحش من شيء ذكر وحشة القبر ، وإن رأى شيئاً بالياً ذكر منه بلائه . وهكذا .

ومنها انّ النظافة حتّى نظافة البدن امر مرغوب ، ثمّ انّه [1] يستحب ان يقول الإنسان إذا دخل في البيت الثالث ، نعوذ بالله من النار ، ونسأله

---

(١) كما في رواية محمد بن حمران رواه في الوسائل

الجنّة إلى أن يخرج منها .

فصـــل : في التنـويـر ، ورد في الحثّ عليه اخبـار كثيـرة ، وفي الزجر [1] عن تركه وتـأخيره عن شهـر أمر عـظيم ، وللمراقب في امـره عبرة شريفة ، وهي انّ هـذه الشريعـة لم يهمل الانسـان من العمل بـالحكمة في أمر اشعار معـدودة على اسافـل اعضائـه ، وزجر عن عـدم ازالتها بـالتأكيـد كيف يجوز ان يهمل هـذا الحكيم الانسان في اصـلاح صفات قلبـه ، الّتي بهـا تميـزه عن سـائـر الحيـوان وينله إلى الـدرجـات العلى مـع العليّين ، وتشبهـه بـالمـلائكـة العـالمين ، وأيضـاً يجب على المؤمن بـاحكـام هـذه الشـريعة ، إذا رأى مـا روي في رواية التنـوير انّ من تـركها شهـراً لم تقبل صلاته ، ان يعتبر من ذلك في الجـدّ للعمل بجـزئيّات احكـام الشرع ، ولا يستحقـر شيئـاً من جـزئيّـاتهـا ، ويستحبّ لمن تنـوّر ان يـدعـو بهـذا [2] الـدعاء : «اللّهمَّ طيّب مـا طهر منّي ، وطهّـر ما طـاب منّي ، وابدلني شعـراً طـاهراً لا يعصيـك ، اللّهمّ أنّي تطهّـرت ابتغـاء سنّـة المـرسلين ، وابتغـاء رضـوانك ومعـرفتك ، فحـرّم شعري وبشـريَ على النـار ، وطهّـر خلقي ، وطيّب خلقي وزكّ عملي واجعلني ممّن يلقـاك على الحنفيّة السمحـة ، ملّة إبـراهيم ، ودين محمّد حبيبـك ، ورسولـك عامـلاً بشرائـعك ، تابعـا لسنّة نبيّـك (ص) ، آخذاً بـه متـأدبـاً بحسن تـأديبـك ، وتـأديب رسـولـك (ص) وتأديب أوليائك الّذين ادّبتهم [3] بأدبـك ، واوعت الحكمة في صـدورهم ، وجعلتهم معــادن لعلمـك ، صلواتــك عليهم » فمن قـرئــه طهـره الله من الادنـاس الدنيـويّة ، والصفـات الرذيلة من الـذنوب ، وبـدله من كـلّ شعر

---

(١) كما في الوسائل « بـاب استحباب النـورة وان قرب العهـد به » وبـاب لا اطلاء في كل خمسة عشر يوماً .

(٢) كما في الوسـائل عن سـدير انـه سمع عـلي بن الحسين عليهـما السلام يقـول : من قال اذا طلى بالنورة : اللهم طيب الدعاء .

(٣) في نسخة الوسائل : غذوتهم بأدبك .

أزال من بدنه شعراً لا يعصى فيه ، ويخلق بعدد كلّ شعرة في بدنه ملكاً يسبّح الله إلى يوم القيامة ، يسوّى كلّ واحد من تسبيحهم الف تسبيح من تسبيحات أهل الارض ويلحق بالنورة ازالة شعر الإبط ، وفيه أيضاً تأكيد شديد ، ويستحبّ ازالة سائر شعور بدنه غير المنشأة منها ، ويستحبّ لمن تنوّر ان يتحنّا [1] موضع التنوير كلّه ، بل سائر جسده من الفرق إلى القدم ، كما يجب على من تخلّى من الرذائل ، أن يتخلّى بالفضائل .

فصل : في تقليم الأظفار ، والعبرة في ذلك ان يعلم المراقب انّ ايذاء الغير ، والظلم والتشبّه بالسباع ممقوت عند الله ، بحيث لم يرض بما هو من آلتها في بدن الانسان ، فأمر بتقليم الأظفار ، ويكشف عن ذلك قوله تعالى في مواعظ [2] عيسى (ع) : « قل لظلمة بني إسرائيل قلّموا أظفاركم من كسب الحرام ، واصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء[3] واقبلوا بقلوبكم ، فانّي لست أريدصوركم » فعلم من ذلك انّ المراد الأصلي من هذه الاحكام الصوريّة ، هو اصلاح القلوب بصفة العدل ليصلح لخلافة العدل الحكيم تعالى ، ويعلم من ذلك عناية الله في حقّ هذه الأمّة المرحومة ببيان هذه الجزئيّات ، ويعلم هذه المراتب من حكمة الظاهر والباطن ، ومنّته عليه حيث جاء من الله بهذه الشريعة الكاملة الّتي لم يترك فيها شيء يمر ممّا يقرب [4] من الله تعالى ، وما يبعد عنه حتّى ارش الخدش ، ويتفطّن من ذلك أنّ شريعته هو الصراط المستقيم ، الّذي هو أقرب الطرق إلى الله على التحقيق لا المجاز .

فصل : في أخذ الشارب واعفاء اللحى . للعبد المراقب ان يتفطّن من هذا الحكم عناية الله في حقّ عباده ، بعدم رضاه ان يكون على

---

(١) اي طلي الحناء والخضاب به ، كما في الوسائل عن محمد بن يعقوب ره .

(٢) كما في البحار ج ٥ في مواعظ عيسى عليه السلام نقلاً عن الكافي والأمالي .

(٣) الخناء : الفحش .

(٤) كما في خطبة حجة الوداع للنبي ص .

صورة اعدائه فانّ ذلك غاية للاعتناء بالعبد من المولى ، وأن يتفطّن بخطر مخالفة هذا السيّد البرّ الودود ، وكيف يبدّل مقام التكريم ، والتشريف والودّ والعطف على الذلّ والهوان ، والبغض والعدوان ، حتّى يكون التشبّه به في الصورة أيضاً حراماً ، وبالجملة ورد في الحديث القدسي [١] إنّ الله أوحى إلى بعض أنبيائه قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس اعدائي ، ولا تطعموا مطاعم اعدائي ، ولا تسلكوا مسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي .

أقول : فانظر يا مسكين ، ان سيّدك انّما خصّك واصطفاك لنفسه ، وميّزك عن أعدائه ، حتّى في الصورة والهيئة ، بدناً ولباساً ، ومسكناً ونزهك عن التشبيه بهم ، حتّى في الصورة والهيئة ، فان خالفته في هذا الحكم ، وامتنعت عن قبول هذه العناية ، وتلبّست بعد ذلك بلباس اعدائه ، واخترت التشبّه ماذا يحكم عقلك بهذه المخالفة من الجسارة والقبح ، هل هذه إلّا اظهار العناد بربّ البلاد والعباد ، وتفكّر في هذه الجاهرة بالشقاق والعناد ، بالنسبة إلى ملوك الدنيا وساداتها ، مثلا اذا كان للسلطان لباس خاص بجنوده ورعيّته ، ولعدوّه أيضاً لباس مخصوص ، وأعطى السلطان خلعته لواحد منهم ، وقال اجعله لباساً لك على هيئة ألبسة جنودي ، ورعيّتي ، وحذّر أن يجعله على هيئة لباس اعدائه ، وخالف هذا وذلك ، وجعل خلعة السلطان على هيئة لباس اعدائه ، ولبسه في حضوره ماذا يقول العقلاء لهذه المخالفة ، أيعدّه معصية ، أم يقول انّه معاندة ، واظهار شقاق وطغيان ؟! فاحذر من مثله في امر ملك الملوك تعالى .

فصل : في العطر ، روي في الكافي عن عليّ بن ابراهيم ، رفعه إلى أبي عبد الله (ع) في حديث قال : صلاة متطيّب افضل من سبعين

---

(١) كما في الوسائل عن الكافي بإسناده عن اسماعيل بن مسلم في باب كراهة لبس السود .

صلاة بغير طيب ، وروى الصدوق باسناده عنه (ع) ، قال : لمفضّل : ركعتان يصلّيهما متعطّر افضل من سبعين ركعة يصلّيهما غير متعطّر ، ورواه في الخصال أيضاً .

أقول : لا يذهب عليك انّ مثل هذه الرواية ، والفضل للطيب انّما هو من جهة شرف العقل ، لأنّ العطر يقوّي الدماغ ، ويحفظه من الفساد وفساده يفسد العقل ، والعقل أشرف اركان حقيقة الانسان ، واشرف مراتبه ومقاماته ، بل هو أشرف اجزاء العالمين كلّها ، وجميع الخيرات منسوبة إليه ، كما انّ جميع الشرور منشأه الجهل ، ولذا ورد الحثّ الأكيد ، والترغيب لكلّما له دخل في تقويته ، ودفع الموذيات عنه ، وأيضاً العطر مثال المتحلي الّذي هو شطر مقابل للمتخلي ، الّذي يعبّر عنه في الاخبار بنصف الايمان ، فيكون هذا أيضاً مثلا بنصف الايمان ، فليتفطّن العاقل من امثال هذه الأحكام ، على درجة لطف الله جلّت آلائه ، واستحكام شريعة حضرت سيّد المرسلين ، انّهم لم يهملوا امثال هذه الجزئيّات من أسباب تقوية العقل الكاسب للايمان والتوحيد ، والكمال ، والسعادة فيستحيي بعد هذا التفطّن ، عن اهمال احكام هذا العقل ، وتضييع هذه الألطاف الثمينة ، وكفران هذه النعم الجميلة الجليلة ، فليخاطب نفسه العوّاد للكفران ، والتعرض للخذلان ، ويقول : يا جاهل يا عدوّ نفسه إلى م هذا التواني والكسل ؟ والاهمال والتضييع ، والتعرّض للهلاك ؟ أما ترى انّ الربّ الودود لك في مقام هذا اللّطف اللّطيف ، والذكر الشريف ، بأن جعل لك شريعة ، وأحكاماً ، وتعرّض فيها لهذه الجزئيّات من جزائك ، وأرسل نبيّاً وأنزل كتاباً ، وجعل لذلك ملائكة ، وحفظة وأعواناً ، وجعل بتحصيل هذه الخيرات مثوبات جزيلة ، وأنت تضيعها كلّها بالاهمال .

فصل : في التيمّم قال الله تعالى [1] : ﴿ وإن لم تجدوا ماءً

(١) النساء الآية ٤٣ .

فتيمّموا صعيداً طيّباً ﴾ .

أقول : ينبغي للعاقل ان يمعن النظر في أمثال هذه الأحكام الّتي لا سبيل للعقول العامّة إليها ، فانّ عقول العامّة ترى الوضوء والغسل مناسبة بل لازمة للصلاة حيث يرى فيها التنظيف ، والتطهير ، ولا ترى للتيمّم ذلك ، بل ترى خلافه ، ولكن إذا أمعن النظر في قوله تعالى بعد آية التيمّم **﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهّركم ﴾** انّ التراب أيضاً طهور ، كما قال رسول الله (ص) : جعلت لي الأرض مسجداً ، وترابها طهوراً ، ووجه كونه طهوراً لا يدرك إلّا برؤية القذارات المعنويّة ، وروح هذه القذارات الظاهريّة ، ونور التواضع بمسّ التراب ، ومسحها على الأعضاء الشريفة ، فانّ المقصد الأصلي من الوضوء أيضاً تطهير الأرجاس المعنوية بمسِّ الماء ، الذي هو مظهر اصل الحياة ، والعلم الَّذي به الاستخلاص من جميع الاوزار ، والأرجاس ومسّه يؤثر في تطهير الظاهر والباطن ، وإذا فقد او ضرّ فبدله ما يحصل منه تطهير الباطن ، وهو مسّ التراب الّذي هو إشارة إلى الرجوع إلى حقيقته الّتي هي عدم محض ، وتواضع في الظاهر الّذي هو فناء عن الانيّة ، فيحصل به ما يحصل بالماء والعلم من طهارة الباطن ، دون الظاهر ، ولأنّ مقصود الأهم امر الباطن ، فعند عدم الامكان اكتفى بطهارته الّتي هي العمدة ، دفعاً للحرج ، ويمكن أن يقال انّ هذا عدة الله في جميع مراتب تذكية النفس، وتهذيب الأخلاق ، فإنَّ آخر المجاهدة ان يتواضع العبد من حوله وقوّته ، ويرى الحول والقوّة كلّه لله ولكن الخطب كلّه في صدق هذا الحال، وعدم الغرور فيه ، وشاهده ان يكون هذا حاله بالنظر إلى الامور الدنيويّة ، والأسباب الظاهريّة ايضاً ، ولا يتمسّك في جلب منافعه ، ودفع مضارّه بالأسباب إلّا من جهة أمر الله ، لا لاعتقاد انّه ينفعه أو يضرّه .

فصل : في اللّباس ويقع الكلام فيه في امور :

الأول : في معرفة انّه تعالى انّما كرّم بني آدم به ، دون سائر أنواع الحيوانات ، وله شكر النعمة ، ولا اقل من أن لا يخالف العبد في كرامة الله من اللباس مراده ، فان المخالفة بنفس الكرامة اقبح لا محالة عند العقل ، والمخالفة في اللّباس يكون من وجوه :

الاوّل : بأن تخالفه في ذاته بأن تجعله من المغصوب ، أو جنسه بأن يلبس الحرير أو الذهب مثلا .

والثاني : أن تخالفه في مقداره بالتبذير .

والثالث : أن تخالفه في هيئته بالاطالة المنهيّة ، ونحوها أو بالتّشبه بالنسوان ، أو بالتشبّه بالكفّار وظنّى انّ هذا اغلظ صور المخالفة ، وأقبحها على العاقل لأنّ التشبّه بأعداء الله ، والتلبّس بلباسهم في حضوره ، بعد نهيه بالخصوص ، كأنّه مبارزة ، ومعاندة له في حكم العقل ، لا سيّما بعد ملاحظة ما ورد في الحديث القدسي [1] بهذا اللّفظ : قل لعبادي : لا تلبّسوا بلباس أعدائي ، ولا تشبّهوا بأعدائي فتكونوا اعدائي ، ثمّ انّه يزيد قبحاً ، ووخامة أن يكون ذلك في بلاد المسلمين ، لأنّه يكون لا محالة مبغوضاً [2] لهم ، ومنكراً عندهم ، ومخالفاً لصورهم واللباس نفسه للستر ، والحفظ وكيفيّته ليس إلّا للتزيّن للغير ، فالتلبّس بلباس الكفّار في بلاد المسلمين ، مع كونه منكراً عندهم ، لا يكون إلّا من مناسبة ذاتيّة ، وإلا فالعرضيّات هناك تقضي بتركه ، وذلك كتلبّس بعض أهل زماننا بلباس الافرنج ، فانّهم يتشبّهون بالافرنج بقصد الوجه فيما يضرّهم في دنياهم أيضاً ، بل وقد رأى أنّ بعضهم من جهة التشبّه بهم ، يعالجون شعرهم الأسود بالدواء ليكون

---

(١) كما مر في الحديث القدسي المروي في الوسائل .

(٢) قد صار التلبس بلباس اعداء الدين في زماننا هذا عزة وفخاراً والتلبس بلباس اهل الدين وشعار المسلمين عاراً وشناراً والى الله المشتكي .

اصفر ، ويشبه الافرنج مع انّ أهل الذوق اجتمعوا انّ السواد في الشعر أجمل ، نعوذ بالله من الخذلان في الدنيا والآخرة .

ثمّ انّ الراجح في أمر اللّباس ، الاقتصاد لا الفاخر الأعلى ، ولا الداني الأسفل بخلاف المأكل والمسكن ، وغيرهما ممّا يعيش به الانسان من عروض الدنيا ، لما في الأخبار في تعريف الشيعة ، التعبير بقولهم (ع) مأكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، فانّ الشهرة باللّباس مرغوب[1] عنه ، من كلا الطرفين ، وربّما يترجّح أحد الطرفين بالعرض ، هذا ويكره [2] الصّلاة في الثوب الّذي فيه تماثيل ، والخاتم الّذي فيه صور ، ولو كانت مستورة خفت الكراهة ، ولو غيّرت بقطع الرأس مثلا انتفت ، وكذا في الحديد إلا إذا كان مستوراً او حال ضرورة ، وقيل بالحرمة ، وفي ثوب من لا يتوقّى النجاسة ومن يستحل الميتة بالدبغ ، والثوب الّذي يلاصق وبر الأرنب ، والثعالب ، والسود إلّا في الخف ، والعمامة والكسا ، والمشبع اللّون والرقيق الغير الحاكي وفي السراويل وحده إلا أن يجعل على عاتقه شيئاً ، ولو حبلا ، ومع الخضاب وإن كانت خرقة نظيفة ، واللّثام للرجل ، وتخف حالة الركوب وقيل بالتحريم والنقاب للمرئة ، وخلو جسدهنّ عن القلائد ، وفي الخلاخل المطلوبة لهنّ ، وظاهر القاضي التحريم ، وقيل لله اختصاصها بالصلاة ، واشتمال الصماء ، وهو ان يدخل الثوب من تحت جناحه ، ويجعله على منكب واحد ، وقيل هو جعل وسط رداءه تحت احدى ابطيه ، وطرفيه على المنكب الآخر ، والقميص الّذي ليس عليه رداء للامام ، والعمامة لاحنك

---

(١) أي طرفي الخلقان والخشن ، والفاخرة الثمينة ، كما في الوسائل ، فعن الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان الله يبغض شهرة اللباس ؛ وأبي سعيد عن الحسين عليه السلام قال : من لبس ثوباً يشهر كساه الله يوم القيامة ثوباً من النار .

(٢) كل ما ذكره قدس سره مذكور في الوسائل ومعنون في الكتب الفقهية فلا حاجة لنا الى نقل ذلك كله واطالة الكلام فمن اراد فليراجع اليها .

لهـا ، وإن كان الـظاهـر من أكثـر الاخبـار كـراهتهـا مـطلقـاً ، واستحبـاب التلحّي ، والتحنّك وهو ان يـديره دوراً منهـا تحت الحنك ، والابتـدال وهو ان يجعـل أحد طـرفيهـا بين المنكبين من خلف ، أو خلف الاذن اليمنى ، والثـاني في الصـدر ، والجمـع أولى بـأن يجعـل رأسهـا مسـدولـة خلف المنكب الأيمن ، ويديرهـا على رأسه على مـا يشاء ثمّ يـديرهـا دورة تحت الحنـك ، ويجعل آخـرها مسـدولا على الصـدر من طـرف الاذن الأيسـر ، ويكره أيضاً في القباء المشدود ، وظاهر المفيد التحريم ، وفيمـا يستر ظهـر القدم ، ولا يستر شيئـاً من الساق كـالشمشك ، وعبّـر بعضهم بالجـرموق ، وهـو معرّب سـرموزه وقـال جماعـة بتحريمـه ، والنعل السنـدي ، وحـرمـه بعضهم كلّها للنصّ ، إلاّ الثلاثة الأخيرة ، وفي استحبـاب لبس الفاخـر في الصـلاة ، لأنّ الله جميـل يحبّ الجمـال ، أو لبس الخشن أقـوال مختلفـة كظاهر الاخبار يمكن الجمع بـأن يقال بـاستحباب كـلّ منها امّـا الأوّل فلأنَّ الله يحبّ الجمال ، وأما الثاني فبقصد التـذلّل والتـواضع ، واحتمـل بعض المحـدّثين حمـل الثـانيـة على التقيّـة ولم يثبت ، وأمّـا اسـرارهـا فيكفي لمعـرفتها التـدبّر فيمـا قالـه الصـادق في مصبـاح الشـريعـة ، ازين اللبـاس للمؤمن لباس التقوى وانعمـه الايمان ، قـال الله تعالى : ﴿ **ولبـاس التقوى ذلـك خير** ﴾ وأمّـا اللّباس الـظاهر ، فنعمتـه من الله يستر بهـا عـورات بني آدم ، وهي كـرامة أكـرم الله بها ذريّـة آدم مـا لم يكـرم بهـا غيـرهم ، وهي للمؤمنين الـة لأداء ما افتـرض الله عليهم ، وخير لبـاسك مـا لا يشغلك عن الله ، بـل يقـربـك من شكـره وذكـره وطـاعتــه ، ولا يحملك إلى العجب والـرياء ، والتـزيّن والمفاخـرة ، والخيلاء فـانّها من آفـات الدين ، ومـورثة القسـوة في القلب ، وإذا لبست ثـوبـك فـاذكـر ستـر الله عليـك ذنـوبــك برحمته ، والبس بـاطنك بـالصدق ، كما البست ظاهـرك بثوبـك ، وليكن باطنك في ستر الرهبة ، وظاهـرك في ستر الـطاعة ، واعتبـر بفضل الله عـزّ وجلّ ، حيث خلق اسباب اللباس يستر بهـا العورات الـظاهرة ، وفتـح باب التوبة والانـابة ليستـر بها عـورات الباطن من الـذنوب ، واخـلاق السوء ولا

تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره ، واحذر ان يفنى عمرك بعمل غيرك ، ويتّجر برأس مالك غيرك ، وتهلك نفسك ، فانّ نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله في العاجل وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله ، فهو بمعزل من الآفات ، خائض في بحر رحمة الله ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والعرفان وما دام ناسياً لذنوبه ، جاهلا لعيوبه ، راجعاً إلى حوله وقوّته ، لا يفلح إذاً ابداً انتهى »
وللمؤمن في التدبّر باشارات هذا البيان المقدّس الوافي مجال واسع ، ولا بأس بذكر ما يذكر ما يمكن ان يراد من بعض اشاراته الاجماليّة منها قوله (ع) وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله ـ اه .

أقول : هذه العبارة من جوامع الكلم ، الّذي لا يبلغ على كنه ما فيه فطنة البشر ، وكلّما يتفكّر الانسان فيه يزيده المعرفة بحسنه وكماله ، ومن جملة ما فيه مع وجازة اللفظ اشتماله بجميع مراتب الخير في أمر اللّباس ، مع اشارة إلى علّتها ، لأنّ اللباس إذ كان أجود كثيراً يشغل القلب بالرياء ، والعجب والتفاخر ، وحفظه ، وإذا كان ادون أكثر من حدّه الشرعي ، وهو أيضاً يشغل القلب إمّا بالرياء أو بالخجل ، والتكلّف بستر بعض نواقصه عن الأنظار ، ويلجأ الانسان إلى أن يتحفّظ من وخامة ما يؤثر في خلق العالم من حقارته ودنائته ، فانّ في ذلك أيضاً وجوهاً للحكمة لا يعقلها ، ولا يصيب حقيقتها من دون شوائب الغرور ، إلا من أعطاه الله الحكمة لفضله العظيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، فانّ الانسان إذا لبس الأدون من اللباس ، يعامله الناس معاملة المجانين والأراذل ، وذلك قد يصير سبباً ، وعوناً للشيطان في بعض الاحوال ، فانّ الجاه مقدار منه من أسباب الآخرة ، ولكن الخطب كلّه انّ الجاه من جهة انّه غذاء للروح وموافق لهوى النفس ، ولذّته روحانيّة فوق اللّذّات الجسمانيّة ، يعمى حبّه قلب الانسان ، فيغترّ

في رعاية قدر الحاجة منه ، وإخلاص النيّة فيه ، فيحصل ما يضرّه ضرراً عظيماً ، فيتخيّل انّه نافع ، ويعتقد انّه يحصله الآخرة ، وهو يحصله للدنيا ، فهلك من حيث لا يشعر ، ويحسبه هيّناً ، وهو عند الله عظيم ، والكلمة الجامعة تحفظ هذه الحدود الدالّة للمريد على الصراط السوي والنمط الأوسط ، وجادة الاعتدال من طرفي التفريط والافراط ، هو ما عبّر عنه ألامام (ع) من قوله : خير لباسك ما لا يشغلك عن الله ، نفاسة أو ردائة وأمّا قوله : بل يقرّبك إلى الآخرة ، اشارة إلى تفصيل اصول ما يستحبّ رعايته في اللباس .

وأمّا قوله : فلا يحملك اه ، فهو إشارة إلى وجوه الاشتغال عن الله إجمالا ، ومن أراد تفصيلها فعليه ان يعمل بما القاه (ع) في هذا الباب [1] . من الأصول ، لينفجر على قلبه عيون الحكمة المودعة فيها .

وأمّا قوله : ولا تفضح أحداً حيث ستر الله علياك اعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك عمّا لا يعنيك حاله وأمره ـ اه .

أقول : هذا الأصل من أعظم اصول المجاهدة ، واسلمها وانفعها ، وفيه أيضاً اشارة إلى علّة الحكم ، فانّ الانسان إذا اشتغل بعيب نفسه ، وإصلاحه يكون ذلك شغلاً شاغلاً له عن الالتفات الى الغير، وتجسّس عيوبهم ، فتسلم من جميع آفات ايذاء الناس إذا غلبها ، وأمّا إذا غفل عن نفسه ، فتراه لا يسكت عن التعرّض للغير ، والاشتغال بتتبع عثرات الناس ، ويدخل تحت قوله (ع) على ما رواه في الكافي [2] ، وغيره : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم قلبه لا تتّبعوا عثرات المؤمنين ، وإذا أعان الله عبداً على نفسه ، يعرفه عيوب نفسه وآفات

---

(١) وهو الباب السابع من مصباح الشريعة في آداب اللباس .

(٢) الكافي ـ باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم : عن اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله ، وكذا عن أبي بصير عنه (ع) .

عمله ، ومداخل الشيطان ، فيشتغل بنفسه عن غيره ، حتّى ينتهي أمره إلى أن لا يرى في الناس أحداً مثله ، في سوء الأعمال والاخلاق ، بل يعتقد في كلّ من رآه انّه اتقى منه ، وهذا الحال اسنى الحالات ، بل في بعض الأخبار انّه آخر الصفات الحسنة ، وهو تمام الأمر ، فإن اشكل عليك تصوير ذلك ، من جهة انّ المؤمن كيف يقطع بكلّ من رآه من الناس وفيهم هؤلاء الفسّاق ، والفجّار المعلنون بالكبائر انّه اتقى منه ، بل كيف يحتمله فضلا عن القطع .

أقول : وتصويره يظهر بعد التأمّل في من غلب على قلبه شيء من الخوف والحبّ والشوق ، بحيث ملك قلبه ، وغلب على سرّه ، فظهرت آثاره في جوارحه وحبّه ، فانّك تراه يحكم بخلاف الحس ، أما سمعت المثل المعروف : انّ الّذي لدغته الحيّة يخاف من الحبل ، مع قطعه بأنّ الحبل لا يضرّه ، وأما سمعت انّ الّذين غلب عليهم الشوق ، والمحبّة ربّما احرقوا بالنار ، ولم يحسّوا بألم الاحراق ، من غلبة لذّة الوصال ، فإنّ المؤمن إذا تجلّى عليه عظمة مولاه ، ومراتب عطوفته ، وعنايته وعرف موقع جناياته ، وعصيانه مع هذا الملك العظيم الرؤوف ، وعرف شيئاً من حكم عدله ، وجلاله ، قد يبهر الخوف عقله ، ويؤثر في قلبه ، ويغلب على حسّه ، فيحكم بانّ ما هو فيه من قبح المعصية ، لا يمكن ان يوجد في العالم مثله ، وقد يؤثر من جهة الحياء والخجل بأزيد منه ، ومن جهة الشوق والمحبّة بأزيد منهما ، ففي كلّ هذه الأحوال ينتهي أمره ، بحيث يحكم بخلاف الحسّ فيقول (١) النّاس انّه خولط ، وما هو بذلك ، وقد خامرهم من عظمة ربّهم ، وشدّة سلطانه ، فأذهبت به عقولهم ، يقولون مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا هل شملهم الخبل ، وهؤلاء الأولياء هم الّذين لا يكون لهم ذكر ، وفكر وشغل سوى الله ، بل ولا همّ ومقصود إلّا رضا محبوبهم ، ولا يعتنون بشيء غيره من دنيا وآخرة .

(١) كما روى في صفات المتقين في نهج البلاغة والكافي وغيره .

آنکس که تراشناخت جانرا چکند   فرزند وعيال وخانمانرا جکند
ديوانه كنى هر دو جهانش بخشى   ديوانه تو هر دو جهانرا جكند

اقول : فوا سوأتاه إنّا لله ، وإنّا إليه راجعون ، ممّا نحن فيه من الغفلة والعزّة في هذه الدنيا ، والاسف والحسرة في الآخرة ، فانّها مصيبة عظيم رزئها ، وجلّ عقابها ، وبالجملة إذا كان المقصود الأقصى ، والمهمّ الاسنى ان يكون العبد مشتغلا بربّه عن جميع من سواه ، وإن لم يقدر على ذلك ، فيما يمكنه من ذلك الأقرب فالأقرب ، لا يكون له حدّ في لباسه ، بل وفي سائر ما يتعلّق به ، إلاّ ما يليق بهذا المقصد ، لأنّه قد يختلف أحوال السالكين في ذلك ، بل ويختلف أحوال الاعصار ، والامصار ، فالكلمة الجامعة هو ما أشار إليه أوّلاً ، ثمّ تفصيله ما أشار إلى جملة إلى آخر كلامه ، وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

فصل : يستحبّ [٢] لمن يريد اللباس أو نزعه ، التسمية وان يبدء عند اللّبس باليمين ، حتّى في النعل ، وباليسار عند النزع فيه ، وان يقول عند اللّبس : ولا تلبسوا الحقّ بالباطل ، ولا تكتموا الحقّ ، وأنتم تعلمون ، ويقول : اللهم البسني لباس التقوى ، وجنّبني الردى ، وان يقول بعده : الحمد لله الّذي كساني ما اواري به عورتي ، واتجمّل به في الناس .

روى في الكافي في رواية [١] أمر أمير المؤمنين (ع) لمن كساه الله ثوباً جديداً الوضوء ، وصلاة ركعتين يقرأ فيهما امّ الكتاب ، وآية

---

(١) كما في الكتب الفقهية والسنن وكذا البسملة عند نزع اللباس مروي وانها أمان عن تصرف الجان وأما عند لبسه لدليل عام وكذا ما أورده «قده» مذكور في الوسائل وغيره ولم أجد قوله : وان يقول : لا تلبسوا الحق ـ اه .

(٢) كما في الوسائل باب ما يستحب ان يعمل عنه لبس الثوب الجديد .

الكرسي ، والتوحيد ، والقدر ، ثمّ يحمد الله الّذي ستر عورته (وزيّنه خ ل) وجمّله في الناس ، واكثار قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فانّه لا يعصى الله فيه .

وروى [1] عن أبي عبد الله (ع) انّ من قرء القدر اثنتين وثلاثين مرّة في اناء جديد ، ورشّ ثوبه الجديد إذا لبسه ، لم يزل يأكل في سعة ما بقي منه سلك .

وروي الشيخ صلاة ركعتين في المسجد بعد لبسه ، وقول الحمد لله الّذي رزقني من الرياش ما اتجمّل به في الناس .

وروى غير ذلك أيضاً .

ثمّ انّه قد أشرنا فيما قدّمنا انّ الأمر في اللباس من حيث الجودة ، والرداثة ليس مثل سائر اساس البيت ، والمأكل والمسكن ، وأمّا الّذي يستنبط من كلامهم فيها ، فهو ان يتواضع بقدر الوسع ، والطاقة ، ولا يزيد ، فالاخبار الواردة في الجوع والتواضع لله في ترك لذائذ الاطعمة ، وذمّ بناء ما لا يسكن وحرمة البناء للفخر ، وترك الشرفة للبيوت ، وذمّ تشييد البناء واعلائه ، وذمّ التكاثر في اسباب الدّنيا كثيرة فوق جدّ التواتر ، فمن ابتلى بمسألة التجمّل في الاسباب واساس البيت وسلك هذا الوادي قد ما يوشك الشيطان ان يوقعه في ما لا نجاة له منه ولا خلاص لان التجمّل بالاعيان ، والعروض لا حد له ، لأنّ لكلّ يوم جمالاً مخصوصاً لا يكفي له الجميل السابق من الأسباب والّذي كان في السابق يخلق وينكسر ، ويتجدّد وغيره ، فيصير بعد كونه جمالا محبوباً ، منفوراً عند أهله وقوّة حبّ الجاه الّذي دعاه لذلك ، يستدعي في كلّ يوم زيادة على ما سبق ، ويقول هل مزيد والمصرّ في ذلك إنّما يهلك من وجوه

---

(١) كما في الوسائل عن الصدوق في الخصال وروى غير ذلك ايضاً في الوسائل وغيره لا حاجة الى نقله .

مختلفة ، ايسرها والزمهـا الاشتغال عن ذكـر الله تعالى ، ولـذا ترى القـرآن أكثره في مذمّة الدّنيا ، والاشتغال بها ، والحثّ على الزهـد فيها ، والـرغبة في امـر الآخرة ، وكفى من ذلـك للمؤمن قولـه تعالى : ﴿ **من كـان يـريـد الحياة الدنيا** ﴾ .

فصــل : في الاوقـات ، اعلم انّ الاوقــات كــالامكنــة ـ وســائــر الموجودات منها سعيد ، ونحس ، وشريف ، وغير شـريـف ، بالجملة فلهـا احكـام مختلفة تـظهر فيمـا يوقـع فيها من الأفعـال بل ومـا يـوجـد فيهـا من الموجودات ، بمناسبات ذاتيّة حقيقيّة ، يعـرف من انطباق العـوالم وعرضـية اعتبـاراته يعـرف من العلم بالحـوادث الزّمـانيّة ، وحكم تـأثير المجـاورة ، وبـالجملة لا يعرفهـا كلّها إلاّ عـلاّم الغيـوب ، أو من ارتضى من رسـول او وليّ ، وكيف كان فقد ورد في الشـرائع لهـا احكام ، لا سيّمـا شريعـة نبيّنا الخاتم (ص) ، فقد ورد فيها احكام ، ووظـائف مفصّلة لسنيها ، وشهـورها واسابيعها ، وأيّامها ، ولـيـاليها وسـاعاتهـا ، ثمّ إنّه قـد ورد في أخبار كثيـرة انّه يؤتى بالاوقات يوم القيامة في صورة الاعيان ، بـل في صورة الانسـان ، وهكـذا ورد في سائـر الاعـراض ، وهـذا ينكـره العقـول الضعيفـة ، ولكن على المؤمن ان لا ينكـر شيئاً من امثـال ذلـك ، بـل يقـول : هم اعلم بمـا قالوا ، ويستعين من الله الهادي ان يرزقه معرفتـه ، وأمّا تصـوير امكـان هذه الاخبـار فيعلم ممّا اسلفنـاه سابقـاً بانّ لكـلّ مـوجـود في كـلّ عـالم صـورة متنـاسبة لـذلك العـالم ، ويشهد لـه تعبيرات المنـامات ، فـانّ من رأى في المنام انّه ينظم الدّرّ في جيد الخنازيـر ، قال لـه المعبر انّـك تعلّم الحكمة للفــاسق ، ومن رأى انّـه يختم افــواه النّـاس وفــروجهم ، قــال : ذلــك للمعبـر ، واجابـه المعبر بـانّك رجـل تؤذن في شهر رمضـان قبـل الفجـر ، وكان كما قاله ، فعلم من ذلك ان صورة الحكمـة في عالم النّـوم الّذي هـو من العوالم المثاليّة ، صورة الدر في هذا العـالم ، وهكذا الأذان الّـذي قبل الـوقت فيه بصـورة الخاتم ، وهكـذا ، بالجملة لكـلّ معنى حقيقة صـورةً

وقالباً في كلّ عالم بحسبه ، وهكذا ، ولها آثار مختلفة باختلاف العوالم ، فانّ هذا العالم من جهة كونه عالم الطبيعة مظلمة ضيّقة ميّتة ، للحقائق فيه هذه الصوّر ، وهذه الآثار الّتي نراها بالعيان وفي عالم المثال مثلا من جهة انّه لا مادّة فيه ، بل الحقائق فيه مصوّرة ، ومقدّرة بلا مادّة طبيعيّة ، آثار هذا العالم المادّي ، ولذا ترى إنّ الإنسان يطير في النّوم ، يجوز عن الجدار .

وأمّا عالم العقلي ، من جهة انّه دار الحيوان يكون جميع الحقائق فيه ذات حيات ، وشعور كما ورد انّ السرير في الجنّة يبتهج ، ويتحرّك من سروره إذا جلس عليه المؤمن ، وكيف كان لا وجه لاستبعاد احوال العوالم العالية في ميزان عالمنا هذا قال بعض من يدّعي الكشف : انّ كلّ ما في الرّوايات مما تجده بحكم هذا العالم مجازاً كان له في عالم المثال حقيقة بلا توسّع وتجوّز ، رأيناها فيها بعين هذه الصور المرويّة ، وقد ذكروا لهذا العالم من الخواص ما لا يقبله عقول أكثر النّاس ، واستشهدوا لها من الأخبار الواردة في حالات الكاملين وصفاتهم ، من قبيل قولهم (ع) كلّنا محمّد ، وكلّنا واحد ، وأنّه في شرب بعض انهار الجنّة طعم كلّ مطعوم [1] ، ومشروب ، يقولون : انّ هذا من جهة انّ موجودات هذا العالم كلّها جنيبة حاضرة عند كل واحد منها ، فانّ الانسان يجد في كلّ لحظة جميع اللّذات الموجودة في كل شيء كل واحد بطعمه المخصوص ، ولذّته الخاصّة من غير بطلان للخصوصيّة ،

---

(١) كما في العيون بإسناده الى عبد السلام بن صالح الهروي ، قال قلت للرضا عليه السلام ، يا ابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروى انّها الحنطة ، ومنه من يروي انها العنب ومنهم من يروي انها شجرة الحسد ، فقال (ع) : كل ذلك حق قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ، فقال : يا ابا الصلت شجرة الجنة تحمل انواعاً ، وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب ، ليست كشجرة الدنيا الحديث اقول : وفي هذا الحديث اشارات لطيفة لا يسعها المقام .

يقولون اشياء غير هذا ، لا سبيل لنا لردّهم ، فنذره في بقعة الامكان ، بل نظنّ صدقه بتقريبات وتنبيهات ذوقيّة ، واشارات وتلويحات نقليّة ، حتّى يرزقنا الله معرفته بالعيان من فضله وكرمه ، وبالجملة يجب على العاقل اذا عقل ، انّ للاوقات والازمنة احكاما ، واشارات ، وإنّ وقته في مدّة عمره بمنزلة رأس مال خطير ، بحيث يمكن ان يتجرّ به في كلّ نفس منافع عظيمة ، وممالك كثيرة ، بل سلطنة دائمة ، يظن ان يتلف منه شيئاً بلا فائده ، بل يجعله مكان هذه الأرباح الكثيرة الفاخرة ، سببا للشقاوة الدائمة والخلود في العذاب الأليم .

ثمّ له أن يعتبر ممّا مضى من عمره ووقته ، لما يأتي في امور :

منها : انّ ما مضى فنى بلذّاتها والامها لم يبق لذّة ولا الم بل يبقى تبعة واجر .

ومنها ان الباقي منه لا يصحّ الرّكون اليه ، حتّى الى آخر يوم وليلة ، فما لا يقدّم همّ مثل هذا الامر محتمل الوجود الهين البقاء ، وسريع الزّوال على أمر قطعيّ الاتيان ، والدّائميّ العظيم الشّأن .

ومنها انّ السعادة والشقاوة ، واللّذة والالم فيه انّما هو بقضاء وقدر لا بسعي وعمل . ولا بتهيّؤ اسباب ، وبين السعي والوصول ، والاسباب والمأمول عموم من وجه ، وإذا اعتبر بهذه الامور ، وتذكّر به عند الهمّ بالامور المهمّة وتفكّر فيهما ، حتّى أثر في قلبه ، لا يكون هم الدنيا عنده أكبر من همّ الآخرة ليبتلي بما يورثه ذلك من الامور الاربعة الموجودة لصاحبه ، كما على ما روي انّ من أصبح وأكبر همّه الدّنيا فليس من الله في شيء ، والزم الله قلبه أربع خصال : همّا لا ينقطع عنه ابدا ، وشغلا لا يتفرّغ منه ابداً ، وفقراً لا ينال غناه ابداً ، واملا لا يبلغ منتهاه أبداً .

فصل : في الاهتمام بالاوقات الشريفة وفيه امور :

الأوّل : فيما يقع في كل سنة مرّة .

والثاني : فيما يقع في كلّ شهر مرّة .

والثالث : فيما يقع في كلّ اسبوع مرّة .

والرابع : ما يقع في كلّ يوم وليلة ، من الاعياد الشريفة ، وأيّام المواليد العزيزة ، وليالي القدر ، وايّام وقع فيه امر عظيم من الله بالنسبة إلى الخلق أمّا الاعياد ، فاللازم ان يعرف الانسان معنى العيد في الاقبال ، ومنها ان يفهم معنى العيد الموجود انه من مقامات السّعود ، وانجاز الوعود ، واقبال الله على العبيد ، واحضار هم بين يدي مقدّس سرادق ظلّه المجيد ، واطلاق خلع الحبّ على القلب ، ونشر الوية القرب من الربّ ، واشراق شموس الاقبال على وجوه الآمال ، وتباشر الاعمال والابتهال بالقبول ، واجابة السؤال ، وتقديم الممالك ، والاتّكاء على الارائك ، وتسليم مفاتيح الرّضا والرّضوان ، وسطر كتب الامن والامان ، وتهيّة ما يحتاج هذا العيد المسعود إليه في المنزل الّذي يقدم عليه ، وبالجملة يوم العيد يوم اطلق الله فيه الاحسان والأنعام بكلّ خاص وعام ، وهو يوم اظهار الجود والكرم ، وبذل الفضل والنّعم ، ومن البيّن انّ الجود والكرم من كلّ جواد بحسب جوده ويساره ، وبحسب قابليّة العبد واستعداده ، وإذا كان الامر بهذا المنوال ، ونشر الوية الأنعام والافضال من الله الكريم المتعال ، فليأت كلّ برّ وفاجر ، ومحسن ومسيء ، ولكن باعتراف وحياء ، وخجل ورجاء ، فانّه لا ردّ له البتّة في مثل هذا اليوم عن جناب اللّطف والاحسان ، من الملك المنّان ، ولكن ذلك كلّه لمن اعتقد بالله وجوده ، ووعيده ، ولكن الكافر والجاحد والآيس ، والمعاند لا حظّ له بحكم العقل ، من شرب حياض الفضل ، بل مورده ومصدره من حياض العدل هذا فانظر كيف عكس الامر بين المسلمين ، فجعلوا يوم العيد عدة اللّهوات ، وشرب القهوات ، واللّعب واللّهو ، والغفلة والسهو ، روى رئيس المحدّثين في كتاب من لا يحضره

الفقيه ، قال : نظر الحسن (ع) [1] الى النّاس يوم الفطر ، يضحكون ويلعبون ، فقال لاصحابه انّ الله عزّ وجلّ خلق شهر رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته ورضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كلّ العجب من الضّاحك اللاعب في اليوم الّذي يثاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه المقصّرون وايم الله لو كشف الغطاء ، لشغل محسن باحسانه ، ومسيء باسائته ، وفي غيرها بزيادة عن ترجيل شعر ، وتصقيل ثوب .

وكيف كان ، فليكن العبد لا محالة قبيل دخول العيد ، حاله كحال من ناداه منادي ملك ملوك الدنيا ، في معشر عام الى مجلس السلام ، والخلع والانعام وله جنايات عظيمة ، وسوابق امور وخيمة ، فانه لا محالة يكون في قلق ، واضطراب بين الخوف والرّجاء ، ويكون لا محالة عليه أثر الخجل والحياء ، ويتفكّر في أن بعدله عدة ينفعه في هذا المجلس العظيم ، وينظر هل يُهمّه أن يكون مقامه في هذا المجلس مقام الاعزّة ، ولباسه من لباس شرفاء الحاضرين ويكون شمول الطاف هذا الملك عليه مثل الاقران ، او يرضي أن يكون رأسه مكشوفاً عن تاج كرامات الله وعورته مكشوفة عن ستر الله ، ومقامه مقام المقصّرين المستحقّين لاعراض الله ، ويتفكّر في ذلك ساعة ، ثمّ يستعلج في ذلك بالعلاجات الفورية لاهل التّقصير ، أوّلا بالتوبة الحقيقيّة ، والانابة الصّادقة ، وان لم يقدر على ذلك ، ولم يعطه نفسه العوّاد للخبيثات ، الفرصة من الدّخول من باب التوّابين ، فلا محالة ترضيها للدّخول من باب الاستغفار ، بقدر الذّنب والدّعاء بالعفو ، والقبول ، وتوفيق التوبة ، ويقول إلهي ان لم تسمح الا من اجازته براءة عمله ، فانّي لممّن لم

---

(١) أقول روى هذا الخبر في الكافي في كتاب الصوم في باب النوادر عن علي عليه السلام ورأيت ايضاً في غيره باختلاف في العبارة وكيف كان فحقيقة المطلب هو ما افاده قده .

تجب قبل القضاء ، واجابة المسؤول ، وان لم تسمح نفسه بذلك ، تعنّه طاعة الرّحمان أن يبالغ في الدّعاء ، والاستغفار فلا محالة ان يدخل من الباب الّذي دخل منه ابليس ، وفرعون ، ولم يخيّبهما ارحم الراحمين ، واجاب دعوتهما ، وهو باب عدم اليأس والقنوط ، فالاولى ان يقول يا من أجاب لأبغض خلقه ابليس ، حيث استنصره ، استجب لي كما استجبت له ، ويا من قضى حاجة فرعون اقض حاجة هذا الفرعون الثّاني بل الاوّل ثمّ يحسن ظنّه على التحقيق بالاجابة ، والقبول ، ونيل المراد والمأمون .

وتفكر فيما افاده السيّد الاجل ، معلّم أهل المراقبة السيّد ابن طاوس في الاقبال ، بقوله : أيّها الاخ المقبل باقبال مولاه ليعلم كيف تحضر بين يديه ارحم ضعف روحك ، ما قبل مشورة نصيحك ، وفكّر في تعظيم من هو مقبل عليك ، وطهّر قلبك من الشواغل الّتي يحول بينك وبين احسانه اليك .

إلى أن قال : اعلم انّ المتوجّهين إلى الله في يوم الذي ، سمّاه جلّ جلاله عيداً لعبيده ، وانجازاً لوعده ، وأمرهم بالخروج إليه ، والوفادة عليه ، فانّ الناس المتوجّهين فيه على اصناف : صنف خرجوا وقد شغلهم هيبة الله جلّ جلاله وجلالة عظمته ، وذهول العقول عن مقابلة حرمته ، واجابة دعوته ، حتّى صاروا كما يصير من لم يحضر ابداً عند خليفته ، واستدعاء للحضور بين يدي عظمته الشريفة ، فانّه يكون متردّداً بين الحياء والخجالة للقاء تلك الجلالة ، وبين خوف سوء الأدب ، وبين أمواج العجز عن الجرئة بالخطاب ، والتماس الجواب ، وبين الفكر فيما ذا عساه يكون قد اطّلع الخليفة عليه من أفعاله ، وسوء اعماله ، فيشغله هذه الشواغل ، عن بسط كفّ سؤاله ، واطلاق لسان حاله .

ثمّ ذكر الصنف الثاني ، وهم الّذين تفكّروا في نعمته تعالى من خلق السماوات والارضين ، وما فيهما من ابتداء خلقهما ، وحفظهما ،

وتـرتيبهما لاجـل انعامهم ، ورزقهم ، وتـربيتهم ، وبالجملة لـوجوه جميـع خيراتهم الدنيويّة والدينيّة ، فـاخجلهم ما مضى من انعـامه ، ومـا حضر من اكرامه عن طلب شيء آخر ، ومن شريف مقامه .

وذكـر الثالث : وهم الّـذين تفكّروا في خيـانتهم لهـذا الملك المنعم المنّان في نعمه ، وتضيعها بالخسران حقّه ، فكسـاهـم ذلّ الخيانـة والامانـة عار الخجل والوجل ، حتى ما بقي بينهم فراغ لرجاء وأمل .

وذكر [1] **الرابع** ، وهم الّذين على مـراكب دالة بـاعمالهم في لبـاس غفلتهم ، وجهـالتـهم فـي نعـم خـالقـهم ، ورازقـهم ، ومـنن مـولاهـم وسيّدهم ، مدّة عمرهم ، وزمان حياتهم ، من الانشاء والحفظ ، والبقـاء ، ووجوه النعماء ، وقال هؤلاء كالعميان ، وكالمرضى .

وذكر الخامس : وهـم الذين خرجـوا ليطلبـوا أُجرة أعمـالهـم في شهر رمضان ، ولسان حالهم طلب المحاسبة في معاملتهم مـع ربّهم ، فأجـابهم لسان حال عدله :

إذا كان كلّ منكم يـطلب اجرة عمله ، فـاذكروا افعـالنا لاجلكم قبـل وجـودكم ، وهـذه حيـاتكم من لـدن أبيكم آدم ، وعملنـا مـع آبـائكم ، وامهاتكم وجدودكم ، فافكروا في اجـرة كلّ من استخـدمناه في مصلحتكم من المـلائكة والأنبيـاء والمرسلين ، والملوك ، والسـلاطين ، وغيـرهـم من جميـع عبيدنـا من الماضين ، والحـاضرين ، فـانظروا مقـدار الفـاضـل من

---

(١) هـذا هو الصنف الثـالث في كتاب الاقبـال للسيـد الاجـل والاصنـاف الـذين ذكـرهم السيد في الاقبـال ستة عـلى ما في النسخـة التي عنـدي ولكن المؤلف قـده عـدهـا سبعـة مستنداً اليـه رضوان الله عليـه ولعله من اختلاف النسـخ وراجعت بعد كتـابة هـذا المقـام الى نسخة اخـرى من كتاب الاقبـال ، فوجـدته كـما في المتن من كونهم سبعـة وذكر «قده»مضمون ما سرده السيد «ره» لا عين الفـاظه وربمـا نقل بعض عبـاراته وقـد صححنـا بعض الاغلاط الموجودة في النسخة المطبوعة ونسأل الدعاء من الناظرين والقارين .

اجرة أعمالنا ، فادّوه إلينا ثمّ تعرضوا لسؤالنا ، حيث عدلتم عن باب الاعتراف لنا بالفضل ، ووقفتم على باب طلب الاجرة .

وذكر السادس : وهم الذين عرفوا انّ أعمالهم لا تقابل نعمه جلّت آلاؤه ولم يطلبوا من باب الأجر سبباً بل مدّوا كف لسان الحال الّذي كان قبل الوجود أي لسان الفقر والاحتياج لطلب الكرم والجود المفضل .

وذكر السابع : وهم الّذين لبسوا لباس المعرفة بقدر المنّة عليه ، باقباله تعالى عليهم ، وحضورهم للاحسان إليهم ، وليس بهم خاطر ولا ناظر يتردّد منذ نشروا إلى حيث حضروا في غير طرق الاعتراف بالمنن لربّهم جلّت آلاؤه ، ويتمنّى لسان حالهم ان لو كان لهم قدرة ان يكونون موجودين في الأزل ، ولا يزال مع وجوده ، وكلّ منهم باذل غاية مجهوده في خدمة معبوده ، وشكر جوده لرأى ذلك قاصراً عن مقصوده ، ولولا خوف المخالفة لما يراه ، لتمنّى كلّ منهم الاّ يفارق باب الخدمة في دنياه واخراه .

أقول إنّما اكتفى «ره» بما ذكر ، واصناف الخارجين أكثر من أن تحصى ، لأنّ مقصوده الإشارة إلى بيان ما هو الغالب على المتعبّدين من اصحاب اليمين من الاحوال ، والأوصاف وإلاّ فالسائرين الى الله من أهل التوكّل والرضا والتسليم ، والشوق والمحبّة والانس ايضاً لهم حالات سنّية غير ما ذكر فانّ من الشوق والمحبّة من يحضر هذا المجلس ، وهو سكران من وجد ما أصابه من لذّة الدعوة والنداء ، ولا الالتفات له الى العامل والعمل والأجر . وهو يلبّى داعي المجلس لسروره وبهجته ، ويفديه لروحه ومهجته .

ثمّ انّه ذكر السيد كلاماً ، وذكراً جميلا للمتشرّف باستقبال العيد ، وهو قوله :

« اللّهم إنّ الملوك والأمراء قد وهبوا خلعاً لمماليكهم وعبيدهم ،

وجنودهم ولو كان مماليكهم من الانبياء ، والعبد المملوك رأسه مكشوف من عمائم المراقبة الّتي يليق بكم ، ومن ميازر الاخلاص الّتي تجب لكم ، ومن سرّ الإقبال عليكم ، ومن الخلع الّتي يصلح للحضور بين يديكم ، وثياب العبد المملوك خلقة بيد الغفلات ، ودنسة من وسخ الشهوات ، ولباس ستر عيوبه ممزّق بيد ايثاره عليكم ، ومغفر غفران ذنوبه ، مكسّر بيد تهوينه بالاستغفار الّذي يقرّبه إليكم ، وعوراته مكشوفة وعثراته مخوفة ، فهو متهتك في هذا العيد السعيد بسوء ملبوسه ، وخجلان خذلان من ثياب منحوسة ، فما انتم صانعون بمملوك يقول لسان حاله : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وأنتم علّمتم الملوك مكارم الأخلاق ، وعنكم ومنكم عرف ابتداء الخلع ، وإطلاق الأعناق ، والأرزاق وقد كان العبد المملوك لما ابتديتم بانشائه ، عرفتم ما يقع منه من سوء إيابه ووسعه حلمكم حتّى خلّعتم عليه خلع البقاء ، وخلع سلامة الأعضاء ، وخلع الشفاء من الادواء ، وكسوتموه لحماً وجلداً ، وبالغتم معه انعاماً ورفداً ، فبقي العبد المملوك عرياناً في حضرتكم ، فمن ذا يستره ويكسوه إذا رأوه قد ضاقت عنه سعة رحمتكم ومن يأويه اذ نودى عليه اي طريد نقمتكم فيا من خلع عليه وقد عرف ما ينتهي حاله إليه ، وربّاه وغذّاه وآواه ، فقد احاط علماً بجرأته عليه ، وما كان قد تشرّف بمعرفة مولاه ، ولا ارتضاه ان يخدعه في دنياه ، ارحم استغاثته بك ، واستكانته لك . واستجارته بظلك ، ووسيلته بفضلك إلى عدلك ، وأكسه من خلع العفو والغفران ، والأمان والرضوان ، ما يكون ذكرها ، وشكرها ، وسرها منسوباً إلى رحمتك ، وجودك فقد انكسر قلبه ، وخجل واستحيى من وقوفه عرياناً في يوم عيدك ، مع كثرة من خلع عليه من عبيدك ووفودك ، وما له باب غيرك ، وهو عاجز عن عتابك ، فكيف يقوى على حرمانك وعقابك .

فصل : قال ومن آداب العبد يوم العيد مع من يعتقد انّه امامه

وصاحب هذا المقام المجيد [١] .

فأقول : واعلم انّه إذا كان يوم عيد الفطر ، فإن كان صاحب الحكم والأمر متصرّفاً في ملكه ورعاياه على الوجه الّذي أعطاه مولاه ، فليكن مهنا له بشرف اقبال الله تعالى عليه ، وتمام تمكينه من إحسانه ثمّ كن مهنأ لنفسك ولمن يعزّ عليك ، وللدنيا وأهلها ، وكلّ مسعود بامامته بوجوده وسعوده ، وهدايته وفوائد دولته ، وإن كان من يعتقد وجوب طاعته ممنوعاً من التصرّف في مقتضى رئاسته ، فليكن عليك أثر المساوات والمواساة في الغضب مع الله تعالى مولاك ومولاه والغضب والتأسّف على ما فاتك من فضله .

وروى [٢] قول أبي جعفر للراوي يا عبد الله ما من عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلّا ويتجدّد لآل محمّد فيه حزن قال : قلت ولم قال لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم .

وأقول [٣] لو انّك استحضرت كيف كانت تكون اعلام الاسلام بالعدل منشورة ، واحكام الأنام بالفضل مشهورة ، والأموال في الله إلى سائر عباده مبذولة ، والامال ضاحكة مستبشرة مقبولة ، والأمن شامل للقريب والبعيد ، والنصر كامل للضعيف والذليل والوحيد ، والدنيا قد اشرقت بشموس سعودها ، وانبسطت يد الاقبال في اغوارها وتجودها ، فظهر من حكم الله جلّ جلاله الباهر ، وسلطانه القاهر ما يبهج العقول والقلوب سروراً ، ويملأ الآفاق ظهوراً ونوراً ، لكنت والله يا أخي قد تنغصت في عيدك الّذي أنت مسرور باقباله ، وعرفت ما فاتك من كرم

---

(١) ايضاً من كلام السيد ره .

(٢) أي وروى السيد بإسناده الى جعفر بن بابويه من كتاب من لا يحضره الفقيه وغيره بإسناده الى حنان بن سدير عن عبد الله بن دينار عن أبي جعفر عليه السلام انه قال يا عبد الله ما من عيد اه .

(٣) أيضاً في كلام السيد ره .

الله وافضاله ، وكان البكاء والتلّهف والتأسّف اغلب عليك ، وأليق بك ، وأبلغ في الوفاء لمن يعزّ عليك ، وقد رفعت بك الآن ، ولم اشرح ما كان يمكن فيه اطلاق اللّسان ، وهذا الّذي ذكرناه على سبيل التنبيه والاشارة ، لأنّ استيفاء شرح ما نريده يضيق عنه مبسوط العبارة ، اعلم انّ الصفاء والوفاء لأصحاب الحقوق والتفريق والبعاد ، احسن من الصفاء والوفاء مع الحضور واجتماع الأجساد ، فليكن الصفاء والوفاء شعار قلبك لمولاك ، وربّك القادر على تفريج كربك .

فصل ـ ومن مهمّات الايّام الشريفة ، ان يسلم المؤمن من امة نبيّنا على حصر يومه وليلته من ائمة الدين ، ويقول له بعد التحيّة والسّلام يا مولاي انت سيد كريم ، امام جواد عظيم ، تحب الضّيافة ، وتكرم الضيف ومأمور من الله بالاجارة فاضفني ، واجرني وأنا اليوم ضيفك ، وجارك واجعل جزائي منك ان تدخلني في همك وحزنك ، ودعائك ، وحمايتك ، وولايتك ، وشفاعتك ، وشيعتك وارغب إلى الله في ثوابي ، وخيري ، وهدايتي وارشادي ، وتأييدي وتسديدي ، وتوفيقي ، وكل خير لي ، وأهلي وإخواني المؤمنين لديني ودنياي وآخرتي ، وان يختم ليلتي ويومي ، وشهري ، وسنتي ، وعمري برضاه ، ويرضيني عنه ، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة صلوات الله ، وسلامه عليكم أجمعين ، ويفعل ذلك في اوّل ليلته وآخرها ، واوّل يومه وآخره .

وأما تفصيل حصر الايّام فالسبت لرسول الله (ص) ، والاحد لامير المؤمنين (ع) والأثنين لامامين الحسنين ، والثلاثاء للامام أبي محمّد السّجاد ، والامام أبي جعفر الباقر ، والإمام أبي عبد الله الصادق ، والاربعاء للامام أبي ابراهيم الكاظم ، والامام أبي الحسن الرضا ، والامام أبي جعفر الجواد (ع) والامام أبي الحسن الهادي (ع) ، والخميس للامام الزكي أبي محمّد الحسن العسكري والجمعة للامام الهمام نور الله التامّ ، فرج الله القريب ابو القاسم ، الامام المهدي القائم

صلوات الله ، وسلامه عليه ، وعلى آبائـه الطاهـرين ، واولاده المنتجبين ، روحي وارواح العالمين فداه .

ومنهـا ليـالي القـدر ، وتتبعهـا النصف من شعبـان ورجب ، وأول رجب ، ويلزم لمدّعي الإيمان بـالله ورسولـه (ص) ، والقرآن العـظيم ، ان يعامل معها ما يظهر منـه آثار التصـديق ، والايمان ، ومن لـوازم الإيمان أن يكـون همّ هذه اللّيلة في قلبـه ، كهمّ الف ليلة ، وازيد لأنّـه خيـر من الف شهر ، ويتفكّر في عظم هذه الليلة عند الله ، بأن جعل للعبـادة فيها أبـواب من النـور ، كنـور عبـادة الف ليلة ، فيكـون عـظمتـه عنـده أيضـاً بهـذا المقدار ، وإذا كان كذلك فلا بدّ له ان يعمل لهـا عدّة قبـل وقتها أيّـام سنته بالدعاء ، والانتظار ، ودفع الموانـع ورفعها ، وتهيئـة الاسباب ، حتّى تهيّـأ غـذاء مناسب ، ومكـان مناسب ولبـاس مناسب ، ودعـاء ، ومناجـات وغير ذلك ، ممّا يكمّـل عبادتـه وخلوته ، ومنـاجاتـه مع الله ، ومن مهمّـات ذلك مـا اسلفناه آنفـاً من سلام حمـاته في حضـراته في اللّيلة ، وان يتـوسّل بهم في مهمّـات اللّيلة ، ويشفعهم في أن يقبله الله تعـالى ، وعمله وتـوفيقـه برضاه ، وحبه في جميع حالاته ، وأن يبقيـه له إلى يـوم يلقاه سـالماً ، من الآفات ، ثم الاجتهاد بكـلّ ما رأه أقـرب إلى رضا سيّـده الكريم ، ويكـون همّه في جميع آنـات ليله في مراقبـة حضور مـولاه ، وأن لا يغفل عنـه في آنٍ واحـد ، ولو بـالغذاء ، ولا يـأكل ، ولا يشـرب ولا ينقلب في شيء من امـوره ، الا بقصـد صحيـح ونيّـة مقـرّبـة صـادقـة ، ويكثـر من الـدعـاء ، واللّطف مـع مولاه العـطوف الرؤوف بمنـاجـات لـطيفـة ، مهيّجة مبكيـة ، ويكثـر السجدة على التـراب والصلاة على سيّـد المرسلين ، وآلـه الـطيّبين الـطّاهـرين ، وعلى جميـع الأنبيـاء والمـرسلين وعبـاد الله الصـالحين ، والمؤمنين والـدعـاء لفـرج حجـة العصـر وحفـظه ونصـره ، وان يـرزقـه الله رضـاه ، ويهديـه بهداه ، وتـوفيقه لـطاعته ، ولـه أن يعمل ببعض مـا حكى

عن المجاهدين [١] من شدّ الايدي على الاعناق ، والضّجعة في القبور ، وعرض النفس على النّار ، وعدّ كثرة حلم الله عند جناياته العظيمة ، وذكر حسن صنع الله به مع قبح معاملته معه ، وان يكون كلّ لسان ومناجات لارباب الاحوال أصلح ، واسرع في اجلاب حاله واكثر تأثيراً في رقته ، وهيجان احزانه واشواقه اثر عنده ممّا ليس كذلك ، وان يكون في جميع حالاته بحسن ظنه بعفو الله وحلمه وجميل صفحه ، وكرم عفوه ، وحسن تجاوزه وتبديله السيّئات باضعافها من الحسنات ، وأن يكون دخوله في مناجاته من كلّ باب انسب واليق بحاله ، وبما فيه من الوقت ، ويكثر من قول يا من اجاب لابغض خلقه ابليس ، يا من قبل السحرة بعد ان اتوه معاجزين ، ولرسوله مخاصمين ، ومعاندين اقبلني ، ويقول : يا من قبل السحرة بموسى (ع) وهارون (ع) ، اقبلني بمحمّد وعلي وآلهما الطّاهرين ، وان ينقلب من حال إلى حال ، ومقال إلى مقال ، تارة يتشبّه بالخائفين ، واخرى بالرّاجين بل يتشبّه بأهل الرّضا والتمكين ، بل وأهل الشّوق والأنس ، ويتفوّه بمناجاتهم ومقالاتهم ، ولكن عليه أن يستعلج في أن لا يبتلى بكذب صريح [٢] ودعوى باطلة ، ويحتال في تصحيح المقال ، ولو بالتوسّع والمجاز ، وأن يدعو الله عند طلب المقامات الرفيعة يا أجود الأجودين ، ويا أقدر الأقدرين ، وان يستدلّ ببعض استدلالات الأئمة (ع) بقبول الله تعالى .

وأمّا الأيّام المواليد الشّريفة ، مثل مولد رسول الله (ص) ، وسائر المعصومين ، ويتبعه يوم البعثة الشّريفة ، ويوم غدير خم ، ويوم دحو

(١) مثل ما نقله قده سابقاً من الزاهد العابد ، الحاج الاشرفي ره ، وذكرنا ترجمته رضوان الله عليه هناك فراجع .

(٢) مثل اظهار التوكل والرجاء او الخوف من جنابه عز وجل ، مع عدم تحقق حقائق هذه الخصال في قلبه ، واظهار التوبة والانابة مع عدم الارتداع والانقلاع عن المعاصي ، وعدم الرجوع اليه تعالى .

الارض ، ويوم المباهلة فإنّ المؤمن بالله تعالى ، وبآلائه العظيمة يعظم عنده هذه الاوقات ، بقدر عظمتها عند ربّه ، ويشكر ربّه بقدر عظمة انعامه في هذه المواقيت مثلا يتفكّر في ليلة المولد الشريف فوائد وجود رسول الله (ص) ، وانّه مظهر رحمة الله الواسعة على الخليقة أجمعين ، وانّ الله تعالى بطفيل وجودهم اوجدنا ، وبهدايتهم هدانا ، ووضع عنّا الاصار ، وخفّف عنّا في التكاليف ، وأكرمنا بما اكرمنا وتقبّل شفاعته فينا وأنّه (ع) تحمل في هدايتنا ما لم يتحمّل نبيّ قطّ عن امّته ، ولم يدع علينا بعذاب حتّى ساق الامّة الى طرق الهداية في المعارف الربّانيّة ، واتى من الحكم وبيّن من المعارف ما لم يظهر من جميع الأنبياء ، والمرسلين .

وبالجملة صبر في تكميل هداية الامّة ، ونجاتهم واوذي حتّى قال صلى الله عليه وآله ما أوذي نبيّ مثل ما اوذيت ، حتّى قتل أولاده وسبيت بناته وهتك حريمه وذبح اطفاله ، حتّى انّه ما سمع بأهل بيت نبيّ بل ولا أحد في العالم ، فعل بهم من القتل والاسر والسّلب مثل ما فعل بأهل بيت رسول الله (ص) ، ومع ذلك صبر ولم يدع على أهل الأرض بعذاب ونكال ، بل دعى ربّه وقال اللّهمّ أهد قومي فانّهم لا يعلمون ، فجزاه الله تعالى عن هذه الامّة ما يليق بجميل فعاله ، بل بكرم نواله .

وبالجملة إذا تفكّر المؤمن في أيّام مواليدهم وخلافتهم ، وعظيم نعم الله تعالى في هذه الاوقات ، يرى ويعقل ما يجب عليه من شكر هذه النّعمة العظيمة .

وكلّ ما ذكرناه من فوائد وجود رسول الله (ص) يتلوه في جميع مراتبها بل يعدله فوائد خليفته ، وأخيه أمير المؤمنين (ع) الّذي آخاه ، وفي الشدائد واساه [1] .

---

(١) رواه الفريقان متواتراً .

وقال من كنت مولاه فهذا عليّ (ع) مولاه ، وكذا سائر المعصومين من أولادهما ، فانّ للمؤمن ان يفرح بفرحهم ويصلّي عليهم ، ويحذو حذوهم ويهتدي بهداهم ، ويوالي من والاهم ، ويعادي من عاداهم ، ويشكر الله لا سيّما في مثل هذه الايّام بنعمة وجودهم بقدر القدرة والاستطاعة ، ويعلم انّه لو عمّر أبد الابدين ، ويسجد لشكر هذه النعمة ما أتى من حقّها عشر عشير معشارها ، وان يظهر آثار الفرح ويكثر من التّحابّ مع اوليائهم ، ويتحبب إليهم بما يبلغه مكنته وفطنته من واجب حقوق الموالات ، والاخوّة في الولاية فانّ هذّا باب عظيم من السعادة ، وفيه خير كثير ، ورد فيه اخبار متواترة فانّه من أعظم شعب الإيمان ، بل في بعض الاخبار إنّ الإيمان ليس إلّا الحب والبغض ، ولا بأس بالاشارة لبعض ما ورد في فضلها .

روى في الكافي عن أبي جعفر (ع) قال قال [١] رسول الله (ص) المتحابّون في الله يوم القيامة على ارض زبر جدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين ، وجوههم اشدّ بياضا ، واضواء من الشمس الطّالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرب وكلّ نبيّ مرسل ، يقول الناس من هؤلاء ، يقال هؤلاء المتحابّون في الله ، وورد انّ [٢] الحبّ في الله من أوثق عرى الإيمان ، وفي رواية قال [٣] هل الإيمان إلّا الحبّ والبغض ، وورد [٤] انّهم يدخلون الجنّة بغير حساب ، وانّ نور اجسادهم ونور وجوههم ، ونور منابرهم يضيء كلّ شيء ، وانّهم من اصفياء الله .

وورد انّ التحابّ في الله أفضل من الصلاة والصيام والزكاة والحجّ

---

(١) كما في الكافي عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) كما في رواية سعيد الاعرج عن أبي عبد الله عليه السلام ، من أوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله الخبر .

(٣) كما في الكافي عن فضيل بن يسار . باب الحب في الله والبغض في الله .

(٤) كما في الكافي في رواية أبي بصير ورواية ابي حمزة الثمالي وغيره .

بـل الّـذي يفهم من أخبـار المصـافحـة [١] انّ سـائـر الفضـايــل في جنب التحاب في الله وجودها كالعدم وانّ احد المتصـافحين ان كان احبّ لأخيـه منـه كان هـو أحبّ إلى الله من الآخر ، وأقـرب عنـده ، ولعمـري انّ هـذا الأمر عظيم ما اعظمه .

وليعلم انّ الغـدير من أجـلّ الأعياد ، وأعـظمها لأنّـه كالجـزء الأخيـر للعلة التـامّة في النجـاة ، والفـوز بـالـدرجـات الـرفيعـة ، وقـد روي فضله المخالف والمؤالف ، وعمنوا لروايـة فضله وتعظيم وقـع فيه كتبـاً مفصلة ، وعلى الشيعي ان يعـظّمه حقّ تعـظيمه ، ويـظهـر فيـه الفـرح والانبسـاط ، ويتزيّن له ، ويتـودّد مع المـوالين بأنـواع التلطفات بـالزيـارة ، والمصافحـة والمعانقة ، والدعوة والاضافة والهبـة والعطاء والمبـاسطة في الكـلام ويكثر حمد الله ويذكـر من الحمد ، مـا ورد [٢] عند لقـاء المؤمنين ويصلّي [٣] ما ورد فيـه من بعض الصلوات الجليلة وورد في جـزائهـا مثـوبـات جـزيلة ، ويعلم من الأعمال الواردة فيـه ، ما فيـه أجر عـظيم ، وإن كان جميع ما يصفه المؤمن في هذا اليوم عظيمـاً عند الله ، وإن كـان حقيراً عنـد نفسه ، ويـزوره (ع) [٤] بالـزيارة المفصّلة الـواردة فيـه ، ويهنىء رسـول الله وامـام زمانه ، وخفير يومـه بالخصـوص ، والأئمّة (ع) بالعموم ، ويناجي مـع إمام عصره ببعض فقرات دعاء الندبة ويتحسّر من فقـدان نعمة حضـوره في مثل هـذا اليـوم العـظيم ، ويهنّىء خـواص أميـر المؤمنين (ع) ، والمـلائكـة لا سيّما جبرائيل الّذي كـان يكثر نصـره في المواطن ، ويخـدمه فيهـا ، ويتّبع

---

(١) كـما في الكـافي في روايـة ابي خـالـد القمـاط وروايـة مـالـك بن عـون الجهني وغيرهما .

(٢) وهو قوله : الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكـين بولايـة أمير المؤمنـين والائمة عليهم السلام .

(٣) كالصلوة المروية في الاقبال للسيد الجليل رضى الدين ابن طاوس «قده» .

(٤) كزيارة أمين الله وغيرها .

ما ذكر من شكر هذه الأوقات الشريفة ، شكر سائر الاوقات التي ظهرت فيها من الله المنعم ، بعض النعم الجزيلة الخاصّة والعامَّة ، فإنّ لكلّ منها مراقبة خاصّة ، وفكراً مخصوصاً به ، مثلا يتفكّر يوم الدحو انّه يوم انعم الله فيه على أهل الأرض ببناء المسكن ، وموادّ وجوه الرزق كلّها ، ويقايسه بما إذا فعل به أحد من ملوك الدنيا شيئاً من هذه الوجوه ، وباشره بيده ، كما ورد في ذلك بسط الله الأرض ، ويتفكّر في نفسه انّه كيف يكون موقع هذا اللطف والاحسان عنده من هذا الملك ، فيجاهد في شكر المنعم تعالى ، الّذي لا يحصى نعمائه العادون بقدر الاستطاعة ، ثمّ انّ الّذي دلّ على تعظيم ايّام المواليد الشريفة ، والخلافة الظاهريّة ، والفرج فيها ، انّما يدلّ على تعظيم أيّام وفاتهم (ع) وشهاداتهم ، ومصيباتهم باظهار الحزن والجزع ، واقلّه ان يكون أيّام مصيباتهم عند المؤمن ، اعزّ من أيّام مصيبته ومصيبة كلّ من يعزّ عليه ، ليكون معهم في درجتهم كما ورد بذلك [1] الاخبار لا سيّما أيّام العاشورا فانّه يوم عظيم عند الله وأهل ملكوت السماوات والروحانيّين :

در بارگاه قدس كه جاي ملال نيست   سرهاي قدسيان همه بر زانوى غمست

وعظمت مصيبتك في السماوات على جميع أهل السماوات ، قد ورد في بعض الأخبار ما ينبؤ عن خطر هذا اليوم العظيم ، ! بما يبهر عنه العقول ، ويعلم من الروايات انّ ذلك لم يكن مخصوصاً بما بعد الشهادة ، بل كان يعظم هذا اليوم في الأمم السالفة ، فانّ الله تعالى ذكر مصيبة هذا الامام المظلوم على الأنبياء فبكوا وجزعوا من هذه المصيبة

---

(١) كما هو مذكور في كتب المقاتل ، كرواية شبيب وغيرها ، ومناجات موسى ابن عمران .

وقوله : يا رب لم فضلت امة محمد (ص) على ساير الامم فقال الله تعالى : فضلتهم بعشر خصال الى ان قال : والعاشورا قال موسى : وما العاشورا ، قال : البكاء والتباكي على سبط محمد والمرثية والعزاء . الخبر .

العظمى ، وشاركوا بذلك رسول الله في عزائه ونالوا بذلك الأجر العظيم عند الله ، ثمّ انّ اللاّزم على المؤمن في هذا الأمر ان يسلم للروايات الواردة في تعظيمه وجلالة أمره ، والاجور العظيمة المتعلّقة به وإن أراد ان يصدّقه من جميع الوجوه بالبرهان ، ليرفع استبعاد عقله بالحجّة يتفكّر فيما يحكى عن الشيخ العارف المحقّق الكامل الشيخ حسين النجفي ، حين سأله سيّد العلماء الربّانيّين سليل آل طه ويس بحر العلوم قدّس سرّه العزيز عن حكمة عظمة هذا الأمر في هذه الدرجة وأجابه (ره) ، انّ الحسين مع انّه كان عبداً مملوكاً لله ، وممكنا بذل في سبيل محبّة الله كلّه من المال ، والأهل والأولاد ، والعرض حتّى جسده الشريف بعد الشهادة ، ورضى بشهادة الأهل أجمعين ، حتّى عبد الله الرضيع ، وصبر فيما أصابه على بدنه الشريف من جميع وجوه المصيبات المتصوّرة ، وبالجملة بذل كلّه لله فالله تعالى أولى بأن يبذل له كلّه ، ولنعم ما أجاب ، فانّ الانسان إذا تفكّر في وقعة كربلاء وخصوص شهادته ، يجدها أمراً عظيماً ، مثلا الشهيد والمقتول في العالم كثير ولكن المقتولين والشهداء يقتل كلّ منهم بقتلة واحدة ، مثل الذبح والنحر ، والعطش والهمّ والحزن ، والجوع والصبر ، وهو قتل بجميع ما يقتل به جميع المقتولين ، وأصابه من العطش ما لو قال قائل : انّ عطشه لو قسم لأهل العالم لماتوا لم يكن لأحد نفيه ، فانّ في شدّة عطشه اليوم تعبيرات وبيانات من الله في الأحاديث القدسيّة ، ومن نفسه القادسة لا يقدّر العقل قدرها ، وأن شئت تصديق ذلك تفكّر في عبارة الحديث القدسي ، صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش ، وتعقّل عطشاً يصير مؤثراً في الجلد بالانكماش ، ثمّ تدبّر في قوله : يحول العطش بينه وبين السماء كالدّخان ، ثمّ تفكّر في قوله : (ع) « اسقوني شربة من الماء ، وقد تفتّت كبدي من الظمأ ، واويلا (ترجمة الفتت ريزه ريزه شدن است) اي صار كبدي قطعاً صغارا ، وكيف يكون الكبد قطعاً صغاراً من العطش ، قبل أن ينضج وحتّى لا يبقى فيه من الرطوبة شيء ، وييبس

بحيث يتقطّع من اليبس ، فسبحان الله العظيم من أمر عظيم ، ثمّ انّ من قتل أهله وولده كثير ، ولكن اين من له أهل نظير اهله ، وولد نظير ولده فانّ ولده العزيز كان اشبه الناس خلقاً ، وخُلقاً ومنطقاً برسول الله وانّ ذلك امر عظيم [1] يتلو درجة الامام ، أو يقارنه ويساويه ، وهكذا من اسر اهله كثير : ولكن اين من اسر له مثل الحجّة الامام زين العابدين (ع) وزينب ، وسكينة ، وأمّ كلثوم ، ومن سمع جهد الاسر في أحد ، مثل ما سمع في أهله ، وأيضاً من رفع رأسه بالقناة كثير ، ولكن من سمع رأساً فعل به من الشدّة والظلم ، ما فعل برأس ابن رسول الله ، وبالجملة إذا تفكّر العاقل في أمره (ع) ، يجده خارقاً للعادات في تحمّل المصيبات ، لذلك عجب من صبره ملائكة السماوات ، فانّ الأبدان ولو فرضت اقواها لا تصبر بما أصاب بدنه الشريف ، والقلوب لا تصبر بما أصاب قلبه العزيز ، بمعنى انّ البدن والقلب يموت ، ويهلك من بعض ما أصابه ، ويستريح بالموت ولكنّه بقي وصبر بامور عظيمة كلّ واحد منها من اسباب القتل فكأنّه قتل سبعين قتلة أو أزيد وبالجملة لا يقاس حكم العاشورا بغيره فعلى الموالي ان يكون حاله في هذه الايّام بحيث لا يقاس بشيء من أيّام مصيباته ، ويقتدى في ذلك بأهله ، ويتشبّه بهم أما سمعت ما حكى من أحوال بعض [2] الهاشميّين إلى خمس سنين من شهادته (ع) ؟ أوما سمعت مصيبة زوجته الرباب [3] ؟ واوما سمعت نوح [4] الإمام

(١) فان الشباهة في الخلق دليل على الشباهة في الخلق « بفتح الخاء » .

(٢) رواه المحدث القمي ره في نفس المهموم عن الصادق عليه السلام انه قال : ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ، ولا رؤى في دارها دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله .

(٣) بنت إمرء القيس وهي أم سكينة حملت فيمن حمل الى الشام ثم عادت الى المدينة تخطبها الاشراف من قريش ، فقالت : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله (ص) صلى الله عليه وآله ، وبقيت سنته لم يظلها سقف بيت ، حتى بليت وماتت كمداً ولها في مجلس ابن زياد قصة تحرق القلوب والاكباد .

كما روى السيد ره عن الصادق عليه السلام : إن زين العابدين عليه =

السجّاد (ع) أربعين سنة ؟ وإن لم يقدر على ذلك يتأسّى لا محالة ببعض الصغار الّذين كانوا في زماننا من اهلنا ، وقد رأيت منهم من كان يترك اللّذّات في تمام أيّام العاشورا ، ولا يأكل إلّا خبزاً خالياً ، بل رأيت من يستنكف من تقبيل أخيه الصغير ، مع شدّة محبتّه له ، وإن كنت أضعف من ذلك أيضاً.فلا محالة اجعل التاسوع والعاشور أيّام مصيبتك ، تترك فيه اللّذّة ، وتشارك لا محالة فيهما إمام زمانك ، فانّه روحي وأرواح العالمين فداه ، لا ينسى مصيبة جدّه في شيء من الأيّام ،! بل الذي دلّ عليه بعض الكلمات انّه يندب على جدّه في كلّ صباح ومساء .

ومن الثاني [1] أوّل الشهر ، وآخره ، وخميسه الآخر ، فأمّا الأوّل فعلى العبد المراقب أن يكون دخوله في الشهر ، كورود منزل من منازل السير إلى الله ، فله ان يذكر الله عند رؤية الهلال بما ورد ، ويدعوه بجميع السعادات المتوقّعة في هذا الشهر ، لا سيّما السعادات المختصّة به ، وان يعيذ امام زمانه روحي له الفداء ونفسه ، وجميع من يعزّ عليه ، وإخوانه المؤمنين ، وجميع نعم ربّه في هذا الشهر بالله من جميع الشرور ، بل ويتصدّق عنه (ع) ، وعن جميع من ذكر ، وأمّا آخره ، والخميس الآخر منه ، فقد ورد انّه يعرض فيهما عمل الشهرعلى ربّه ، فله في هذين اليومين ان يحاسب أعماله في هذا الشهر اجمالا ، ويعالج ببعض المعالجات الدينيّة من التوسّلات ، والاستشفاعات ويكثر من التضرّع والابتهال ، والتوسّل والسؤال ، مع خفير يومه من ساداته في أن يستصلح أعماله ، وحاله مع الله ، ويدعو الله من حقّه بكرم عفوه ، وتبديله السّيئات بالحسنات ، ويدعو بما انشأه السيّد المراقب من الدعاء لذلك في كتاب محاسبة النفس ، لاواخر النهار من اليوم ، لا سيّما آخر

= السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، إلى آخر ما روى في ذلك طوينا عن ذكره اختصاراً .

(١) وهو الذي يقع في كل شهر مرة .

الشهر بما يرجى معه ان يكون كفّارة لما صدر منه في الشهر كلّه ، ولا يترك ما ورد [1] في كلّ يوم من قوله يا من ختم النبوّة بمحمّد (ص) ، اختم لي في يومي هذا بخير ، وشهري بخير ، وسنتي بخير ، وعمري بخير .

ثمّ انّه من أهمّ ما يلزم العاقل عند محاسبة نفسه ، ان يتفكّر في خجل ما يعرضه عند الحساب إذا كوشف عن قبائح اعماله وسوء معاملته مع ربّه فانّه أمر عظيم لمن كان له القلب .

وقد ورد في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : لو لم يكن للحساب مهولة إلّا حياء العرض على الله تعالى ، وفضيحة هتك الستر على المخفيّات ، لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ، ولا يأوى إلى عمران ، ولا يأكل ، ولا يشرب ، ولا ينام إلّا عن اضطرار متّصل بالتلف ، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كلّ نفس ،! ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبّار ، وحينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنّه إلى عرصاتها مدعوّ ، وفي غمراتها مسؤول ، قال الله : وإن كان مثقال حبّة من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ـ انتهى .

أقول : ويناسب المقام شرح حقيقة المحاسبة ، وكيفيّتها ولكن طوينا ذكرها هيهنا لعلنا نذكره فيما سيأتي .

ومن الثالث : يوم الجمعة ومن أراد ان يعرف عظمتها ، فليراجع الاخبار الواردة في فضائلها . وأعمالها ، ووظايفها وليس مقصودنا ذلك ، ولكن لنا في ذلك كلمة ، وهي انّ الانسان كيف لا يخلّ من خيرات العاجل والسعادات الدنيويّة ، فانّها كلّما ازدادت ازداد شوقه وحرصه على الاستيزاد منها ، ويقول هل من مزيد ، ولكن يخلّ من خيراته الآجلة ،

(١) وهو الذي يقع في كل اسبوع مرة .

والسعـادات الاخرويّـة ويكسل عن تحصيـل كثيرهـا بعمل يسيـر ، ولا أرى إلّا من اجتماع امور شتّى ، عمدتها ضعف الايمان بالآخـرة ، وبعدهـا عدم الاطمينـان بقبول أعمـاله وبقـائهـا سـالمـة عن الآفـات ، حتّى يصـل وقت بهجتها ولذّتها وبعده الف القلب والنفس بذكر هـذه الدنيـا ولذاتهـا وعشقها بشهـواتهـا وزينتهـا ، وهـذا العشق منـع العـاقـل من التعقّـل في عـواقب الامور ، فاجتماع هذه الأسبـاب صار سبباً لكسل المؤمن عن الاجتهـاد في تحصيل أنوار الجمعـة ، وسعاداتهـا العاليـة ببعض الأعمال الجـزئيّة ، وإلّا فكيف يمكن ان يعتقـد الإنسان مثـلا انّ الله يدعـوه في ليـالي الجمعـة من أول اللّيـل إلى آخرهـا ، ويقول هـل من صاحب حـاجة يسـألني ، فأقضي حاجته ، هل من مستغفر يستغفـرني فاغفـر له ذنـوبه ؟ ويقـول ، هل من ، هـل من إلى الصبح ، ويـدعوه إلى الخلوة بـه ، ومناجـاته ، والتـأنّس به ، ووعده ان قال العبد يا ربّ يا ربّ ان يقول لـه : لبّيك عبـدي ، هل يعتقـد الإنسـان ذلك كلّه ، ثمّ ينـام إلى الصبح ، ولا يقـوم وردا من ليله ليحصـل فيـه شيئـا من هــذه المـراتب الجليلة ، ولعمـري انّ ذا لا يكـون إلّا من الجهات المذكورة ، وقد ورد في الحـديث [١] القدسي يـابن عمران كـذب من زعم انّـه يحبّني ، فإذا جنّـه الليل نـام عنّي اليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه .

ثمّ انّ الجمعة ، وإن كان جميع آناتها شريفـة عزيـزة ذات أنوار بهيّـة ولكن معـذلك فيهـا ساعـة أشرف من جميـع ساعـاتها ، يقبـل فيها الـدعاء وهي على مـا يعلم من الأخبار ، ووصـل إليّ من بعض الأكـابـر المـوثـوق بهم في أمثال المقام .

آخـر ساعـاتها الّتي ورد فيهـا دعـاء السّمـات . ثمّ إنّي سـألت بعض مشايخي [٢] الأجلّة الّذي لم أر مثله حكيماً عارفاً ، ومعلّماً للخيـر حاذقـاً ،

(١) كما في الجواهر السنية لصـاحب الوسـائل ره عن مفضـل بن عمر عن الصـادق عليه السلام ونقل المؤلف بعض فقراته .

(٢) وهو المولى آخوند ملا حسينقلي «قده» قدمنا ترجمته فراجع .

وطبيباً كامـلاً ، أيّ عمل من اعمـال الجوارح جـرّبتم اثره في تـأثّر القلب ؟ قال : سجدة طويلة في كلّ يـوم يديمهـا ، ويطيلهـا جدّا سـاعة ، أو ثـلاثة اربـاعهـا يقـول فيهـا لا إلــه إلاّ أنت سبحـانــك إنّي كنت من الـظالمين ، شاهداً نفسه مسجوناً في سجن الطبيعـة ، ومقيّدة بقيـود الاخلاق الـرذيلة ، ومنزّهاً لله تعـالى بأنّـك لم تفعله بي ظلماً ، وأنـا ظلمت نفسي وأوقعتها في هذه المهلكة العظيمة .

وقراءة القدر في ليالي الجمع ، وعصرها مائة مرّة .

قال قدّس سـرّه : ما وجـدت شيئاً من الأعمـال المستحبّة يؤثّـر تأثيـر هـذه الثلاثـة ، وقد ورد في الأخبـار ما حـاصله انّه ينـزل يوم الجمعـة مائـة نفحة أو رحمة ، تسع وتسعين منها لمن قـرئها مـائة مـرّة في عصرهـا ، وله نصيب في الواحدة أيضاً .

ومن الـرابع [١] سـاعات الصـلاة الخمس في القسمة السـادسـة من النصف الاخير من اللّيل ، وقد ورد فيها انّه أفضل سـاعات اللّيـل للدعاء ، وهو مجرّب فعلى العبد المراقب ان يتعقّـل معنى وقت الصلاة ، وإذا عقـل فـلا محالـة يسعى في أدائهـا في وقتهـا ، فقـد ورد [٢] في الأخبـار الكثيـرة الحثّ الأكيـد إلى أوّل الـوقت ، وفي بعضهـا انّ أوّلـه رضـوان وآخـره غفران .

وورد انّ المضيـع للعصر في الجنّـة موتـور لا مال لـه ، يكون ضيفـاً لاهله وباصطلاحنـا (كلاّش الجنّـة) وقيل : ومـا المضيع ؟ قـال : يدعهـا حتّى تصفر الشمس أو يغيب .

وورد عن رسـول الله (ص) انّه قـال : لا ينال شفـاعتي غداً من أخّـر

---

(١) وهو الذي يقع في كل يوم .

(٢) وقـد ذكر ذلـك كله صاحب الـوسائـل قده في كتـاب الصلوة من الوسـائـل في مقدمة كتاب الصلوة فراجع .

الصلاة المفروضة بعد وقتها .

وفي الصحيحين ليس لأحد ان يجعل آخر الوقتين وقتاً ، إلّا من عذر وعلّة .

وورد فيه الصلاة المفروضات في أوّل وقتها إذا اقيم حدودها ، أطيب ريحاً من قضيب الآس ، حيث يؤخذ من شجرته في طيبه ، وريحه ، فعليكم بالوقت الاوّل ، وفيه فضل الوقت الأوّل على الاخير خير للرجل من ولده وماله ، واختلف الأقوال في كون آخر الوقت وقتاً للمضطر ، أو المختار ، فالأحوط ان لم يكن أقوى عدم جواز تأخيرها إلى آخر الاوقات من غير عذر وعلّة . وإن كان العذر في ذلك يشتمل بعض الاعذار الهيّنة ، فالعذر الأدنى فيه كاف كما يستفاد من بعض الأخبار والظاهر انّ آخر وقت الظهر الّذي حضنا في عدم التأخير عنه ، هو صيرورة الفيء مثل الشاخص ، وآخر وقت العصر صيرورته مثلية ، وأمّا القدم والقدمان ، فهما من وقت فضيلة الظهر والعصر أيضاً ، كما انّ الزّوال ، وصيرورة الفيء مثل الشّاخص أيضاً من وقت فضيلتهما .

ثمّ انّ تقرب آخر فضيلة الظهر الّذي هو صيرورة الفيء ، مثل الشاخص وهي تعبّر عنها بالقامة وسبعة اقدام في بلاد يكون عرضها اثنين وثلاثين درجة ، كاصبهان ، وما قاربها في العرض ، يمضي ثلاث ساعات فثمان وعشرين دقيقة في أوّل الحمل .

وأوّل وقت المغرب الغروب الشرعي ، وآخره ذهاب الشفق المغربي ، وأوّل وقت العشاء الفراغ من المغرب إلى ثلث اللّيل ، والأحوط أو الأولى تأخير العشاء إلى ذهاب الحمرة المغربيّة ، وأوّل الصبح طلوع الفرج الثاني إلى اسفار الصبح .

وأمّا وقت النوافل فالاقوى انّ نوافل الظهرين يجوز من أوّل النهار إلى آخره ، وأمّا وقت فضيلتها فللظّهر أوّله إلى أن يصير الفيء ذراعاً ،

وللعصر إلى أن يصير ذراعين مقدّما لهـا على الفريضـة وللمغرب بعـده إلى آخـر وقت الفضيلة ، وللعشـاء بعـدهـا إلى الانتصـاف ، وأوّل وقت صـلاة الّليـل من الانتصـاف الى الفجـر الثـاني الغـير المضـطر ، ويجـوز تقـديمهـا عـلى الانتصـاف للضـرورة ، ولكن قضـائهـا أفضـل ، وهكـذا يجوز بعـد الـفـجـر لمـن لا يـعـتـاده لـبـعض الـصـحـاح ، وفـاقـاً لـلبـعض إذا صلّى أربعـاً قبل الفجـر ، فله اتمامهـا بعده ، وفـاقاً للمشهـور ، ووقت نـافلة الفجر الفـراغ من صلاة اللّيـل للمختار إلى طلوع الحمـرة ، والأولى تقديمها على الفريضة ، بل يكره تأخيرهـا عنها ووقت صـلاة الكسوفين من ابتدائه إلى انجلائه ، وللزلزلة قبل تمـام العمر ، وقيـل غير ذلـك والاحوط عـدم التأخيـر اختياراً عن الفـور العرفي ، وهكـذا لغيرهـا من الآيـات وأمّـا صلاة العيدين فالأحوط انّ أوّلها ارتفاع الشّمس ، وآخرها الزّوال .

فصـل : في المكان أقـول ومن الامكنة أيضـاً شريف وغيـر شريف ، وسعيـد ونحس ، وأمره في ذلـك مثل الـزمان ولهـذه الأمـة المـرحـومـة أن يشكروا الله تعالى ، ويثنوا على رسول الله (ص) في تسهيـل امر المكـان ، حيث جعل لهم الأرض كلّها مسجداً بمعنى جواز الصـلاة كلّها فيهـا ، ومع ذلـك فقـد ورد الحث الأكيـد في تعـاهـد المسـاجـد ، وعـدم التخلّف في الصـلاة المفروضـات عنها ، لا سيّمـا لجيـرانهـا ، حتّى ورد انّـه لا صـلاة لجـار المسجـد إلاّ في المسجـد ، فعلى العبـد المـراقب ان يعقـل معنى المسجد وحق ادبه وتعـظيمـه وقبح التخلف عن حضـوره وان لله في جعل المساجد والاذن لحضورها شكراً عظيمـاً على العباد ، سـوى ما جعـل لهم من المثـوبـات بحضـورهـا ، والعبـادة فيهـا ، فـانّ المسجـد بيت الله ، والمقصـود من كون الكعبـة والمسجد بيتـاً لله ، مع أنّ نسبـة الارض كلّهـا إلى الله سـواء ، ليس مكـان أقـرب إليـه من الآخـر ، انّ الله يعـامـل معهـا معـاملة البيت أي جعله من المكـان في مكـانـة البيت ، بمعنى انّـه جعلهـا محلاّ لملاقاته ، ومجلس انسـه ، وزيارتـه أي يعامـل فيها مـع عبّاده وزوّاره

معاملة الحضور ، والصحبة ، وإذا اتّخذ ربّنا كلّ مكان أردناه باختيارنا أي ننسبه إليه ونتّخذه محلّا لملاقاته ، وحضوره وزيارته مسجداً ، او عالمنا فيه ما أردناه يكون معنى ذلك انّه جعل اختيار مجلس الملاقات ، والحضور إلينا ، وهذا من اجل المكارم ، ثمّ انّ الّذي يفهم من معاملات الله مع عبيده في جميع الازمان والحالات ، انّه تعالى يعاملهم ، أوّلا بحلم وكرم واحسان ، وفضل وانعام ، ورضوان بما هو خارج عن حوصلة العقول ، وينعمهم قبل وجودهم ، وبعد وجودهم بنعم لا تحصى ، ويحلم عند معصيتهم ، ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم ، ولا يغيّر عليهم نعمه ، ويتمشّى معهم مشية الربّ الودود العطوف الكريم الجواد الرحيم الرؤوف ، ويدعوهم كلّما اعرضوا عنه ، ويقبل إليهم كلّما ادبروا في جميع حالاتهم إلى أن يتجاوزوا في العناد والجحود ، بحيث يجب في حكم الحكمة الالهيّة أخذهم ، فعند ذلك يظهر سلطان الجلال والقهر ، ولا يقوم له شيء .

لطف حق با تو مداراها كند　　　چونكه از حد بگذرد رسواكند

فإذاً يطالبهم بحكم العدل ، ويفضحهم بقبيح فعالهم ، وينتقم منهم بأشدّ الانتقام مثلاً ، يدعو عباده في سمع عقولهم بلسان حال السماوات والارضين وما فيهنّ وما بينهنّ من جميع الموجودات . وبلسان حال أنفسهم من عقلهم وروحهم ونفسهم وقلبهم وخيالهم ، وحواسهم وسائر قواهم ، واعضائهم وجوارحهم كلّها ، وبلسان الأنبياء والاوصياء والعلماء ، والحوادث الكونيّة ووجوه الحكمة المودعة في نظم العالم ، وغيرها بالاقرار بتوحيده ، والايمان بوجوده ، وقدرته وعنايته ، ويحلم عنهم إذا استكبروا عن قبول هذه كلّها ، حتّى يؤكّدها بانحاء الاعجاز بوجوه معجزات الأنبياء خلال هذه المدّة ، برأفة ورحمة أشد وأكرم من رأفة الأمّ الرؤوف والأب العطوف حتّى ينقضي عناده وجحوده للحقّ بحكم العقل والحسّ والعيان ، فعند ذلك أخذهم بما لا يقوم له السّماوات

والأرضون ، ويرسل عليهم عذاباً من ريح صرصر عاتية ، أو صيحة أو نار أو ماء يهلكهم عن آخرهم ، ويسوقهم بهذه الجنود إلى عذاب الآخرة ، نار جهنّم إلى نار عذابها شديد . وحرّها صديد ، ومقامعها حديد ، وقعرها بعيد نعوذ بالله منها ، وممّا يوقعنا فيها ، بوجود اوليائه السابقين واحبائه المقرّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبالجملة كما أنّ الله هو الرحمن الرحيم ، ودود عطوف كريم كذلك هو شديد العقاب ، ذي البطش الشديد فلا تغرر بربّك الكريم ، وحسن صنيعه بك حتّى تتجاوز عن الحدّ ولا يجعل الشيطان الغرور كرم هذا الربّ الكريم ، سبب غرورك حتّى يهويك في مكان سحيق ، فانّ من علائم الاستدراج ان يزيد الكرم والحلم في الجرئة على المعصية ، وهو ان عظمة الله في نظر العبد ، وتفكّر في حسن صنع الله معك في دعوتك إلى بيوته ، وتكريمك بذلك بحسن الطلب ، والاصرار والتوفيق ، والوعد بالمثوبات والكرامات ، وقبح صنيعك في الغفلة عن هذه المواهب الجزيلة والإعراض عن هذه الدعوة الكريمة الجميلة فاحذر من أن يكون حلمه عنك في اعراضك عنه استدراجاً ، وطالب نفسك ان يحمد هذه النعمة العظيمة ، ويشكرها ، ويستقبلها بحسن القبول ، فإنّ من علائم عدم الاستدراج [1] التوفيق بحمد النعمة ، كما ورد بذلك الرواية ، ثمّ عليك عند قصد المساجد واحرام حضور بيت الله ان تعرف أدب الحضور بقدر وسعك ، فانّ المعروف بقدر المعرفة ، والادب سبب للقرب ، ومن احسن ادب حضور الرب الحقّ قربه والقرب سبب القبول ، بل هو نفس القبول وغاية القبول ونهاية كلّ مأمول ، ولكن مقياسك في معرفة حقّ

---

(١) كما في الكافي عن سماعة بن مهران قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .

قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ، ويجدد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب الخبر وهكذا أورد في الكافي اربع روايات ودلالتها واضحة .

أدب حضور هذا الملك العظيم ميزان ادب حضور سلاطين الدنيا ، فحقّ أدب حضور بساطه ما بين نسبة العبد والربّ ، فكما أنّ نسبة عظمة هؤلاء السلاطين مع عظمة الله لا يقدر بقدر ، فكذلك نسبة حقّ أدب حضوره مع حقّ ادب حضورهم .

وإذا تمهّد ذلك تعرف انّك لا تقدر على حقّ أدب حضوره ، ولا أحد غيرك ، فليكن هذا على ذكر منك .

ثمّ انظر معاملتك وأدبك في حضوره ، وانّك على تقصيرك ، وقصورك واستحيي عن قبح فعالك ، فليكن عليك رهبة الخاشعين ، وذلّ اعتراف الخاطئين ، حتّى يلجأك ذلك على الالتجاء بباب كرمه في طلب توفيق من ادب الحضور ، ويقول لسان حالك : « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » فينفتح بذلك أبواب القبول ، ويعرفك كاشف السوء بإجابة المأمول ، وأعمل بالصدق بما حكى في مصباح الشريعة في ذلك عن الامام الصادق (ع) ، حيث قال وإذا بلغت باب المسجد ، فاعلم انّك قصدت ملكاً عظيماً ، لا يطاء بساطه إلاّ المطهّرون ولا يؤذن لمجالسته إلاّ الصدّيقون ، وهب القدوم إلى بساط خدمة هيبة الملك فإنّك على خطر عظيم ان غفلت ، واعلم انّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة ، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً ، وإن طالبك باستحقاقه الصدق ، والاخلاص عدلاً بك ، حجبك وردّ طاعتك وان كثرت ، وهو فعّال لما يريد ، واعترف بعجزك وتقصيرك ، وفقرك بين يديه ، فانّك قد توجّهت للعبادة ، والمؤانسة به ، وأعرض اسرارك عليه ، ولتعلم انّه لا يخفى عليه اسرار الخلائق أجمعين وعلانيتهم ، وكن كأفقر عباده بين يديه ، وأخل قلبك عن كلّ شاغل يحجبك عن ربّك فانّه لا يقبل إلاّ الأطهر والأخلص ، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك ، فإن ذقت حلاوة مناجاته ، ولذيذ مخاطباته وشربت كأس رحمته وكراماته ، من حسن اقباله عليك ، واجابته ،

فقد صلحت لخدمته ، فادخل فلك الاذن والامان ، وإلّا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل ، وقصر عنه العمل ، وقضى الأجل ، واذا علم من قلبك صدق الالتجاء اليه ، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة ، والعطف ، ووفقك لما يحبّ ويرضى ، فانّه كريم يحبّ الكرامة بعباده المضطّرين إليه المحدقين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى : ﴿ **أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ .

هذا وحقّ الله انّه كلام صدر من عين صافية من عيون الحكم الربّانية ، جامع الاصول عالم المراقبة ، وإذا عرف عبد مقام نكات تعبيراته ، ولطائف اشاراته ، يتعلّم منه فروع أكثر ابواب المراقبات في سائر العبادات ، والمعاملات وإذا وفق عبد للعمل بما فيه انفتح له من كلّ باب من أبواب معارفه ألف باب والله الموفّق للصواب .

أقول : إذا سمعت هذه المراقبة لباب المسجد ، وعلمت أدب حضور العبادات ، ووظائف العبوديّة في الطاعات ، لا يعظم عليك بعد ذلك ما ورد في الاخبار والروايات من فضل جزاء الأعمال فهذه الفضايل إنّما هي لهؤلاء العاملين ، لا مثلي ومثلك من الغافلين ، ثمّ انّك إن كسلت عن اتيان هذه الخدمة ، والتأدّب بهذا الأدب ، فلك ان لا تتركه كلّ الترك وتعمل منه بقدر الميسور ، ولا تنسى حقّ ما عليك في عملك ، ويكون عليك خجل التقصير ، ولتقف لا محالة عند باب المسجد ، وتقرء آية أمّن يجيب المضطرّ ، وتلتجىء اجمالا في اصلاح حال مسجدك ، وإن واظبت على ذلك أيضاً فانّك تجد فيه خيراً كثيراً .

فصل : في آدابه الظاهريّة اهمّها تعميرها بالعبادة .

ومنها قراءة [1] ﴿بسم الله الّذي خلقني فهو يهدين والّذي هو يطعمني

(١) رواه في كتاب مفتاح الفلاح شيخنا البهائي قده من عدة الداعي مع خواص لكل آية من الآيات المذكورة فراجع وأشار اليها المؤلف قده بقوله : وقد ورد لذلك فضل عظيم الخ .

ويسقين وإذا مـرضت فهـو يشفين ، والّـذي يميتني ثمّ يحيين ، والّـذي اطمـع ان يغفر لي خـطيئتي يـوم الـدين ، ربّ هب لي حكمـاً والحقني بـالصالحين ، واجعـل لي لسـان صـدق في الآخـرين ، واجعلني من ورثـة جنّة النعيم ، واغفر لأبي﴾ عند المشي إليها .

وقد ورد لذلك فضل عظيم ، وأجر جسيم .

ومنهـا[1] تعاهـد النعل عنـد بابـه ، والتسمية والـدعاء عنـد الـدخـول والخـروج يقول عنـد الدخـول والخروج ، بعـد التسميـة : اللّهم صـلِّ عـلى محمّد وآل محمد ، اللّهمَّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك .

وعند الخروج[2] بعد صلاة المكتوبة .

يقف على البـاب ، ويقـول :«اللّهمّ دعـوتني فـاجبت دعـوتـك ، وصليت مكتـوبتك ، وانتشـرت في أرضـك ، كمـا أمـرتني ، فـاسئلك من فضلك العمـل بـطاعتـك ، واجتنـاب سخـطك ، والكفـاف من الـرزق برحمتك» ، وتقـديم الرّجـل اليمنى عند الـدخول واليسـرى عند الخـروج ، وكـذا كـلّ مشهـد شـريف عكس المكـان الخسيس ، وصـلاة التحيّـة بركعتين ، ويستحبّ كنسها وتنويرها بالاسراج ، ويكره تشـريفها وتسقيفهـا كـالعـريش ، وزخـرفهـا ، وتصـويـرهـا ، وقيـل بتحـريمهـا ، والاحـوط الاجتنـاب ، والمحـاريب وقيّـدت الـداخلة ، وفسّـرت تـارة بـالـداخلة في المسجـد ، واخرى في الحـائط ، ولا نصّ على القيد من اصله ، وتـطويل المنـارة ، وجعلها في الـوسط ، قيل بتحـريم ذلـك ، وتعليقهـا ، واخـراج

---

(١) كما في الوسائل عن سمـاعة بعـد الصلوة على النبي صـلى الله عليه وآلـه وسلم رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واذا خرجت فقل مثل ذلك .

(٢) كـما في الوسـائل عن أبي حفص العـطار ، ثم ان المكروهـات والمستحبات التي ذكرها المؤلف كلها مذكورة في الوسائل وقد عقد لكل منها باباً .

وكذلك مذكورة في الكتب الفقهية ، فلا حاجة لنقلها وتطويل الكلام فيها .

الخصامها ، والاحوط فيه الاجتناب ، فان فعل فيردّها إليه او إلى مسجد آخر وانشاد الشّعر الباطل ، والبيع والشّراء ، وتمكين المجانين والصّبيان ، والاحوط في جميع ما ذكر الاجتناب ، واقامة الحدود ورفع الصوت المتجاوز عن المعتاد ، وانشاد الضّالّة ، وحديث الدُّنيا ، وهو كلّ ما لا ينفع عند الموت ، وما بعده ، وعمل الصّنايع ، وكشف العورة ـ روى عن النّبيّ أن كشف السّرة والفخذ والركبة في المسجد من العورة ، والاتّكاء والنوم في المسجدين ، بل جميع المساجد ، ولكن يدفعه الحسن ، والدّخول مع رائحة الثّوم والبصل ، والكراث ، وكلّما يؤذى ولو قليلاً ، والتبصّق وهو فيه خطيئة ، وكفّارته دفنه ، وكذا التنخّم وينزوى [١] به المسجد ، والحق بها قتل القمل ، وجعلها طريقاً ، ورطانة الاعاجم اي التّكلّم بما لا يفهمه الجمهور والوضوء من البول ، والغائط ، وقيل بتحريمه للرّواية ، وتحريم ادخال النّجاسة فيه لظاهر بعضها ، وخصّص بالمتعدية منها ، وهو الاصحّ .

خاتمة : ورد في الأخبار الكثيرة عن النّبيّ (ص) وآله الحث الاكيد في اتيان المساجد ، بل في بعضها استحباب اختيار الصّلاة منفرداً في المسجد على الجماعة في غيره ، هذا للّرجال ، واما النّساء :

روي أنّ مسجد المرئة بيتها ، ويستحبّ للمؤمن أن يتّخذ في بيته مسجداً لعبادته ، ويعامل معه معاملة المسجد .

---

(١) وينزوي به المسجد إلخ كما في الرواية عن محمد بن الحسين الرضى ره في المجازات النبوية ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار الخ رواه في الوسائل .

الباب الثاني

في الصلاة وفيه فصول

الأوّل : في معنى الصلاة .

اعلم إنّ للصلاة أربعة آلاف حدّ ، وانّه تنهى عن الفحشاء والمنكر وان ما لم تنه عن الفحشاء منها عدمها خير من وجودها .

أمّا المعنى فيمكن أن يكون مأخوذاً من صلى بالفتح ، من صليت العود على النار ، ومن المصلى ، ومن الوصلة ، أو بمعنى الزيارة ، كما ورد عن عليّ عليه السلام في تفسير قد قامت الصلاة ، أي حان وقت الزيارة ، أو الرحمة ، وكلّ هذه المعاني لها مناسبة مع هذا المعجون الالهي .

وأمّا حدودها :

فعن العيون والعلل بإسناده عن زكريا بن آدم ، عن الرّضا (ع) قال : سمعته يقول : للصلاة أربعة آلاف باب .

وعن المناقب لإبن شهر آشوب ، عن حمّاد بن عيسى ، عن الصَّادق (ع) قال : للصَّلاةِ أربعة آلاف حدود ، وفي روايةٍ أربعة آلاف بابٍ .

أقول : جمع الشهيد من واجباتها ألفاً وصنّف فيه الألفيّة ، ومن مندوباتها ثلاثة آلاف ، وصنّف فيه النفليّة .

أقول : يمكن أن يكون المراد من الأبواب أبواب السماء الّتي تعرج منها الصلاة ، وروح المتصّل ، أو أبواب الفضل ، والفيض ، ومن الحدود مسائلها المتعلّقة بأجزائها ، وشرائطها في الصحّة ، والكمال ، ويكون المراد منها أسباب ربطها المعنوي إلى جناب قدسه تعالى ، أو ربطه عند الصلاة .

وأمّا نهيها عن الفحشاء والمنكر ، يكفي في الدلالة عليها قوله تعالى ﴿ **انّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ .

وأمّا ما لم تنه منها عن الفحشاء ،

فعن النبيّ (ص) إنّه [1] قال : من لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاّ بعداً .

وعنه (ص) لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، وإطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر .

وروي انّ من الأنصار من كان يصلّي الصلاة مع رسول الله (ص) ، ويرتكب الفواحش يوصف ذلك له (ص) ، فقال (ص) : إنّ صلاته تنهاه يوماً ما ، فلم يلبث ان تاب .

وعن أبي عبد الله (ع) [2] قال : من أحبّ أن يعلم انّ صلاته قُبلت أم لم تُقبل ، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعته قبلت منه .

أقول : هذا هو الحقّ الّذي لا محيص عنه ، لأنّ القرآن ورد بثبوت

---

(١) كما في تفسير البرهان في تفسير الآية الشريفة عن علي بن ابراهيم (ره) .
(٢) كما في تفسير البرهان ايضاً .

هذه الخاصية للصلاة ، فالّتي لم تكن فيه هذه الخاصية ، ووجد فيه الصورة ، فلا محالة يكون العمل من النفاق الخالص ، لأنّه لو وجد فيه شيء من الروح فبقدره يؤثر في النهي عن الفحشاء ، فما لم يوجد فيه شيء من التأثير ، علم عدم وجود شيء من الروح فيه ، فعمل لم يوجد من حقيقة الصلاة فيه ، حتى جزء يسير ، فهو من النفاق الخالص والنفاق إنّما هو مبعد بلا شك ، لا يتوهّم انّ النفاق إنّما يتحقّق بمجرّد زيادة خشوع الجوارح على القلب ، فيجب حينئذٍ أن يكون جميع الصلاة حتّى من المتّقين أيضاً غير مقبول ، بل غير راجح ، لأنّ صلاة لم يوجد فيها غفلة ، ولو في شيء يسير من أجزائها لم يتأتّ ، حتّى من الأوحدي من النّاس ، وهذا الجزء الّذي وقع فيه الغفلة مخالف للصورة لا محالة ، فيكون من النفاق ، فيكون مرجوحاً مبعداً عن الله ، لأنّا نقول إنّ المبعد القطعي ، ما يكون جميع اجزائه خالية من جميع مراتب الروح وهو قليل في المعتقدين للصلاة ، حتّى العوام ، فانّ صلاتهم إذا عملوا بها من جهة الاعتقاد ، لا للرياء فلا محالة يكون أوّل جزئها حين الدخول فيها واجداً للرُّوح ، مع انّ جميع أجزائها أيضاً ليست فاقدة بجميع مراتب الحضور ، ولو في ظاهر القلب أو باطنه ، فانّ الحضور له مراتب ، فانّ القلب قد يحضر بكلّه ، حقيقته وسرّه ، ظاهره وباطنه عند عمل ، وقد يكون بظاهره عند شيء وباطنه مشغول بشيء آخر ، وقد يكون بباطنه عند شيء وظاهره مشغول بآخر وهكذا فالفاقد بجميع مراتب الحضور ، وهو عمل الساهي والنائم ، ونحوهما وامّا فاقدة الرُّوح من جميع الجهات ، وجميع مراتب الرُّوح ، فهي الّتي لا تؤثر في النهي عن الفحشاء أبداً ، لا في جزئيّ ولا في كلّيّ ، وامّا واجدة في بعضها ، فلا محالة تؤثر بقدر ما فيها من الروح ، ولكن ليس كلّما يوجد فيها شيء من الروح مقبولة أيضاً ، ومرفوعة إلى السماء ، بل الّذي يفهم من بعض الروايات ، انّ ما يكون بقدر عشرها مع الاقبال والحضور ، يرفع منها بقدر[1] ما اقبل

(١) كما في الوسائل في باب استحباب المداومة على النوافل ، عن محمد بن مسلم=

فيهـا ، ومـا نقص عن ذلـك فـلا يـرفـع ، فتحصـل من جميع مـا ذكـر انّ الفـاقدة للروح بجميـع وجوههـا ، من جميـع الجهـات ، فهي الّتي يـورث البعد من الله ، وهو كعمل المرائي والمستهـزء ، ونحوهمـا ، وما كان فيهـا من الاقبال بقدر العشر ، وما فوقه يقبل منه بقدر الاقبال .

فإن قيل : هـذا يخالف حكم المـركّبات ، فـانّها تنتفى بـانتفاء بعض اجـزائها ، ولازمهـا ان يبـطل ، ولـو بفقـدان الـروح في جـزء منهـا ، لأنّ المـطلوب مثـلاً عشـرة أجـزاء ، ذات الأرواح ، فـإذا تخلّف روح شيء من الأجزاء انتفى الحقيقة بحكم العقل .

قلت : هــذا مقتضى القــاعــدة ، ولكن في بعض الأخبــار [1] انّ الناقص منها يتدارك نقصها بالنوافـل ، فلا بـأس إذاً بحكم الفضل ان يقيّـد حكم المـركّب بهـا ، ولا يـذهب عليـك انّــه يمكن ان يكـون المــراد من النوافل ، الصلاة الغير الواجبة ، لا نوافل خصوص الفريضـة الناقصـة ، بل ويمكن أن يكون المراد مطلق النوافـل العباديـة ، ولكن يشبه أن يكـون هذا أيضـاً مقيّدٍ بـالتجانس بمعنى أن يكـون المتدارك من جنس المتـدارك مثـلاً يتدارك روح سجدة الصـلاة بسجدة ذات روح ، واقبـال ، وإن لم تكن في صلاة ، أو غيرها من العبادات الّتي فيها روح السجدة ، وهكذا .

فصـل : **في الآيات الـدالّة على أنّ المـراد من الصلاة ليست مجـرّد الاعمال الظاهرة ، وهي عدّة آيات .**

منهـا قـولـه تعـالى [2] : **﴿ ويـلٌ للمصلّين الّـذين هم عن صـلاتهم ساهون ﴾** .

=عن أبي جعفـر عليه السـلام وبـاب استحبـاب صلوة الف ركعـة في كـل يـوم والليلة عن حمزة بن حمران .

(١) كما في ذيل الـرواية المـذكورة : وإنمـا أمرنـا بالنـافلة ليتم لهم بها مـا نقصوا من الفريضة .

(٢) سورة ١٠٧ . آية ٤ .

قيل : ذمّهم على الغفلة عنها ، مع كونهم مصلّين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ الّذين هم[1] في صلاتهم خاشعون ﴾

ومنها قوله تعالى [2] : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ .

ومنها قوله تعالى[3] : ﴿ ولا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى ، حتّى تعلموا ما تقولون ﴾ .

قيل فيه تنبيه على سكر الدُّنيا ، إذ بيّن فيه العلّة ، يعني انّ العلّة في المنع عن الصلاة ، مع السكر ، انّ السكران لا يفهم ما يقول : وهذا يعمّ سكر الدنيا ، والخمر معاً .

وأمّا الأخبار فهي كثيرة متواترة في ذلك .

منها ما مضى في أوّل الكتاب .

ومنها ما مضى في الفصل المتقدّم من قولهم ، انّ ما لا تنهى عن الفحشاء لا يزداد من الله إلّا بعداً .

ومنها قوله (ص) :[4] لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرّجل فيها قلبه مع بدنه .

ومنها قوله إنّما الصلاة [5] تمكّن وتواضع وتضرع ، وتيأس ، وتندم وتقنع ، تمدّ يديك ، وتقول اللّهمّ فمن لم يفعل فهي خراج .

ومنها قوله [6] إذا صلّيت صلاة فريضة ، فصلّ لوقتها صلاة مودع ،

---

(١) س ٢٣ . ى ٢ .

(٢) س ٢٠ . ى ١٤ .

(٣) س ٤ . ى ٤٦ .

(٤) لم نجده .

(٥) لم نجده .

(٦) كما في باب استحباب صلوة الف ركعة في كل يوم وليلة في حالات السجاد عليه السلام وباب وجوب اتمام الصلوة عن ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام .

تخاف ان لا تعود فيها ، وبالجملة الأخبار في هذا المعنى فوق التواتر .

فصل : في بعض ما روي من صلاة المعصومين (ع) في الحقائق .

روى [1] انّ إبراهيم الخليل (ع) يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل .

وكذلك كان يسمع من صدر سيّدنا رسول الله (ص) مثل ذلك .

وقال بعض ازواجه : كان النبيّ (ص) يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضر الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه .

وكان أمير المؤمنين (ع) [2] إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله .

وكان (ع) إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ، ويتلوّن ، وقيل له : ما لك يا أمير المؤمنين ، فقال جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها .

وكانت فاطمة تنهج [3] في الصلاة من خيفة الله .

وكان [4] الحسن (ع) إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له في

---

(١) كما في عدة الداعي لابن فهد الحلي رحمه الله تعالى ورواه في البحار ايضاً في كتاب الصلوة مع الروايات تليها .

(٢) مشهور ومعروف رواه المخالف والمؤالف ورواه في البحار ايضاً مع الروايات التي وردت في ساير الائمة عليهم السلام في حال صلواتهم ووضوئهم وغيرها .

(٣) النهج بالسكون : الطريق الواضح ، وبالتحريك البهر وتتابع النفس .

(٤) رواه الموالف والمخالف في حالاته عليه السلام ورواه ايضاً في البحار وكذا ما روى عن السجاد عليه في وضوئه وصلوته من خشية الله تبارك وتعالى وتغير حاله وكذا ما روى في ساير الائمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم فلا حاجة لنا الى ايراد جميع ذلك مع تظافرها بل تواترها ووضوحها .

ذلـك ، فقـال : حقّ على من أراد أن يـدخـل على ذي العـرش أن يتغيّـر لونه .

وروي مثل ذلك عن السجّاد (ص) .

وعنه ، إذا توضّأ اصفّر لونه ، فيقـول له أهله : مـا هذا الّـذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من اريد ان أقوم ؟

قيـل ورأيته يصلّي فسقط ردائـه عن منكبه ، فلم يسـوّه حتّى فرغ من صلاته ، فسـألته عن ذلـك فقال ، ويحـك اتدري بين يـدي من كنت ، انّ العبد لا يقبل منـه صلاة إلاّ مـا اقبل فيهـا . فقلت : جعلت فداك هلكنـا ، قال : كلاّ انّ الله يتمّ ذلك بالنوافل .

وعن الصَّـادق (ع) قـال : كـان عليّ بن الحسين (ع) إذا قـام إلى الصلاة تغيّر لونه ، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى ينفض عرقاً .

وعنـه (ع) قال : كـان أبي يقول : كـان عليّ بن الحسين (ع) إذا قام إلى الصلاة كأنّه ساق سجرة ، لا يتحرّك منه إلاّ ما حرّكت الريح .

وعنـه (ع) انّه سئـل عن حـال تخصّـه في الصـلاة حتّى صـار مغشيّاً عليـه ، فلمّا أفـاق قيل لـه في ذلك فقـال : مـا زلت اردّد هـذه الآيـة على قلبي ، حتّى سمعتها من المتكلّم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

قال لا يجتمع الرعبة والـرهبة في قلبـك ، إلاّ وجبت له الجنّـة ، فإذا صلّيت فاقبل بوجهك على الله ، فـانّه ليس من عبـد مؤمن يقبل بقلبـه على الله في صـلاته ، ودعـائه إلاّ اقبـل الله عليه ، بقلوب المؤمنين، وأيّـده مـع مودّتهم إيّاه بالجنّة .

وعن البـاقر [١] قـال : انّ العبد ليـرفع لـه صلاتـه نصفها ، وثلثهـا ،

---

(١) كما مر في رواية محمد بن مسلم قبيل هذا وغيرها .

وخمسها ، وربعها ، فما يرفع له ، إلاّ ما اقبل عليها بقلبه ، وانّما امروا بالنوافل ليتمّ لهم ما نقصوا من الفريضة .

فصل : في الأحوال الّتي يكمل بها الصلاة ، ويحكم العقل بلزومها ، وورد بها الشرائع ، وهي ستّة : حضور القلب ، والتفهّم ، والتّعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء .

والمراد من الأوّل أن يكون القلب عند الصلاة ، لا شيء آخر ، بحيث يغفل عن الصلاة ، وإن كان حضوره عند ظاهر الأحوال ، والأقوال غير متعمّق فيها ، وهذا المقدار كاف في تحقق حضور القلب ، وله أنواع شتّى ، وأقسام مختلفة ، وهو انّه قد يكون القلب حاضراً في وجه من وجوهها ، ككونه في حضور الله ، ويشغله ذلك عن الحضور عند فعل بالخصوص ، أو قول ، وككونه مقيّداً ومشغولا بتصحيح أداء الحروف من مخارجها ، أو باللّحن العربي ، وككونه حاضراً في تصحيح صورة الافعال ، وقد يكون حاضراً ومشغولا بالفكر في معنى فعل ، أو قول إلى آخرها ، كاشتغاله في معنى التكبير ، أو القيام ، أو الركوع ، أو غيرها مع بقاء الفكر إلى آخر الصلاة ، وأكمل هذه الانواع أن يكون القلب حاضراً عند كلّ فعل ، وقول بخصوصه ، راعياً حضور ربّه ، وشاعراً وملتفتاً بادائها عنده ، ولا يشغله الفكر في جزء عند الاتيان بجزء آخر ، عن هذا المأتي الفعلي ، فيشتغل عند كلّ عمل ، أو ذكر بفكره بالخصوص بل عند كلّ جزء انّه مأمور من الله بهذا مستعيناً منه بتوفيق ، كما امره .

وهذا الفنّ الكامل ، جامع للمعنى الثاني أيضاً ، وهو التفهّم لأنّه عبارة عن حضور القلب عند معاني الأقوال والأفعال ، وللمبتدىء فيه ان يلاحظ معنى كلّ فعل وقول ، اجماله قبله ، ثمّ يبتدء به ملتفتاً وقاصداً بحقيقته ، ثم الانتقال بلحاظ معنى الجزء الآخر قبل الدخول به ، واتيانه كما ذكر ، وهكذا ولا يذهب عليك انّ قصد معاني الافعال ، عند أوّل العمل تفصيلي وعند التلبس بالذكر في الاثناء اجمالي ، والفكر

تفصيلي حينئذٍ في الاستغراق بتفهّم حقائق الاذكار ، ولبيان كيفيّة تفهّم حقائق الافعال والاذكار ، مقام آخر ، وهو العمدة في تكليف المصلي ، وبه يحصل أغلب الآثار الجلية المودعة في هذا المعجون الالهي ، لأنّ القلب يتقلّب بالفكر في هذه الاسرار الجليلة ، وأحوال سنيّة من الصفات ، ومقامات رفيعة من المعارف ، فيحصل له الترقّي من حضيض عوالم الطبيعة إلى الملكوت الأعلى ، فيستعدّ قلبه لتلقّي الحقائق القرآنيّة والأسرار الكونيّة من اهل عالم الملكوت ، أو من فوقهم ،! وهذه الأحوال هي التي تنهى المصلّي عن الفحشاء والمنكر ، وإن كان يحصل بعض مراتبها بدون ذلك أيضاً .

ثمّ انّ هذه الدرجة من التفهّم ، لا بدّ وان تكون مع الأمر الثالث ، وهو التعظيم لأنّ التعظيم حال منشأه العلم بعظمة الله العظيم ، وحضوره وقدرته على ما يفعل به ، من الردّ والقبول والاكرام والتوهين ، وإذا استشعر العبد في صلواته عظمة من يناجيه في حضوره ، وانّه امّا ان يتفضّل عليه بالقبول ، فيكرمه اكراماً جميلاً جزيلا ، او يطلبه بعدله واستحقاقه الصّدق والاخلاص ، فيحجبه ويعذّبه عذاباً أليماً ، فلا بدّ ان يخاف من خطر المقام ،! وهذا الخوف الّذي منشأه التعظيم عبارة عن الأمر الرابع ، وهو الرهبة ، وإذا تفطّن مع ذلك بجميل فعاله مع عبده ، وسائر الصفات الجماليّة ، فيقوّي قلبه بالرجاء ، ويستحيي من سوء فعاله وتقصيره ، واستقباله الاحسان بالكفران وجميل الصنائع بقبائح الأعمال ، وهذا هو تمام الأمر ، وبالرجاء والحياء يتمّ الخصال الستّ ، وأولّها وأهمّها الهمّة ، فإنّ همّة الرجل إذا كان عند عمله يكون قلبه أيضاً حاضراً عنده ، لأنّ القلب تابع للهمّة ، ومهما اهتمّ الانسان امراً حضر قلبه عنده ، شاء أم أبى ، فبدو أسباب هذه الخصال كلّها الهمّة وسببها الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى ، وان الصّلاة (وسيلة اليها) فاذا وجد الايمان فهو مقتضى لحصول الهمّة .

إن لم يمنع عنه الدنيا ، ومجرّد الايمان لا ينفع في بقاء الهمّة ما لم يقو بالنزوع عن محبّتها ، وأسبابها الشاغلة للقلب عن الآخرة والصلاة ، وكلّ منافر معها من الذكر ، والفكر ، فانّ المحبّة والمحبوب يجذب الخواطر إليه ، لأنّ من أحبّ شيئاً أكثر ذكره ، وذكر المحبوب اهجم على القلب بالضرورة ، ولهذه الخصلة الواحدة ترى انّ صلاة سالمة عن الخواطر لا يتأتّى لنا ، ولو بمجاهدة شديدة ، وأمّا القلوب السليمة عن حبّ الدنيا ، فجميع حالاتها صلاة [1] ، وذكر ، بل قرّة عينها في الصلاة ، بل لا يصفو له شيء من لذايذ الدنيا أبداً ، بل لا علم له بالدنيا ، ولا شغل له بها ، حتّى يحتاج إلى مجاهدة دفع خواطرها ، بل لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه كما هو صريح عبارة [2] مصباح الشريعة ، فاذاً العمدة في استحضار همّه ، رفع المانع أي تبديل حبّ الدنيا بحبّ الآخرة أو محبّة الله ، نعم المانع قسمان : قسم يندفع أثره بالمسكّنات ، وتقوية المقتضى ، ومثله فيما نحن فيه من كان حبّه للدنيا قليلا لم يملك نفسه ، وحيث يصعب للقلب الغفلة عنه ، وذكر شيء آخر مكانه ، ومثل هذا المؤمن إذا سدّ طرق الحواس الظاهر بأن يصلّي في الخلوة ، والمكان المظلم حتّى لا يسمع ما يشغله عن التدبّر في صلاته ، ولا يرى شيئاً كذلك يكفيه ذلك لرفع الشواغل الداخلة من الاسباب الخارجة ، ومنع النفس عن التفكّر فيما يحضره من طريق الملكات ، ان يستعدّ له أوّلا قبل الصلاة بتجديد ما علم من الدين ، من عظمة الصلاة ، وخطر موقفها والوقوف بين يدي

---

(١) خوشا آنان كه دائم در صلاتند بحمد وقل هو الله كارشان بي .
قوله : وقرة عينه الصلوة اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله وقرة عيني الصلوة .

(٢) وهو قول الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً اليه ، باب الخامس والتسعون من مصباح الشريعة .

الله ، وخطر قبولها وردّها ، وهول المطّلع ، ويفرغ نفسه وقلبه عمّا يهمّه ، مثلاً إذا كان به عطش يشرب الماء ، ثمّ يصلّي حتى يفرغ نفسه عن ذكر الماء في الاثناء ، وهكذا حتّى لا يترك لنفسه قبل التحريم شغلا يلتفت إليه قلبه ، وان يتدبّر في معنى كلّ فعل وقول عند الابتداء به اجمالاً ، ثمّ الشروع فيه مع التدبّر ، والتفهّم تفصيلاً ، وقسم لا ينفعه المسكنات، بل يلزمه المسهل الّذي يقطع الداء والاخلاط الرديّة من عروق أعماق قلبه ، بالنزوع عن الشهوات ، وعلائق الدّنيا ، وهي كثيرة يجمعها قوله تعالى ، **﴿ زيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة ، والخيل المسومّة ، والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا ، والله عنده حسن المآب ﴾** ومن كثر فيه حبّ الدنيا ، وعلائقها بحيث ملك نفسه ، وشغل قلبه عن صلاته وهمها ، فانّه من جند الشيطان ، والدّنيا المذمومة ، وحبّها كما في الروايات رأس كلّ خطيئة ، ولا ينفعه التلطّف بالمسكّنات الّتي كانت تنفعه في الشهوات الضعيفة الّتي لا تشغل إلاّ حواشي القلب ، لا حقيقته وسره ، لأنّه كلّما أراد ان يرد القلب إلى الحضور عند صلاته والتفكّر في أفعالها ، وأقوالها ، يردّ الشهوات إلى الفكر فيها ، وفي طرف تحصيلها ، ودفع موانعها والاشتغال بها ، فلا تزال تجذب قلبك إلى صلاتك وتجذبه الشهوات إلى الفكر فيها ، حتّى يتمّ صلاتك ، وينقضي جميعها في شغل التجاذب ، فيغلبك الشيطان ، ومثال ذلك مثال رجل تحت شجرة ، يريد ان يجمع همّه للفكر فيما أراده ، فيصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير الّتي على الشجرة ، يشوّش عليه ، فلم يزل يطردها بخشبة ، ويعود يجلس إلى فكره ، فيعود العصافير ، ويعود هو بالخشبة ، فينفردها بها ، فقيل له هذا الشغل يشغلك عن قصدك ، ولا ينقطع ، فان أردت الخلاص ، فاقطع الشجرة وكذلك الشهوات إذا قويت ، وكثرت فروعها وأغصانها ، انجذب اليها الأفكار ، والخواطر من وجوه مختلفة ، كانجذاب العصافير إلى الاشجار القويّة الكثيرة والأغصان ، وهذه

الشهوات كثيرة ، وهي مغناطيس الخواطر ، والافكار الردية وأصل شجرتها حبّ الدنيا ، ولذا قال الحكيم الإلهي [1] انّه رأس كلّ خطيئة ، فمن انطوى باطنه بحبّ الدنيا ، واشتهى شيئاً من عروضها ، وزينتها وهمّ بتحصيلها ، واشتغل بحفظها ، وتكميلها لا للضرورة ، بل للمحبّة واللّذّة وهذا هو المذموم من الدنيا المانع من ذكر الله ، فلا يطمعن هذا ان يجد طعم حبّ الله على ما ينبغي ، ولذّة المناجات الّتي يجدها الزاهدون في الدّنيا في صلاتهم ، أو غيرها من عباداتهم ،! ونسكهم ، فانّ من فرح بالدنيا ، فلا يفرح بالله وبمناجاته ، وهمّة الرجل مع قرّة عينه ، فان كانت في الدنيا ، فهمّه فيها وإن كانت في الصلاة فهمّه فيها ، هذا هو العلاج الكامل ، ولكنّ الميسور [2] لا يترك بالمعسور ، فعلى الضعفة ، والعجزة أمثالنا ، أن لا يترك المجاهدة رأساً وينبغي له ردّ القلب بقدر الامكان إلى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة ، وبالجملة أعمال المسكّنات ، فانّها وإن لم تنفع في حسم المادّة أو كمال الصلاة ، إلّا أنّها ليست خالية عن النفع بالمرّة ، وربّما يدركه من نفحات الربّ ، فيكثر فائدته ، فانّ المجاهد متعرّض [3] للنفحات ، فينتفع بها نفعاً عظيماً ، بخلاف المأيوس والغافل ، فانّه لا ينتفع بها نفعاً كاملاً ، بل ربما يصير مضيّعاً لها ، فيكثر بذلك حسرته يوم الآخرة ، فيتألّم بها عذاباً أليماً نعوذ بالله من الخذلان ، هذا ، والأمر في رفع الخواطر اصعب واشكل ممّا ذكرنا والداء عضال ، لأنّ الخواطر متلازمة مع علائق الدنيا ، وبعضها أيضاً ضروريّة للإنسان، لا يجوز له تركها ، ومعذلك قد يزيد على العلائق الضرورية لحفظ النفس، والنوع من الاعراض والامراض اللازمة لعالم الطبيعة فيشتدّ الأمر ، فالانسان يبتلى بأسباب الخواطر ، وعللها ضرورة ،

(١) كما في مصباح الشريعة في باب ٣١ وغيره .
(٢) كما في الرواية ويقتضيه العقل ايضاً .
(٣) ان لله في ايامكم نفحات الا فتعرضوا لها كما في الحديث .

فلا يخلو أحد منها لا محالة ، فيلزم في رفعها مجادهة عظيمة ، واللّجاء إلى الله تعالى عن حقيقة الاضطرار ، حتّى يدفعها بأسباب غيبيّة ، واطّلاع سلطان المعرفة في قلبه ، حتّى يشتغل قلبه بربّه شغلا ينسيه ما سوى الله ، حتّى نفسه هذا قد انقدح ممّا ذكرناه انّ الحضور ، والتفهّم ، منشأها الهمّة ، وكمالها ، والتعظيم منشأه معرفة عظمة الله وجلاله ، ومعرفة حقارة الدنيا والنفس ، وخستهما ، وكونه عبداً مسخّراً مربوباً ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

وأمّا الهيبة فمنشأها العلم بعظمة الله ، وجنايات نفسه ، والفكر فيما أصاب الأمم السّالفة من آثار قهره ، وشدّة سلطانه من العذاب والهلاك الدائم ، بل فيما أصاب الأنبياء والأولياء من المصائب الدنيويّة وتحمّلهم في ذاته لهذا الرزايا الجليلة .

والرجاء منشأه أيضاً معرفة لطف الله ، ورفقه وعنايته في معاملة عبيده وطول اناته وكرم عفوه ، وجميل صفحه ، وغنى ذاته عن ان يصيبه ضرر من العاصين بمعصيتهم ، وعظيم جوده وقدرته ، وانّه سبقت رحمته غضبه ، ولا يفوته أحد اذا طلبه ، وبالجملة معرفة صفاته الجماليّة ، وحسن صنعه مع المؤمنين والموّحدين .

والخجل والحياء منشأه معرفة عظمة الربّ ، والنعمة والحقّ والتقصير وآفات العمل وعيوب النفس ، وحضور الربّ ، فانّ ذلك يؤثر لا محالة في الحياء والخجل ، كيف إذا حضر إنسان عند ملك عظيم ، محسن إليه ومنعم عليه مدّة عمره ، وعرف انّه عالم الساعة بتقصيره ، وسوء سريرته ، ورأى انّه مع ذلك مقبل عليه بكرم وجهه ، يدعوه بحلمه إلى التوبة ، ويعده جميل القبول والعافية ، ورأى نفسه العوّاد للكسل متخلّفة عن القيام بحقّ دعوته ، فلا محالة يستحيي من قبح فعاله ، وشنيع أعماله .

ثمّ انّ هذه الخصال الستّ الّتي ذكرناها ، انّما هي لازمة في

الصلاة من حيث انّها صلاة ، وإن كان لبعض اجزائها خصوصيّة يناسب بعض هذه الخصال ازيد من البعض الآخر ، فحال التشهّد والسلام لا محالة انسب للحياء والرجاء من غيرها ، وحال القيام والركوع والسجود انسب للتعظيم والرهبة ولأجزائها من الأقوال والافعال كلّ واحد منها حال أيضاً مخصوص به ، فانّ الحمد والتنزيه صفتان للحامد والمسبح ، لازمان عند الحمد والتسبيح لا محالة وكذلك الاخلاص لازم لمن يقول إيّاك نعبد ، فانّك لو قلت الحمد لله معناه انّ جميع النعم من الله ، وله الحمد والثناء من أجل جميع نعمها ، وعليك ان يكون قلبك وفقا لما تظهره بلسانك ، ولا يتأتّى ذلك لك عند قولك الحمد لله ، إلاّ بأن ترى النعمة كلّها من الله ، لا من الوسايط ، ومن يكون هذا حاله فلا يتملّق على المخلوقين لجلب النعم ، وهكذا وسيجيء تفصيل ذلك عند التعرّض لكلّ جزء من أجزائها إن شاء الله .

فصل : في الاستقبال لا بدّ للمؤمن من معرفة انّ جميع الأمكنة بالنسبة إلى وجوده ، وإحاطته تعالى على السواء ، وجميع الجهات في ذلك واحدة ، ولكن له في كلّ عالم أيضاً وجهاً بالنسبة إلى أهلها ، واقتضى عظيم لطفه ان لا يترك أبداننا أيضاً غير متشرّف بشرف التوجّه نحوه ، كما لم يترك قلوبنا فعرفنا بيته في هذه الأرض ايضاً ليكون توجّهنا إليه ظاهراً ، وباطناً بابداننا وقلوبنا ، وله الحمد على عظيم لطفه ، كما هو أهله ، وبما هو أهله ، ولا يتوهّم انّ الاستقبال بالقلب لا دليل عليه ، لأنّك ان راجعت الكتاب والسنّة والعقل ، تراها مجتمعة على لزومها ، بل كونها أهمّ من الاستقبال بوجه البدن إلى جهة البيت ، افترى انّ صرف الأمر عن سائر الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك ، هيهات بل هو الاهمّ ، بل هذه الظواهر انّما أمر بها للتحريك إلى الأمور القلبيّة ، والباطنيّة ، ولعلّ العمدة في حكمة الأمر بالاستقبال ، هو ضبط الجوارح ، وتسكينها بالاثبات في جهة واحدة ، حتّى لا تبغي على

القلب ، لأنّها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى الجهات ، استتبعت القلب فانقلبت به عن وجه الله .

ثمّ انّ جميع ما دلّ من النقل على ذكر الله ، وتقوى الله ، والتوجّه إلى الله ، والاقبال إليه كلّها ، من أدلّة لزوم التوجّه القلبي .

هذا ولتعلم انّه كما لا يتحقّق الاستقبال ظاهراً إلّا بصرف التوجّه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله ، وكذلك القلب لا يتمّ اقباله إلّا بالانصراف والتفرّغ عمّا سوى الله ، ونسيانه إلى الله .

وفي النبوي إذا قام العبد إلى صلاته ، وكان هواه وقلبه إلى الله ، انصرف كيوم ولدته امّه .

وفي مصباح الشريعة :

قال الصادق (ع) : إذا استقبلت القبلة ، فآيس من الدُّنيا ، وما فيها والخلق ، وما هم فيه وفرّغ قلبك عن كلّ شاغل بشغلك عن الله وعاين بسرِّك عظمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه قال الله تعالى ﴿ **هنالك تبلو كلّ نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحقّ** ﴾ وقف على قدم الخوف والرّجاء .

أقول : لا بدَّ للمؤمن من الخوف والرجاء ، وهما أصل كلّ خير بعد الايمان ، لأن المراد لكلٍّ أحد السعادة ، وهي سعادة عند المؤمن كلقاء الله ، والانس به ولا سبيل اليها الا بتحصيل محبَّته ولا تحصل إلَّا بالذكر ، ولا يتيسَّر الذكر والفكر إلَّا بالنزوع عن مشاغل الدنيا ، والالف بشهواتها ولا يمكن الا بالانقلاع عن حبّها ، وحبّ مشتهياتها ، ولا تنقمع أصولها الا بالصبر عنها ، ولا يعمل بالصبر إلا بالخوف والرجاء ، وحقيقة الخوف هو تألّم القلب ، واحتراقه بسبب انتظار مكروه فيما يأتي ، سواء كان المكروه بحصول شقاوة ، او فقدان سعادة ، ولا تنافي بينه وبين الرجاء ، بل بينهما تلازم ، والذي بينهما تناف هو القنوط والرجاء والأمن والخوف .

ثمّ انّ الخوف امّا عن نفس المؤلم ، أو عن سببه .

الأوّل : كالنار وسائر أنواع ما يعذّب به الانسان ، سواء كان في الدنيا او الآخرة .

والثاني : كالكفر والمعاصي ، ومنشئهما كلّه ويختلف خوف الخائفين في كلا القسمين .

أمّا الأوّل فقد يكون خوف مؤمن من تعجيل العقوبة في الدّنيا ، وقد يكون الموت وسكراته ، وقد يكون من القبر ووحشته وظلمته ، وضيقه وضنكه ، وقد يكون من السؤال ، وقد يكون من هول المطلع ، وقد يكون من أهوال القيامة ، ومواقفها ، وقد يكون من الحساب ، وقد يكون من الصراط ، وقد يكون من حياء العرض على الله ، وقد يكون من فضيحة هتك الستور على رؤوس الاشهاد ، وقد يكون من نار جهنّم ، وحيّاتها وعقاربها ، وزقّومها وضريعها ، وغسلينها ، وحميمها ومقامعها ، وقرينها واغلالها ، وسلاسلها ، وقد يكون من حرمان الجنّة ، ودار النعيم ، والملك العظيم المقيم ، وقد يكون من نقص الدرجة ، وهي أيضاً كثيرة : خوف الوقوف ، خوف الاعراض خوف الحجاب ، خوف الغضب ، خوف المقت .

وأمّا الثاني فقد يكون خوف احدهم من الكبائر الّتي قارفها ، وقد يكون من ملكاته السيّئة ، من شدّة شهوته وغضبه ، وقد يكون من حقوق الناس ، وطبقات العباد ، وقد يكون من البطر بكثرة النعم ، او خوف الاستدراج بها ، وقد يكون من الوقوع في معصيته ، أو الموت قبل التوبة ، أو نقض التوبة ، أو من القساوة أو من الاعوجاج ، والميل عن الاستقامة ، أو خوف اطّلاع الله على سريرته في حال معصيته ، أو غفلة أو من عدم قبول عباداته أو ردّ مناجاته ، كان يقال عند تلبيته : لا لبّيك ، ولا سعديك ، أو من ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله ، أو

من سـوء الخاتمة ، أو السابقـة ، والصالحين والـطالحين والعبّاد والـزهّاد ، والمتّقين والصدّيقين ، والعارفين مختلفة في هذه المخاوف .

ولا يـذهب عليك انّ الكـاملين من العبـاد يخـافـون من جميـع هـذه المخـاوف ومخصوصـون ببعضها أيضـاً ، والله تعالى يتـولّى زياضـة قلوبهم في كـلّ وقت ، بخوف ورجـاء ، وأخصّ ما يخـافون منـه خوف الـوقوف ، والاعراض ، وخوف السابقة المؤدّية بسوء الخاتمة .

ثمّ اعلم انّ اخوف الناس من الله اعلمهم بالله .

لـذا قال رسـول الله : أنا أخـوفكم من الله ، فانّهم يخـافـون من الله بجميـع ما ذكـر ، ولا لشيء من هذه المخـاوف ، بل بسـر قـولـه تعـالى : ﴿ ويحـذّركم الله نفسه ﴾ ولكن قـد يشغلهم الله من مقتضى خـوفهم ، فـلا يـظهـر من أحـدهم ، او في بعض حـالاتهم ، آثـار الخـوف ، وقـد يكـون بالعكس رجائهم وخوفهم في بعض حالاتهم ، فيظهر منهم مـا يكاد يتقـطّع منـه القلوب ويبهـر منـه العقـول ، وقــد يكـون في بعضهم ظهــور سلطان الخوف أكثر من بروز حقائق الرجاء .

فصـل : في لزوم الخـوف [١] ، وفضيلته قـال الله تعـالى : ﴿ رضي

---

(١) فـاعلم ان الاخبار المـذكورة في فصـل الخوف من الكتـاب ، مذكـورة في كتب الاخبار كالكافي الشريف ، والارشاد للشيخ المفيـد (ره) ، والخصال للصـدوق (ره) وكتب التفـاسير كـالصافي للمحقق القـاساني (ره) وغيـره ، راجعنا بعضهـا تصحيحـاً لـلأغـلاط الواقعة في طبع الكتاب ، فانها كثيرة جـداً ، ولكن طوينـا عن ذكرهـا ، والاشارة اليهـا ، خـوفاً عن الاطـالة ، وحـذراً عن الاطنـاب وتعجيـلاً للطبـع والنشر ، هـذا ولكنـك ايهـا القـارىء هل آمنت بهـذه الاخبار ، واحتملت ان تكـون مصـداقـاً للهـالكـين ومـا ورد في تفسير الآية الشريفة : « ولها سبعة ابواب » .

أم همك بطنك وفرجك ، وجاهك ومقامـك الفاني عن قـريب ، ومفارق عنـك غير بعيد ، ولكن ضعف الايمان او عـدمه ، بمـا ورد عن معادن العصمـة ، وخزان الـوحي ، الـذين سمعت خوفهم ، وحـزنهم ، وتغير حـالهم عن ذكر النـار ، والبعد عن قـرب رب=

الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربّه ﴾ .

وقال : ﴿ إنّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

وقال : ﴿ ويحذّركم الله نفسه ﴾ .

وقال : ﴿ اتّقوا الله حقّ تقاته ﴾ .

وقال : ﴿ واخشوني ﴾ .

عن النبيّ (ص) رأس الحكمة مخافة الله .

وروي من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا .

وروي انّ من العبادة شدّة الخوف من الله .

وروي انّ حبّ الشّرف ، والذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب .

وروي انّ المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى ، لا يدري ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقي لا يدري ما يكسب له فيه من المهالك ، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف .

وروي لا يكون المؤمن مؤمناً ، حتّى يكون خائفاً ، راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملا بما يخاف ، ويرجو .

وروي من خاف أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء .

وقال الصّادق (ع) لاسحاق بن عمّار : يا إسحاق خف الله كأنّك

= الارباب ، حملك على تحصيل رغيد العيش ، وحفظ المقام ، والاعراض عن تحصيل هذه السعادة ، والغفلة عن مفاجأة الموت ، وفوت الوقت وحلول الاجل وأنت مكب على الدنيا .

نراه ، وإن كنت لا تراه فانّه يراك ، فإن كنت ترى انّه لا يراك فقد كفرت وإن كنت تعلم انّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون الناظرين إليك .

وقال السجّاد (ع) في دعائه : سبحانك عجباً لمن عرفك ، كيف لا يخافك .

وروي انّ قطرة من الدمعة في خشية الله ، يطفى بحاراً من النار .

وروي ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة ، وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ، ثمّ يصيب شيئاً من وجهه ، إلا حرمه الله على النار .

وروي إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله ، تحت عنه خطاياه كما تحت من الشجر ورقها .

وعن الباقر (ع) قال صلى أمير المؤمنين بالناس الصبح بالعراق ، فلمّا انصرف وعظهم ، فبكى وأبكاهم من خوف الله .

ثمّ قال أما والله لقد عهدت اقواماً على عهد خليلي رسول الله ، وانّهم ليصبحون ويمسون شعثا ، غبرا ، خمصا ، بين اعينهم كركب البعير ، يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً ، ويراوحون بين اقدامهم وجباههم ، يناجون ربّهم في فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون ـ اه .

وفي بعض الروايات كان زفير النار في آذانهم ، إذا ذكر الله عندهم ، مادوا كما يميد الشجرة كأنّما القوم باتوا غافلين .

قال فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً ، حتّى قبض (ع) .

وفي حديث موسى (ع) : وأمّا الخائفون ، فإنّ لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه .

وروي لا يلج النّار أحدٌ بكى من خشية الله ، حتّى يعود اللّبن في الضرع .

وروي ما من قطرة احبّ إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله ، أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله .

وروي عن النبيّ (ص) سبعة يظلّهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه .

وذكر منهم رجلا ذكر الله خائفاً ففاضت عيناه من الدمع .

وروي انّ فتى من الأنصار دخلته خشية الله ، حتّى حبسه ذلك في البيت ، فجاء النبي فدخل عليه فكان يبكي ، واعتنقه فخرّ ميّتاً .

وروي عن بعضهم : انّه ما رفع رأسه الى السماء اربعين سنة ، وانّه رفع رأسه يوماً ففزع ، فسقط فانفتق في بطنه فتق ، وكان يمس بدنه في جوف اللّيل مخافة أن يكون قد مسخ ، وكان إذا أصاب الناس ريح أو برق أو بلاء غيرها ، قال هذا من اجلي يصيبهم ، لو متّ لاستراح النّاس من هذه البلايا .

وكان بعضهم ينظر إلى طرف انفه في خلال اوقاته ، ليطمئنّ ان لم يسودّ وجهه من ذنوبه .

وروي عن المجالس :

قال بينما رسول الله (ص) مستظلّ بظل شجرة في يوم شديد الحر ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه ، ثمّ جعل يتمرّغ في الرمضاء ، يكوي ظهره مرّة وبطنه مرّة ، وجبهته مرّة ، ويقول يا نفس ذوقي ، فما اعظم عند الله ممّا صنعت بك ، ورسول الله ينظر إليه ما يصنع ، ثمّ انّ الرجل لبس ثيابه ، ثمّ أقبل فاومأ إليه النبيّ (ص) بيده ، ودعا فقال له : يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ، ما رأيت أحداً من الناس صنعه ، فما حملك على ما صنعت ، فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله ،

فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك ، فقال النبيّ (ص) : لقد خفت ربّك حقّ مخافته ، وانّ ربّك ليباهى بك أهل السماء ، ثمّ قال لأصحابه يا معشر من حضر ، ادنوا من صاحبكم ، حتّى يدعو لكم ، فدنوا منه ، فقال : اللّهمّ اجعل أمرنا على الهدى ، واجعل التقوى زادنا ، والجنّة مآبنا .

وحكى انّ اويس القرني (ره) كان يحضر القاص ، فيبكي من كلامه ، وإذا ذكر النّار صرخ اويس ، ثمّ يقوم منطلقا ، فيتبعه النّاس يقولون : مجنون ، مجنون .

وحكى أمير المؤمنين (ع) خوف شيعته في حديث الهمام ، وقال : فلولا الآجال الّتي كتب الله لهم ، لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين أبداً شوقاً إلى لقاء الله والثواب ، وخوفاً من أليم العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم ، وصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنّة كمن قد رآها ، فهم على ارائكها متّكئون وهم والنار كمن قد رآها ، وهم فيها معذّبون ، صبروا أيّاماً قليلة فاعقبتها راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا ، فلم يريدونها ، وما طلبتهم ، فأعجزوها ، أمّا اللّيل فصافون اقدامهم ، يتلون لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا ، يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة ، وتارة ، ويفترشون جباههم وأكفّهم ، وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يمجدون جبّاراً عظيماً ، ويجارون إليه في فكاك رقابهم ، هذا ليلهم ، وأمّا نهارهم فعلماء صلحاء ، بررة أتقياء ، برئهم خوف بارئهم ، فهم كالقداح ، تحسبهم مرضى ، وقد خولطوا ، وما هم بذلك ، بل خامرهم من عظمة ربّهم ، وشدّة سلطانه ، ما طاشت له قلوبهم ، وذهبت منه عقولهم اه ، وإذا فرغ من كلامه ، صاح همام صيحة ، ووقع مغشيّاً عليه ، فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدّنيا .

وروي عن رسول الله (ص) قال : إذا جمع الله الأوّلين ، والآخرين

لميقات يوم معلوم ، فاذا هم بصوت يسمع ، اقصاهم كما يسمع أدناهم ، فيقول : يا أيّها النّاس انّي قد انصت لكم منذ خلقتكم ، فانصتوا إليّ اليوم ، انّما هي أعمالكم ترد إليكم ، أيّها النّاس إنّي قد جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فوضعتم نسبي ، ورفعتم نسبكم ، قلت : إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلاّ أن يقولوا فلان بن فلان ، وفلان أغنى من فلان ، فاليوم اضع نسبكم ، وارفع نسبي أين المتّقون ، فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لوائهم ، إلى منازلهم ، فيدخلون الجنّة بغير حساب ، والتّقوى عبارة عن اجتناب الشّبهات من مخافة الله .

وكان من مناجات الإمام السّجاد (ع) : يا إلهي لو بكيت إليك حتّى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتّى تنتشر قدماي ، وركعت لك حتّى ينخلع صلبي ، وسجدت لك حتّى تتفقّأ حدقتاي ، وأكلت تراب الأرض طول عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهري ، وذكرتك في خلال ذلك حتّى يكلّ لساني ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك ، ما استوجبت بذلك نحو سيئّة واحدة من سيّئاتي .

روى الأصمعيّ قال : خرجت إلى الحجّ إلى بيت الله ، وزيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله فبينما أنا أطوف حول الكعبة ، وكان ليلة مقمرة ، وإذا بصوت أنين ، وحنين ، وبكاء ، فتبعت الصوت ، وإذا بشابّ حسن الوجه ، ظريف الشمايل ، وعليه ذوائب ، وهو متعلّق باستار الكعبة ، وهو يقول : يا سيّدي ومولاي ، قد نامت العيون ، وغارت النّجوم ، وأنت حيّ قيّوم ، إلهي غلّقت الملوك أبوابها وقام عليها حجّابها وحرّاسها ، وبابك مفتوح للسائلين ، فها أنا ببابك انظر برحمتك لي يا أرحم الراحمين .

ثمّ أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطرين في الظلم   يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت يا حيّ يا قيّوم لم تنم
أدعوك ربّ حزيناً خائفاً قلقا فارحم بكائي بحقّ البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالنّعم

ثمّ قال : رفع رأسه إلى السماء ، وهو ينادي إلهي أطعتك بمشيتك ، فلك الحجّة عليّ باظهار حجّتك إلاّ ما رحمتني ، وعفوت عنّي ، ولا تخيّبني يا سيّدي .

ثم قال : إلهي وسيّدي الحسنات تسرّك ، والسيّئات ما تضرّك ، فاغفر لي فيما لا يضرّك .

ثمّ أنشأ يقول :

ألا أيّها المأمول من كلّ حاجة شكوت إليك الضرّ فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي
فزادي قليلٌ لا أراهُ مبلّغي على الزاد ابكي أم على بعد سفرتي
أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنّار يا غاية المنى فأين رجائي منك وأين مخافتي

قال الأصمعي : كان يكرّر هذه الابيات حتّى سقط مغشيّاً عليه ، فدنوت منه لأعرفه ، فإذا هو زين العابدين بن الحسين بن عليّ (ع) .

قال الأصمعي : فأخذت رأسه ووضعته في حجري ، وبكيت فقطرت قطرة من دموعي على خدّه ، ففتح عينيه ، وقال : من هذا الّذي شغلني عن ذكر ربّي ؟ قلت : عبدك ، وعبد أجدادك الأصمعي ، فما هذا الجزع والفزع والبكاء ، والأنين ، وأنت من أهل بيت النبوّة ، وموضع الرسالة ، وقوله تعالى ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهّركم تطهيراً** ﴾ ، قال : فاستوى قاعداً ، وقال : هيهات هيهات يا أصمعي ، إنّ الله خلق الجنّة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشيّاً وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشيّاً ، أما سمعت قوله تعالى :

﴿ فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم ﴾ .

وروى أبو الدردا انّه رأى أمير المؤمنين ليلة تخلّى من الناس ، وهو يناجي ويبكي ويقول : إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ، وكم من جريرة تكرّمت على كشفها بكرمك ، إلهي لإن طال في عصيانك عمري واعظم في الصفح ذنبي ، فما أنا مؤمّل غير غفرانك ، ولا انا براج غير رضوانك ، إلهي افكر في عفوك ، فتهون عليّ خطيئتي ، ثمّ اذكر العظيم من اخذك ، فيعظم عليّ بليّتي آه ان أنا قرئت في الصحف سيّئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها فتقول خذوه ، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، من نار تضجّ الأكباد والكلى ، آه من نار نزّاعة للشوى ، آه من غمرة من لهبات لظى .

ثمّ قال : إذا قد خمد صوته ، قلت له : نام فذهبت لأوقظه ، وحرّكته فإذا هو كالخشبة اليابسة ، قلت إنّا لله وإنا إليه راجعون ، مات أمير المؤمنين وذهبت إلى أهله ، وأخبرت فاطمة (ع) بذلك ، فقالت : هذه الغشية الّتي تعرضه كلّ ليلة ، من خشية الله ، ثمّ اتوه بماء فنضحوه على وجهه ، فأفاق ونظر إليّ ، وأنا ابكي ، فقال : ممّا بكاؤك يا أبا الدردا ، فقلت ممّا أراه تنزله بنفسك ، فقال : يا أبا الدردا فكيف ، ولو رأيتني ودعي بي الى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ ، وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبّار ، قد أسلمني الحياء ، ورحمني أهل الدنيا لكنت أشدّ رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه خافية ، فقال أبو الدرداء ، فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (ص) .

وروي أنّه إذا نزلت من أوّل سورة الحّج زلزلة الساعة ليلاً ، في غزوة بني المصطلق والناس يسيرون ، فنادى رسول الله (ص) فجثّوا المطى ، حتّى كانوا حول رسول الله (ص) ، فقرأها عليهم ، فلم ير أكثر

باكياً منه تلك اللّيلة ، فلمّا أصبحوا ، لم يحطوا السرج عن الدواب ، ولم يضربوا الخيام والناس بين باك ، وجالس حزين متفكّر الخ ، فتفكّر في أحوال قوم يسيرون إلى الجهاد ، في خدمة النبيّ (ص) ، في هذه الدرجة من الخوف ، وقس عليه أحوالنا اليوم في هذه النعمة .

وروي أنّه إذا نزلت آية ، ولها سبعة أبواب ، أنّه سئل النبيّ (ص) جبرائيل (ع) أهي كأبوابنا ؟ فقال : لا ، ولكنّها مفتوحة بعضها أسفل من بعض ، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة ، كلّ منهما أشدّ حرّاً من الّذي بينه سبعين ضعفا ، يساق أعداء الله إليها ، فإذا انتهى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالاغلال والسلاسل ، فتلك السلسلة في فيه ، ويخرج من دبره ، وتغلّ يده اليسرى إلى عنقه ، وتدخل يده اليمنى في فؤاده ، ويخرج من بين كتفيه ، ويشدّ السلاسل ، ويقرن كلّ آدميّ مع شيطان في سلسلة ، ويسحب على وجهه ، وتضربه الملائكة بمقامع من حديد كلّما أرادوا ان يخرجوا منها أُعيدوا فيها ، فقال النبيّ (ص) : اخبرني من مكان هذه الأبواب ؟ قال :

فامّا الباب الأوّل ، ففيه المنافقين ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون ، واسمها الهاوية .

والباب الثاني : ففيه المشركون واسمه الجحيم .

والباب الثالث ، ففيه الصابئون ، وإسمه سقر .

والباب الرابع : ففيه إبليس ، ومن تبعه ، والمجوس ، واسمه لظى .

والباب الخامس : فيه اليهود ، واسمه الحطمة .

والباب السادس ، فيه النصارى ، واسمه سقر ، ثمّ أمسك جبرائيل (ع) فقال النبيّ (ص) : ألا تخبرني من مكان الباب السابع قال : يا

محمّد لا تسألني عنه ، فقال : بلى يا جبرائيل أخبرني عن الباب السابع ، فقال : هي أهل الكبائر من أُمّتك ، الّذين ماتوا ولم يتوبوا ، فخرّ النبيّ (ص) مغشيّاً عليه ، فوضع جبرائيل (ع) رأسه في حجره ، حتّى أفاق فلمّا أفاق قال : يا جبرائيل عظمت مصيبتي واشتدّ حزني ، أو يدخل من أُمّتي النار ؟ قال : نعم أهل الكبائر من أُمّتك ، ثمّ بكى رسول الله (ص) ، وبكى جبرائيل (ع) ، ودخل رسول الله (ص) منزله ، واحتجب عن الناس ، وكان لا يخرج إلاّ إلى الصلاة ، يصلّي ويدخل ولا يكلّم أحداً ، ويأخذ في الصلاة ، ويبكي ويتضرّع إلى الله تعالى ، فلمّا كان من اليوم الثالث ، أقبل أبو بكر حتّى وقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله (ص) من سبيل ؟ فلم يجبه أحد ، فتنحى باكياً ، فأقبل فصنع مثل ذلك ، فلم يجبه أحد فتنحى ، وهو يبكي ، وأقبل سلمان ، فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ، هل إلى مولاي رسول الله (ص) من سبيل ؟ فلم يجبه أحد ، فأقبل يبكي مرّة ، ويقول أُخرى ، حتّى أتى بيت فاطمة (ع) ، فوقف بالباب ، وقال ، السّلام عليكم يا أهل بيت المصطفى ، وكان عليّ (ع) غائباً ، فقال سلمان : يا بنت رسول الله ، رسول الله (ص) احتجب عن الناس ، فليس يخرج إلاّ إلى الصلاة ولا يكلّم أحداً ولا يأذن لأحد أن يدخل عليه ، فاشتملت فاطمة (ع) بعبائة قطوانية ، وأقبلت حتّى وقفت على باب رسول الله (ص) ، ثمّ سلّمت ، وقالت : يا رسول الله أنا فاطمة ، ورسول الله (ص) ساجد يبكي ، فرفع رأسه ، فقال (ص) : ما بال قرّة عيني فاطمة حجبت عنّي ، افتحوا لها الباب ، ففتح الباب فلمّا نظرت إلى النبيّ (ص) بكت بكاءً شديداً ، لما رأت من حاله مصفرّاً ، متغيّراً لونه مذاباً لحم وجهه من البكاء ، والحزن ، فقال : يا رسول الله ما الّذي نزلت عليك ؟ فقال النبيّ (ص) : جائني جبرائيل (ع) ، ووصف لي أبواب جهنّم ، وأخبرني بأنّ في أعلا بابها أهل الكبائر من أُمّتي ، فذلك الّذي أبكاني ، وأحزنني ، قالت : يا رسول الله ، أو لم

تسأله كيف يدخلونها ، قال : يسوقهم الملائكة إلى النار ، لا تسودّ وجوههم ، ولا تزرق عيونهم ، ولا تختم على أفواههم ، ولا يقرنون مع شيطان ولا يوضع عليهم السّلاسل والاغلال ، قالت (ع) : يا رسول الله كيف تقودهم الملائكة ؟ قال النبيّ (ص) : امّا الرجال فباللّحى ، وأمّا النساء فبالذوائب والنواصي ، فكم من ذي شيبة من امة قد قبض على شيبته ، يقاد إلى النار ، وهو ينادي واشيبتاه ، واضعفاه ، وكم من شاب من أُمّتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار ، وهو ينادي واشباباه واحسن صورتاه ، وكم من امرأة من أُمّتي تقبض على ناصيتها يقاد إلى النار وهي تنادي وافضيحتاه ، واهتك ستراه ، حتّى ينتهى بهم إلى مالك ، فإذا نظر إليهم المالك ، قال للملائكة من هؤلاء ؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء ، لم تسوّد وجوههم ، ولم توضع السّلاسل والأغلال في أعناقهم ، فتقول الملائكة هكذا أمرنا ان نأتيك بهم ، فيقول لهم يا معشر الأشقياء من انتم وفي رواية لما قادتهم الملائكة ، فتنادون وامحمّداه ، فلمّا رأوا مالك نسوا اسم محمّد من هيبته ، فيقول لهم : من أنتم ، فيقولون : نحن ممّن نزل عليهم القرآن ونحن ممّن نصوم شهر رمضان ، فيقول المالك : وما نزل القرآن إلاّ على محمّد فإذا سمعوا اسم محمّد صاحوا وقالوا نحن من أُمّة محمّد ، فيقول المالك : ما كان لكم في القرآن زاجراً عن معاصي الله ؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنّم ، ونظروا إلى النار ، وإلى الزبانية ، فقالوا : يا مالك ائذن لنا نبكي على أنفسنا فيبكون الدموع حتّى لم يبق لهم الدموع ، فيبكون دماً ، فيقول مالك : ما أحسن هذا لو كان في الدنيا ، لو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ما مسّكم النار اليوم ، فيقول للزبانية . القوهم في النار ، فنادوا بأجمعهم لا إله إلاّ الله فرجع عنهم النار ، فيقول مالك للنار خذيهم فتقول النار كيف اخذهم ؟ وهم يقولون : لا إله إلاّ الله ، فيقول مالك : نعم بذلك أمر ربّ العرش.، فتأخذهم فمنهم من تأخذه إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من

تـأخذه الى حلقه ، قـال : فـإذا أهـوت النـار إلى وجهـه قـال مـالـك : لا تحـرقي وجـوههم ، فـطال مـا سجـدوا للرحمن في الـدنيـا ، ولا تحـرقي قلوبهم ، فـطال ما عـطشـوا في شهـر رمضـان فيبقـون فيهـا مـا شـاء الله ، فينـادون يا أرحم الـرّاحمين ، يا حنّـان يـا منّـان ، فـإذا أنفـذ الله حكمـه ، قـال : يا جبـرائيل مـا فعل العـاصون من أُمّـة محمّد ، فيقـول : إلهي أنت أعلم بهم ، فيقـول : انـطلق فـانـظر مـا حـالهم ، فينـطلق جبـرائيـل إلى مـالك ، وهـو على سريـر من نـار في وسط جهنّم ، فـإذا نـظر مـالـك إلى جبرائيل قـام تعظيمـاً له ، فيقـول ، يا جبـرائيل مـا أدخلك هذا المـوضع ؟ فيقـول : ما فعلت العصـابة العـاصية من أُمّـة محمّد (ص) ، فيقـول : مـا اسـوء حـالهم ، واضيق مكـانهم ، قـد احـرقت النـار أجسـامهم وأكلت لحـومهم ، وبقيت وجـوههم ، وقلوبهم يتـلألأ فيهـا الايمـان ، فيقـول جبرائيل : ارفع الطبق عنهم حتّى أنظر إليهم ، قال : فيأمر المـالك الخـزنة أن يرفعوا الـطبق ، فإذا نـظروا إلى جبرائيـل (ع) ، وحسن خلقه علمـوا انّه ليس من مـلائكـة العـذاب ، فيقـولـون : من هـذا العبـد الّـذي لم نـر قط أحسن وجهاً منه ؟ فيقـول مالـك ، هذا جبـرائيل الكـريم على الله تعالى ، الّـذي كـان يـأتي محمّـداً بـالـوحي فـإذا سمعـوا بـاسم محمّـد صـاحـوا بـأجمعهم ، وقالـوا يا جبـرائيل اقـرء محمّداً (ص) منّـا السـلام وأخبـره انّ معاصينا فـرّقت بيننا وبينـك ، واخبره بسـوء حالنـا ، فينطلق جبـرائيل حتّى يقـوم بين يـدي الله ، فيقـول الله : كيف رأيت أُمّـة محمّـد ؟ فيقـول : مـا أشـدّ حالهم ، واضيق مكـانهم ، فيقول : هـل سألـوك شيئاً ، فيقـول : يـا ربّ سـألوني ان اقـرء على نبيهم السلام ، واخبـرهم بسوء حـالهم ، فيقول الله انـطلق ، فـأخبـره فيـدخـل جبـرائيـل (ع) على النبيّ (ص) ، وهـو في خيمـة من درّة بيضـاء لهـا أربعـة ألف بـاب ، ولهـا مصـراعـان من ذهب ، فيقول : يا محمّد جئتك من عند العصابـة العصاة من أُمّتـك ، يعذّبـون في النّـار وهم يقرأونـك السلام ، ويقـولون مـا اسوء حـالنا ، واضيق مكـاننا ، فيأتي النبيّ عند العرش ، فيخرّ سـاجداً ، ويثني على الله ثنـاءً لم يثنه أحـد

مثله ، فيقول الله عزّ وجلّ : ارفع رأسك ، واسأل فقط ، واشفع تشفّع ، فيقول : الأشقياء من أُمّتي قد انفذت فيهم حكمك فيقول الله تعالى : قد شفعتك فيهم ، فأت النار ، فأخرج منها من قال لا إله إلا الله ، فينطلق النبيّ (ص) ، فإذا نظر مالك إلى النبي (ص) فتح الباب ، ورفع الطبق ، فإذا نظر أهل النار إلى محمّد (ص) صاحوا بأجمعهم ، فيقولون : قد احرقت النار جلودنا ، واحرقت أكبادنا ، فيخرجهم جميعاً ، وقد صاروا فحماً أكلتهم النّار ، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنّة يسمّى الحيوان ، فيغسلون فيه فيخرجون منه شباباً جردا مردا ، مكحلين ، وجوههم مثل القمر فيدخلون الجنّة .

هذه مخاوف المؤمنين ، والأنبياء ، والأولياء فانظر الى حالك من أيّ ديوان يخرج اسمك ، هل من ديوان المؤمنين ، أو المقرّبين ؟ فانّ الخوف والرّجاء بقدر الايمان ، يعظّمان الجنّة والنار ، والقرب والبعد ، وإيّاك أن يكون حالك مثل حال الملحدين في الخوف والرجاء ، ويكون وجود جهنّم وعدمه عندك سواء ، ولا تغتر بظواهر العقائد الحقّة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ان لم يؤثر في خوفك ورجائك ، فإنّ الموجود الغير المؤثّر كالمعدوم ، فامتحن نفسك ان ادّعيت الخوف ، فإنّ للخوف آثاراً ، امّا في البدن فبالخول والصفار والبكاء ، وامّا في الجوارح فبكفّها عن المعاصي ، وتقييدها بالطاعات ، وتلافي ما فات ، والاستعداد لما هو آت ، وأمّا في القلب فبالذّلول والخشوع ، والاستكانة ، ومفارقة الكبر ، والحقد والحسد ، وبالجملة شغل القلب بهمّ المخوف منه وخطره ، والاهتمام بالنجاة من غوائله حتّى لا يبقى لساير الهموم محلّ فيه ، أو يكون كأحد الهموم لا محالة ، فانّ الخوف أيّ خوف كان إذا غلب على القلب ، واستوعبه يحرق كلّ شهوة ورغبة ، وميل ، ولا يبقى فيه متّسع للغير للاشتغال بالغير ، وينسى كلّ شيء ، ولا يكون له همّ ، ولا شغل إلّا مراقبة المخوف منه ، والمجاهدة في تحصيل النجاة منه ،

ويضنّ بالانفاس واللّحظات ، فضلاً عن الأيّام ، والساعات ، وأدنى درجاته يظهر في الجوارح ، بالكفّ عن المحذورات ، فيكون ورعاً ، وأوسطها ان يجتنب المشتبهات فيدخل في المتّقين ، واعلى منه ترك ما لا بأس به ، واذا انضمّ اليه التجرّد للخدمة ، فلا يبنى ما لا يسكن فيه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم انّه يفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه ، قيل : هذا جدير بأن يسمّى صدّيقاً .

فصل : في علاج الخوف .

أقول : الخوف علاج أصله الايمان بالله واليوم الآخر ، والثواب والعقاب ، والجنّة والنار ، سواء كان عن تقليد وسماع ، أو عن تحقيق وبرهان ، او كشف وعيان ، والخوف الناشىء عن الايمان التقليدي يشبه خوف الصبّي عن الحيّة إذا سمع من امّه انّه يلدغ ، ويقتل ، ويقوّى إذا رأى انّ أبويه يفرّان منه ويتزلزلان من رؤيته ، والناشىء عن الايمان التحقيقي يشبه خوف العقلاء ، عمّا يحكم العقل بضرره ، واهلاكه ، ويقوى بكون مباديه قريبة من الحس ، وبكثرة الذكر والفكر فيه ، والناشىء عن الكشفي هو الذي يجمع جميع فضائل الخوف ، ويحرق في القلبّ كلّ شهوة ورغبة ، وينسى كلّ شيء ، ولا يبقى للمؤمن إلاّ همّ المخوف منه ، والخلاص منه ، وله أيضاً مراتب فإنّ الّذي كوشف له نار جهنّم ، لا يبلغ خوفه مبلغ من كوشف له عذاب البعد والحجاب عن لقاء الله ، أما تسمع أمير المؤمنين (ع) بعدما يعدّ شدّة عذاب جهنّم ، وطول مدّتها ، يقول : وهبني يا إلهي وسيّدي ، ومولاي وربّي ، صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك ؟ وهبني صبرت على حرّ نارك ، فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك ؟ .

وإن شئت ان تعرف الفرق ما بين عذاب نار جهنّم ، وعذاب نار الفراق فقس بين العالم الحسّي والعالم العقليّ ، ودرك الحسّ والعقل ، فان نسبة الحسّ إلى العقل كنسبة القطرة إلى البحر ، بل الفرق أزيد ،

وخوف البعد والحجاب للمقرّبين ، هو مهلك قطعاً الا انّ الله انّما يتولّى سياسة قلوب أوليائه ، فاذا هاج في قلوبهم مبادىء هذا الخوف ، وأحرق قلوبهم وقربوا من الهلاك ، يحيهم بما يلقى أليهم من نفحات رحمته ، ويمطر على موات قلوبهم من امطار رجاء رأفته ، إلى أن يقضى فيهم حكمه وحكمته ، ويقرّب اجالهم الّتي كتب الله عليهم ، وعند ذلك يطوى عنهم بساط الخوف والرجاء ، فيشدّ على قلوبهم شوق اللّقاء ، حتّى يكونوا إلى الموت آنس من الطفل إلى ثدي أُمّه ، ولعلّ هذه معاملته تعالى ببعض أوليائه ، ولكلّ منهم معاملة خاصّة ، كلّها ناشية عن كرمه وجوده ورأفته ورحمته ، وعظيم فضله وإحسانه بما يناسب حاله في الترقّي إلى ما كتبه لهم من الدرجات العالية ، بمقتضى اسمائه وصفاته ، وإذا تمهّد ذلك تعرف انّ اصل الخوف سببه الايمان ، وكلّ مؤمن لا بدّ ان يكون فيه مقتضى الخوف في الجملة ، ولكن قد يكون الايمان ضعيفا ، فيضعف الخوف ، وقد يكون قوياً فيكون مقتضى الخوف أيضاً قويّاً ، ولكن يمنع من فعليّته مانع ، فالعلاج امّا بتقوية الايمان ، أو رفع المانع .

أمّا الأوّل : فليس هنا محلّ ذكره .

وأمّا الثاني : فهو في المقام أمران .

أحدهما : غفلة القلب عمّا امن به من الجنّة والنار .

وثانيها : غلبة حبّ الدنيا على القلب بحيث صار القلب مريضاً بمرض العشق .

أما الأوّل : فعلاجه الوعظ والتذكير ، وتذكّر اسباب الخوف من العذاب الدنيويّ والأخرويّ ، وينفع كثيراً قراءة آيات العذاب ، وتكرارها والتفكر فيها ، وتصويرها واقعة على النفس ، في كلّ يوم وليلة مرّتين أو مرّات ، ولكن يكثر تكرارها ساعة أو ساعتين لا محالة فيؤثّر أثراً كاملاً ،

وفي ملازمة الخائفين ، ومشاهدة حالاتهم ايضاً لفوز عظيم ، وسماع أحوالهم أيضاً بدل منه .

وأمّا الثاني : فعلاجه هو تقوية باعث الدين ، وتضعيف باعث الهوى ، وحبّ الدنيا ، فانّ القلب دائماً معركة هذين الجندين ، حتّى يغلب أحدهما فيملك القلب ، ويكون هو السايس والحاكم فيه ، فيجري أحكام الدين الجوارح الّتي هي ايضاً جند القلب .

وتفصيل تقوية باعث الدّين على باعث الهوى ، ليكون له اليد العليا المتصرّفة في مملكة البدن يعلم بمثال .

مثلاً إذا أردنا أن يكون العقل والشرع حاكمين في الشهوة ، فلنا أن نضعّف الشهوة ، ونقوّي العفّة .

أمّا الأوّل : فيكون بثلاثة امور :

أحدها : قطع اسبابها الخارجة ، وهي الأغذية القويّة والمشهيّة نوعا ، ومقداراً ، فلا بدّ من قطعها ، فلا يأكل المريد المشهيّة النوعيّة ، ويقلّ من المقداري ، ولذا أمر الشرع في تكسير الشهوة بالصوم .

الثاني : قطع أسبابها المهيّجة الفعليّة ، فانّها إنّما تهيّج بالنظر إلى مظانّها ، إذ النظر يهيّج القلب ، والقلب يحرّك الشهوة . وهذا أيضاً يحصل بالاعتزال ، والاحتراز عن مظانّ رؤية الصور الجميلة ، والمشهيّة ، ولذا ورد في الشرع النهي عن النظر إلى النسوان ، والولدان الجميلة ، وقال (ص) : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فإنّ سهمه هذا انّما هو من قوس الصور ، ومن طريق البصر ، فلا يدفعه إلاّ غمض الاجفان ، والهرب من مظانّ الأبصار .

الثالث : تسلية النّفس بالمباح من الجنس الّذي تشتهيه ، وهو النّكاح .

وأمّا الثاني : وهو تقوية العفّة فبوجهين :

أحدهما : تذكّر فوائدها وثمراتها الدنيويّة ، ومثوباتها الاخرويّة ، ممّا ورد في الآيات والأخبار .

وثانيهما : تعويذها بالغلبة ، فيكون بالعمل بمقتضاها تدريجاً فيقوى بذلك ، حتّى انّ الغلبة في المرّة الثانية اسهل منها في الاولى ، حتى ينتهي إلى أن لا يبقى للخصم قوّة للمصارعة .

ثمّ انّ الخوف من الامور الاخرويّة أيضاً ينقسم : إلى مكروه ، وحرام ، ومستحب ، وواجب .

ومن الأوّل : ان يشتدّ من درجة الاعتدال ، فيكف الاشتغال به عن دوام الذكر ، والفكر ، والفراغ لكثرة العمل .

ومن الثاني : ان يصل إلى درجة القنوط ، وهو كبيرة موبقة .

ومن الثالث : كل ما يصير سبباً للتقوى ، وزيادة العمل عن حدّ الوجوب الشرعي .

ومن الرابع : كلّ ما يمنع عن المحرّمات الشرعية ، ويبعث على العمل بالواجبات الشرعيّة .

وايضاً ينقسم بلحاظ آخر : إلى ناقص ، ومعتدل وزايد .

فالناقص : ما يكون سبباً لتألّم ما يوجع القلب ، ويبكي العين ولا يمنع من المحرّمان والشهوات ، ولا يبعث على مجاهدة العبادات ، فاذا سمع آية أو رواية واردة في وصف جهنّم ، وشدّة عقابها يبكي ، وإذا غفل ينقضي أثره فلا يكفّه عن شيء ، ولا يبعثه إلى امر نظير رقّة النساء ، وهذا ناقص ، وجوده كالعدم ، لضعف نفعه ، وهو درجة خوف العامّة ، والمعتدل هو ما ينبعث على العمل ، والتقوى والجهاد الأكبر ، وهو على درجاتها مطلوبة نافعة جدّاً ولها مثوبات عظيمة .

والزائد : هو الّذي يقضي إلى اليأس والقنوط ، ويكفّ عن

العمل ، أو يقضي الى الموت والهلاك ، واخلال العقل ، وهذا هو المرغوب عنه بأقسامه ، والسبب فيه انّ الخوف ، ليس بنفسه من الفضائل ليزداد حسنه بازدياده ، بل هو في نفسه نقص ، وصار مرغوباً لرفع نقص آخر اهمّ من نفسه ، فاذا يكون دائراً مدار ذلك ، فاذا زاد عن الحدّ بحيث لم ينفع في رفع النّقص الآخر ، أو زاد في نقصه ، فيكون قبيحاً ، ومرغوباً عنه .

وبالجملة ما يثمر في العمل المرغوب الشرعيّ هو المطلوب ، وما لا يثمر في ذلك ، أو يثمر في خلافه ، فهو غير مرغوب فيه قطعاً .

فصل : في الخوف عن سوء الخاتمة ، وإنّما افردنا له فصلاً لاستحقاقه لذلك ، فهو سوء حال الانسان عند موته ، سواء ختم بالكفر ، والجحود ، او بالفسق والفجور ، أو بنقس لا يرضى به فانّ الكمل من عباد الله ، إنّما يبكون من ذلك ، وإن كان من جهة كونه كاشفاً من السابقة ، فالامن إنّما هو بالخلاص منه ، وبالجملة سوء الخاتمة ، امّا بالكفر والجحود ، وهو ان يغلب على القلب عند سكرات الموت ، الّتي تكشف بسبب اضطراب الرُّوح عندها للمحتضر عن بعض احوال الآخرة ، بمناسبة من أحوال قلبه من «العقائد» والملكات ، أو أثر الأعمال السابقة بالخاصة ، ما يوجب الشكّ أو الجحود ، فيختم له بذلك ، فيسير سبباً للخلود في النار ، وامّا بالفسق والفجور ، وهو أن يحصل للمصرّ في الكبائر محبّة راسخة لبعضها ، بحيث يغلب على قلبه ذكرها ، فيتصوّر له عند الموت صورتها ، فيميل لاقترافها ، فيقبض عليه ، ووجه روحه إلى عالم الطبيعة ، فيكون ناكساً رأسه إلى الدنيا ، فيحجب بذلك عن الله ، وإذا حجب عن ربّه نزل العذاب ، وظهرت آثار الذنوب ، فانّ الإنسان يموت على ما عاش عليه ، ويحيى على ما مات عليه ، أي يكون عند موته حاله على ما غلب على قلبه من نور الأعمال ، وظلمتها اللذين يجران الثواب ، والعقاب ، بل هما عين الثواب والعقاب ، ولكن على

غير صورتهما الجزائيّة ، فاذا انقلب وجه الروح إلى عالم البرزخ ، ينقلب صور آثار الاعمال إلى صورها البرزخيّة الجزائيّة ، فينقلب الظلم مثلا ظلمة ، والدّراهم والدنانير الزكويّة الّتي بخل بها ، ناراً فتكوى بها جبهته ، وظهره ، وقد أشرنا سابقاً إلى انّ لكلّ شيء في كلّ عالم صورة ، غير صورته في العالم الآخر ، وذكرت انّ من هذا الباب ما يرى في المنام بعض الأحوال الآتية بصورها البرزخيّة ، فيعبّره من يعرف حقائق الصّور البرزخيّة ، فينطبق الأمر على ما عبّر ، مثلا رأى رجل في زمان الحجّاج انّ على جدار مسجد رسول الله (ص) حمامة بيضاء جميلة ، فإذا جاء صقر فصادها ، وحكى رؤياه على ابن سيرين . قال : كان رؤياك هذا صدقاً ، يتزوّج الحجّاج ابنة عبد الله ابن جعفر ، وما مضت أيّام حتّى تزوّجها الحجّاج ، وسئل عن المعبّر عن وجه تعبيره ، قال : انّ المسجد صورة بيت شريف ، والحمامة صورة بنات الشرفاء ، والصقر صورة الرجل القاهر الجبّار ، ولم يكن اليوم في المدينة بيت اشرف من هذا البيت ، ولم يكن بها أجمل من بنت عبد الله ، ولم يكن في الرجال أقهر وأجبر من حجّاج ، ولذا عبّرته بهذا التعبير ، فاذاً الحقائق لها صور بحسب العوالم ، فاذا معنى سوء الخاتمة ، ان يكون الانسان في مدّة عمره ، كسب لروحه آثاراً ظلمانيّة ناريّة سميّة ، ويظهر عند قرب الموت على المحتضر ما هو الأغلب على قلبه ، وروحه من الآثار والأحوال ، فيميل اليه ويبقى روحه عند قبضه على حال من الأحوال على ذلك الحال ، ويبقى بصورته البرزخيّة ، فيكون معذّباً به ، حتّى ينقضي ويتمّ الأثر ، ويظهر نور الايمان الضعيف عند انقضاء الظلمة للأعمال الراسخة ، فيأخذه روح الله ، وبرد عفوه ، هذا إذا كانت آثار الأعمال القبيحة ضعيفة ، وقد يكون قويّة بحيث لا يتمّ في البرزخ ، ويبقى ليوم البعث ، وينقلب على صورها المناسبة لعالم القيامة ، وينقضي في خلال هذه المدّة في بعض مواقفها ، أو يقوى من ذلك أيضاً ، فيدخل في جهنّم فيقضي فيها .

لا يقال : هذا الّذي ذكرت انّما هو آثار الأعمال ، ومقتضيات الصفات فأين الثواب والعقاب ، ورحمة الله وقهره ، وعفوه وأخذه .

قلت : إنّ الآثار إنّما هو الثواب والعقاب ، الّذين يخلقهما خالق الأشياء كلّها برحمته ، وقهره وعفوه وأخذه نظير ما ترى في الدنيا ، انّك تقول رزقني الله ولداً ، أي جعل مائك الّذي خلقه في صلبك في رحم زوجتك ولدا ، أي وهب لمائك في رحم زوجتك الأثر الّذي اودعه فيه بحكمه ، وحكمته وعادة الله بمقتضى حكمته جارية لخلق الأشياء بالأسباب في الدنيا والآخرة ، وذلك لا ينافي نسبة الآثار إلى الله ورحمته ، وغضبه ولطفه وقهره ، ولا ينافي ان يسمّى ثواباً وعقاباً ، فانّ الثواب هو أن يكون عملك مقتضياً لأن يهبك الله ما حكم بعملك هذا من الآثار الخيرية ، من الجنان والقصور والحور ، وهكذا العقاب أن يخلق الله من عملك ناراً تعذّب بها ، هذا كلّه انّما هو قضيّة بعض القواعد العدليّة ، وحكم ما يرى من عادة الله الجارية في عالمنا ، وبعض العوالم القريبة من عالم الحسّ ، والذي وصل إلينا حكمه من الشرائع من سائر العوالم ، ولعلّه لا بأس به بحكم الشرع والعقل بل والكشف أيضاً ، وبالجملة ليس سوء الخاتمة إلّا أثر الأعمال السابقة ، وليست هي إلّا حكم ما اقتضته الصّفات الذاتيّة ، فظهرت في الجوارح بصورة الأعمال القبيحة ، ليتمّ بذلك حجّة الله البالغة في حكمه ، وليست الصفات إلا بحكم ما وهبه الله بحكمته ، وعدله وجوده للذوات ، حيث سألت عن ربّها بلسان حال استعدادها ذلك ، فمعنى قول المحقّقين انّا نخاف من اليوم السّابق هو هذا المعنى ، يعنون بذلك إنّا نخاف من اليوم الذي اوجدنا ربّنا ، وسئل لسان حال ذواتنا من الله هذه الصفات التي تصير منشأ للأعمال القبيحة ، والميل إلى عالم الطبيعة ، والاخلاد الى الأرض ، حتّى حجبنا بذلك عن لقاء ربّنا وقربه وكرامته ، وقيّدنا بقيود هذه الصفات الرذيلة ، في سجن عالم الطبيعة المظلمة ، هذا والّذي

يتفاوت به الأمر ، انّ الاصطلاح انّما قيّد استعمال لفظة سوء الخاتمة بما إذا كان ظهور الشقاوة عند الموت ، بخلاف ما ستر ظاهراً للعامّة من حسن الحال ، وهذا الاصطلاح لا بأس به ، والفرق بين المعنى اللّغوي ، والاصطلاحي بالعموم والخصوص ، فإنّ المعنى اللّغوي يصدق على كلّ من ختم له بسوء حال وشقاوة ، والاصطلاح لا يصدق من هؤلاء إلا على من كان ظاهر حاله قبل الموت عند العامّة حسناً ، فظهرت عند الموت أمر باطنه ، من الخبث والشقاء ، وختم له به .

وبالجملة قد يقال : انّ السّبب لسوء الخاتمة بالكفر والجحود أمران :

أحدهما : أن يعتقد الإنسان في ذات الله ، وصفاته وأفعاله خلاف الحق ويرى عند قرب الموت حين كشف له عن بعض الحقائق ، خلاف ما اعتقده ، فيصير ذلك سبباً لشكّه في سائر معارف ايمانه ، فيختم له بالشكّ ، والزهد والصلاح لا ينجى من هذا الخطر ، كذا قيل ، ولكن ظنّي انّ الزهد والصلاح الواقعيين ينجيان منه بالخاصية ، امّا من سببه أو من نفسه ، بل السّبب القريب للوقوع في خلاف الواقع من العقائد ، ليس إلا اتّباع الهوى والفساد، قيل : والبله بمعزل عن هذا الخطر ، ولم اتحقق كونه بمعزل ، لأنّهم غالباً يعتقدون بعض الامور الغير الواقعيّة ، فإذا رأوا بطلانه يصير ذلك سبباً لشكّهم في غيره من عقائدهم الحقّة ، نعم يمكن أن يدعي انّ ذلك يقلّ فيهم ، من جهة انّهم لا اعتقاد لهم راسخة في باب الصفات والأسماء ، وبالي انّ المنجي من هذا الخطر بعد فضل الله ان يكون المؤمن فطناً ، قليل الوثوق بنظره وفهمه ، ولا يكون قطّاعاً ، متّكلا على الله في نجاته من الكفر والهلاك ، وكثير الدعاء في ذلك ، بقوله : (اللّهمّ ثبّتني على دينك ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني)، أو يقول :(اللّهمّ عرّفني نفسك ، فانّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك ، اللهمّ عرّفني نبيّك ، فإنّك إن لم تعرّفني نبيّك ، لم أعرف

حجّتك ، اللّهمّ عرّفني حجّتك فانّك إن لم تعرفني حجّتك ، ضللت عن ديني). كما ورد الرواية (١) ، ويكون ثابتاً في الايمان الاجمالي ، بأنّ جميع ما جاء به محمّد (ص) وأوصيائه (ع) حقّ ، نعم ليس البحث عن الكلام (٢) لأغلب الناس حسن العاقبة ، لا سيّما مع الاشتغال بالجدال كما ورد النهي عنه ، فالاولى في تحصيل المعارف طريق المجاهدة في تزكية النفس ، ودوام الذكر والفكر والدعاء .

وثانيهما: هو ضعف الإيمان في الأصل ، ثمّ استيلاء حبّ الدنيا على القلب ، وإذا ضعف الايمان ضعف حبّ الله ، وقوى حبّ الدنيا ويغلب القوي على الضعيف ، حتّى لا يبقى موضع لحبّ الله ، إلا من جهة حديث النفس ، ولا يظهر له أثر في مخالفة الهوى والشيطان ، فيورث ذلك الانهماك في اتّباع الشهوات ، واقتراف المعاصي ، حتّى يظلم القلب ، ويقسو ، ويسودّ من تراكم ظلمة الذنوب ، ولا يزال يطفي نور الايمان ، حتّى يصير ريناً قطعا ، وإذا جاءت سكرات الموت وأيقن فراق الدنيا المحبوبة ، واستشعر انّ ذلك من الله يخشى ان يؤثّر في باطنه حبّ الدنيا . وألم فراقها ، بحيث ينكر تقدير الله لذلك ، بل يتبدّل الحبّ الضعيف بالبغض ، فإن ختم له في تلك اللّحظة ، مات مبغضاً لله ، وهذه الخاتمة اسوء من الأولى ، هذا وقد ورد في بعض المعاصي أيضاً كتارك الحجّ مثلا ، أن يموت (٣) يهوديّاً ، أو نصرانيّاً ، وهذا

---

(١) كما في اكمال الدين للصدوق عليه الرحمة على ما نقل .

(٢) يعني البحث في علم الكلام لأغلب الناس ليس حسناً ، لأن اغلب مباحثها مطالب قشرية لا واقع لها ، فيظن الجاهل ان تلك المطالب حق ، فاذا عاين عالم البرزخ ، او غيرها من العوالم عند الموت ، فيرى خلاف ذلك فينكرها فيختم له بسوء العاقبة نعوذ بالله منه .

(٣) كما في الوسائل نقلاً عن كتاب المعتبر للمحقق الحلي (ره) عن النبي صلى الله عليه وآله .

قال صلى الله عليه وآله : من مات ولم يحج : فلا عليه ان يموت يهودياً او نصرانياً .

بالخاصية .

وامّا سبب سوء الخاتمة بالفسق والعصيان ، فهو ان يكون ايمانه قويّاً أيضاً ، ولكن يكون مع ذلك مقارفاً للذنوب ، ومنهمكاً في الشّهوات ، فيصير سبباً لان يتمثّل ما يشتهيه عند اضطراب الرّوح ، وضعف العقل ، ويميل إليه ، ويقبض عليه ، وهو راغب إلى معصية الله ، فيصير محجوباً عن الله ويصير ذلك سبباً للعذاب ، ولكن دون عذاب الأوّلين ، ويكون موقناً بقدر غلبة ظلمة المعاصي على سرّ القلب ، وهذا الّذي يرجى له العفو والمغفرة ، والشفاعة ، وكثير الذكر بالله وباليوم الآخر ، وكثير المواظبة على الطاعات بعيد من هذه الخطرة ، لأنّ القلب عند ضعفه ، وميله إلى الباطن يتصوّر فيه ما غلب عليه ذكره سابقاً ، وارتسخ فيه محبّته ، ويتمثّل له ذلك فيشتغل به جوارحه .

كما حكى انّ بقّالاً كان يموت ، ويلقّنه أهله عند موته بالشهادتين وهو يقول : ستّة ، خمسة ، أربعة ، كلّما يذكر الملقّن له الشهادتين ، وهو مشغول بذكر هذه الألفاظ الّتي أكثر التلفّظ بها في حياته ، حتّى رسخ في قلبه ، قيل : وأنّما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الّذي قال رسول الله (ص) : انّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنّة خمسين سنة ، حتّى لا يبقى بينه وبين الجنّة إلا فواق [1] ناقة ، فيختم له بما سبق به الكتاب ولهذا أعظم خوف العارفين من ذلك ، لأنّ الانسان لو أراد أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين ، وأحوال العبادات والطاعات ، مر عليه ذلك ، وإن كان للمواظبة على الصلاح والعبادات مدخلا فيه انتهى ، ولا يذهب عليك انّ العمل خمسين سنة بعمل أهل الجنّة ، ليس المراد منه العمل الخالص ، بل مطلق العمل فانّ العمل الخالص في هذه المدّة ، ينجى قطعاً عن سوء الخاتمة ، بل

---

(١) الفواق بالفتح والضم : ما بين الحلبتين من الوقت .
وقيل : ما بين فتح يد الحالب وقبضها ، ومنه قولهم : امهلني قدر فواق حالب .

ليس سوء الخاتمة إلا من آثار عدم الاخلاص في العبوديّة ، نظير عبادة إبليس ، وخوف العارفين إنّما هو من جهة الصدق ، والاخلاص ، باحتمال أن يكونوا مقصّرين في الاخلاص مشتبهين في اعتقادهم الاخلاص .

فصل : في الرجاء وحقيقته .

أقول : حقيقة الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار المحبوب ، وله اطلاقان :

الأوّل : العام يطلق على مجرّد الارتياح المذكور ، سواء كان غروراً ، وحماقة أو تمنّياً ، ورجاء خاصّاً ، والاطلاق الثاني في مقابل الغرور ، والحماقة والتمنّي ، وهو الارتياح للمحبوب ، إذا كان احتمال وجوده قريباً ، وهو لا يكون إلاّ إذا كان الباقي من أسباب وجوده قليلا ، وشيئاً قريب الحصول للأكثر ، أو شيئاً بعيد الحصول ، وأمّا إذا كان احتمال الوجود بعيداً غاية البعد ، بحيث لا ينتظره العقلاء ، فاسم الغرور والحمق أصدق عليه من اسم الرجاء ، وأمّا اذا كان احتمال وجوده عند الرّجل من جهة عدم علمه بوجود الأسباب ، أو عدمها أو قربها أو بعدها ، فهو التمنّي ، وميزانُ معرفة درجة الاحتمال ، أن يكون هذا الاحتمال مؤثّراً في طلب المرجو ، ويصدقه العقلاء فانّ كلّ ما يريده الانسان ، ويطلبه لها أسباب كثيرة مختلفة ، وقد يكون بعضها في اختياره ، وقد لا يكون ، والمطلوبات الشرعيّة من قبيل الأوّل ، وحينئذ نقول : الموجود الّذي لم يوجد بعد ، امّا ان يكون اغلب اسبابه الّتي خارجة عن قدرة المكلّف موجودة ، وكان الباقي قريب الحصول ، أم لا ، وأيضاً امّا أن يعلم المكلّف بذلك ، أم لا وفي الصور كلّها امّا ان يأخذ في تحصيل مقدماته الّتي بيده أم لا فحصل ثمانية معانٍ :

الأوّل : ما يكون اغلب الأسباب موجوداً والباقي قريب الحصول

والمكلّف يعلم بـه ، ويأخـذ في تحصيل مقـدمـاتـه التي بيـده ، **فهـذا هـو** الراجي الصادق في رجائه .

والثـاني : وهـو الّـذي كـذلـك ، ولكن لا يعلم بـه المكلّف ، ومـع ذلك يأخذ في المقدّمات ، وهو المتمنّى .

والثـالث : هـو الّـذي كـذلـك ، وهـو يعلم ، ولكنْ لا يـأخـذ في مقـدّماتـه الّتي بيده ، وهـو المضيّع المهمـل ، وله رجـاء كاذب ، فـانّ من رجى شيئاً طلبه .

والـرابـع : ان لا يكـون الأغلب مـوجـوداً ، وكـان البـاقي بعيـد الحصول ، وهو يعلم بـذلك ، ومـع ذلك يـأخذ في تحصيـل المقدّمـات ، فهو الأحمق .

والخـامس : أن يكـون كـذلـك ، ولكن لا يعلم بـه ، ويـأخـذ في التحصيل ، وهذا أيضاً كالثاني .

والسادس : أن يكون كذلك ، وهـو يعلم ، ولا يأخـذ ، وهو يدّعـي الـرجاء وهـذا مغرور ، والّـذي لا يعلم بكيفيّة الأسبـاب ، ولا يأخـذ سـواء كان الباقي قريب الحصول ، أو بعيده ، فإن ادّعى الرجاء فـرجائـه كاذب ، وهـو في ادّعائـه مغرور ، والسّـر في الحكم بكذب الـرجاء في صـور عـدم اشتغـال المكلّف بتحصيل المقـدّمات الّتي بيـده ، هو انّ الـرجاء الصـادق عبـارة عن علم يصيـر سبباً لصفـة تؤثـر في فعـل ، فـإذا لم يؤثـر العلم في الصفة ، لا يطلق عليـه الرجـاء اصلا ، وإذا أثّـر في الصفة ، ولكنّ الصفـة لم تؤثّر أثرهـا المتوقّـع منها ، يكـون وجودهـا كعدمهـا ، فيطلق عليهـا انّها كاذبة .

بيان ذلك :انّ الرجاء لا يكـون إلا بانتـظار الشيء المحبوب للراجي ، فإذا وجد المحبّة ، وجد الطلب لأنّ الانسان طـالب للخير والسعـادة ، وإذا وجد الطلب لا بدّ أن يوجد الارادة والعزم ، فيتحـرّك العضلات ، ويتحـرّك

الأعضاء نحو المطلوب ، وتحصيله ، ولذا ورد[1] من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه .

هذا وقد مثّل علماء الاخلاق مثالا ، للرجاء ، واخوانه بالبذر ، فانّ الانسان إذا القى حنطة جيّدةً مثلا ، في أرض صالحة ذاتاً وصفة ، وكانت في بلاد كثيرة الأمطار ، ثمّ امّده بالنقيّة ، وإصلاح الأرض ، وكلّما يحتاج إليه الزرع ، ثمّ جلس ينتظر ان يتفضّل خالق الأشياء من زرعه حنطة ، أضعاف ما زرعه من البذر كان هذا راجياً ، وصادقاً في الرجاء ، ولكن إذا ألقى شعيراً ، وانتظر حنطة ، أو ألقى في أرض سبخة غير صالحة ، وأرض لا يصل إليه الماء بالسوق ، أو بالمطر ، وجلس ينتظر زرعاً كاملاً صحيحاً ، هذا أحمق مغرور ، مثله فيما نحن فيه من ألقى حبّ الرّياء في القلب ، وانتظر ان يحصد نور العمل الخالص ، او قرء القرآن أو شيئاً من الذّكر والدعاء ، والمناجات ، ولكن قلبه مستغرق في ذكر الدنيا ، ومشغول بها ، وبهمومها ، أو قرئها بلقلقة اللّسان ، لا عن حضور القلب وهو ينتظر القبول ، او أن ينفتح له ابواب أسرار القرآن او يجد لذّة الذكر والمناجات ، وان القى بذره في أرض صالحة يصل إليها الماء من الأنهار ، ولكن تركها لا يتعاهد البذر ، ولا الأرض بتنقية وسوق ماء ، ونحوه جلس ينتظر الزرع الصحيح ، فهو كاذب في رجائه ومغرور في انتظاره لأنّ الانتظار للمحال العادي غرور ، وإذا ألقى البذر في أرض صالحة من جميع الجهات ، وأتى بجميع ما يصلحها للزرع ، ولكن لا ماء لها إلّا الأمطار ، وكان البلد من البلاد التي لا يعتاد فيها كثرة الأمطار ، فانتظر ان يجيء المطر في هذه السنة بخلاف السنين الماضية ، يسمّى ذلك تمنّياً ، ومثاله من الشرعيّات لمن يقوم أمثالنا من أبناء الدنيا

---

(١) كما في نهج البلاغة لمولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وكما في الكافي عن ابن ابي نجران عن أبي عبد الله عليه السلام ورواية علي بن محمد في باب الخوف والرجاء .

للتهجّد في لياليه ، ويتضرّع ويتباكى ، ويدعو الله أن يجعل قلبه متأثراً بوجدان لذّة المناجات ، ويقرء القرآن ويتدبّر ويتفهّم معانيه ، ولكن بقلب متلوّث بحبّ الدنيا ، وهو ينتظر أن يفهم أسراره هذا أيضا تمنّي ، ولكن ليس ممتنعا أن يأخذه نفحة من نفحات ربّه ، فيصل إلى امنيّته بسببها .

قال الغزالي : وقد علم أرباب القلوب ، إنّ الدّنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والايمان كالبذور فيه ، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض ومجرى حفر الأنهار ، وسياقة الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدنيا ، المستغرق بها كالأرض السبخة الّتي لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيامة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلّا ما زرع ، ولا ينمو زرع إلّا من بذر الايمان ، وقلّما ينفع ايمان مع خبث القلب ، وسوء اخلاقه كما لا ينمو زرع في أرض سبخة .

أقول : هذا التشبيه صريح قوله تعالى : ﴿ **ومن يرد حرث الدنيا نؤته منها ، ومن يرد حرث الآخرة نزد في حرثه** ﴾ وقوله (ص) : « الدنيا مزرعة الآخرة » ، وأمّا الدليل النقلي على نفي حقيقة الرجاء لمن لم يجاهد في سبيل الله قوله تعالى : ﴿ **والّذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله** ﴾ حيث حصر الرجاء فيهم ، وفي سورة الشمس ، دلالة على عدم انتفاع الرجل إلا بالقلب المزكّى ، وقال رسول الله (ص) : فيما روى عنه الفريقان : « الأحمق من اتّبع نفسه هواها ، وتمنّى على الله الجنّة » ، قيل [1] للصادق (ع) إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي ، ويقولون نرجو ، فقال : « كذبوا ليسوا لنا بموال أولئك قوم ترجّحت بهم الأماني ، من رجا شيئاً عمل له ، ومن خاف شيئاً هرب منه » ، وقال[2] « لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو » .

---

(١) كما في الكافي في رواية علي بن محمد عن الصادق عليه السلام .

(٢) في الكافي ايضاً عن الحسن بن أبي سارة في باب الخوف والرجاء .

وليت شعري ما بالنا لا نشكّ في حمق من ألقى الشعير على أرضه وانتظر الحنطة ، ولكن منتظر ان يحصد من بذر النفاق محصول الإيمان والاخلاص ، والله تعالى يقول : ﴿ **ليس للإنسان إلا ما سعى ، وإنّ سعيه سوف يرى** ﴾ .

فإن قلت : إنّ الأخبار صريحة [١] في أنّ من ظنّ بالله خيراً الله يستحيي أن يحرمه من ذلك ، وانّ الله تعالى عند [٢] حسن ظنّ عبده المؤمن ، فانّ من عمل بالمعاصي وحسن ظنّه بالله انّه يغفره بل يعامله بكرم عفوه ، فيبدّل سيّئاته بأضعافها من الحسنات ، فمقتضى هذه الأخبار أنّ الله تعالى يعامله بما ظنّه من هذه المغفرة ، والعفو والكرم .

قلت: هو كذلك ، ولا منافات بينه وبين قوله تعالى : ﴿ **ان ليس للانسان إلا ما سعى** ﴾ ، لأنّ حسن الظنّ بالله بهذه الدرجة امر عظيم ، لا يمكن حصوله إلا بسعي بليغ ، وهو مقام من لا يرى في الوجود ضارّاً ، ولا نافعاً الا الله ويكون وثوقه بعناية الله اكثر من اعتقاده بتأثير الأسباب ، وهذا المقام لا يبلغ بالهوينا ، نعم دعواه كثير ، ولكن حقيقته لا يوجد إلا في الاوحدي من الاولياء ومن كان هذا حاله فعليه ان لا يخاف في الدنيا أحداً ، بل شيئاً من الأشياء ، ويثق بعناية الله في الامور الدنيويّة من خيراته ، وسعاداته أكثر منه بالاسباب الدنيويّة ، ومثل هذا المؤمن يكون وجود الاسباب وعدمه عنده سواء ، ويكون المدح والذمّ عنده سواء ، فأين هذا المقام ، فمن لا يثق بضمان الله لرزقه ، فيأكل الحرام ، ويقول الله كريم ، وأنا أقول : الله كريم ، ولكن قولك هذا كلمة حقّ يراد بها الباطل ، وأنت لست تعتقد بكرم الله بل ولا تعتقد بصدق الله وانّه لا يخونك ، وأنت مغرور غرّك بربّك الكريم عدوّك

---

(١) كما في الكافي باب حسن الظن بالله عن بريد بن معاوية وسيأتي الاشارة اليها ايضاً .

(٢) كما في الكافي ايضاً في رواية اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام .

الغـرور اللئيم ولو كنت معتقـداً بصـدق الله وكـرمـه كنت واثقـاً بضمـانه ، ووعده وقسمه ، حيث اقسم في كتـابه بـأنّ رزقك يصـل إليك ، ولم تـظلم أحـداً في أكل مـاله بـالحرام وإن شئت صـدق دعـواك ، فانـظر حالـك ، وقلبك ، وعملك في الوثـوق بكرمـه في محاويجـك الدنيـويّة ، فـاذا رأيت من قلبك وعملك تصديق هذه الدرجة من حسن الظنّ بربّك ، فـاقرّ عينـاً ، وهنيئـاً لك من مقـام سني يوصلك إلى منتهى آمـالك في الـدنيا والآخـرة ، وإيّاك ان ترضى بدرجة دون الغاية القصوى ، من درجات المقرّبين .

فصل : في أسباب الـرّجاء والأصـل فيها صفـاته الجمـاليّة ، قيـل : وهي أكثر من [1] صفات الجلال .

لا يقال : إن كان الأمر على ما وصفت ، فكيف يـزيد عـدّة الهالكين على الناجين .

لأنّا نقول : لا نسلّم ذلك ، فانّ نسبـة الملائكـة الرّوحـانيين بالنّسبـة إلى الثقلين ، الّـذين فيهم طبقـات الهـالكين كنسبـة البحـر إلى القـطرة ، فمثل هذه العوالم المظلمـة السفليّة ، مـع العوالم العـالية النـوريّة ، كمثـل خال في وجه تمثال لصاحب جمال .

وبالجملة الاصل في الرجاء ، انّ الشرّ والغضب وجودهمـا انّما هـو بـطفيـل وجـود الخيـر والـرحمـة ، وهـو أحـد معـاني سبقـة الـرحمـة على الغضب .

ثمّ انّ الاعتبار انّما يحكم بقـوّة الرجـاء ، وذلك لأنّ الإنسـان إذا نظر في معـاملة الله مع خلقـه في هذه الـدنيـا ، وكثـرة نعمـه الّتي لا تحصى ، وكثرة عنايته تعالى لـدعم اهمال شيء من مكمّـلاته ، ونـوافل عيشـه وزينته

---

(١) صفـات الجمال يـطلق على الصفـات الثبوتيـة ، وصفات الجـلال على السلبيـة سـواء كانت مصـرحة أم راجعـة اليها لبـاً ، مثل سبـوح وقدوس فـانها ليست في الـظاهـر سلبية ولكنها راجعة اليها لبا ، اذ معناها سلب النقايص عنه تعالى .

في بدنه ، ومتعلّقاته ، وأيضاً الأغلب على أهل هذه الدنيا الضيّقة المظلمة ، مع انّها ادون العوالم ، وأبعدها من الرحمة الالهيّة ، السلامة ، بحيث لا يتمنّى أهلها الموت ، فكيف بدار الحيوان الواسعة النوريّة .

وقد ورد انّ الله أنزل على هذه الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته فما يوجد في هذا العالم كلّها من هذا الجزء ، وإذا كان عالم الآخرة يضمّ الله تعالى هذا الجزء أيضاً على أصله ، ويعامل بهذه الرحمة الكاملة مع عبيده ، وكيف كان فقد ورد في الأخبار والآيات امور عظيمة لتقوية الرجاء .

امّا الآيات فمنها قوله تعالى : ﴿ **يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا مِن رحمةِ الله ، فإنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً ، إنّهُ هو الغفور الرّحيم** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **ولسوف يعطيك ربّك فترضى** ﴾ فإنّه «ص» لا يرضى بأن يعذّب الله أحداً من امّته .

وقوله : ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلاّ الله** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون** ﴾ .

وآية الصلاة .

وقوله تعالى : ﴿ **فأنذرتكم ناراً تلظّى لا يصليها إلاّ الأشقى الّذي كذّب وتولّى** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلك يخوّف الله به عباده** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتّقوا النار الّتي اعدّت للكافرين** ﴾ .

وقوله : ﴿ وذلك ظنّكم الّذي بربّكم ارديكم ﴾ .

أمّا الأخبار فعن الباقر (ع) قال : وجدنا في كتاب علي (ع) انّ رسول الله (ص) قال وهو في منبره : والّذي لا إله إلا هو ، ما اعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنّه بالله ورجائه له ، وحسن خلقه والكفّ عن اغتياب المؤمنين ، والّذي لا إله إلا هو ، لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار ، إلا بسوء ظنّه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، واغتيابه ، والّذي لا إله إلا هو ، لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن ، لأنّ الله كريم بيده الخيرات ، يستحيى أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به ظنّه ، ثمّ يخلف ظنّه ، ورجائه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه .

وعن النبيّ (ص) يقول الله عزّ وجلّ : «أنا عند ظنّ عبدي ، فليظن ما شاء »[1] .

وقال : لا يموتنّ [2] أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله .

وقال [3] رسول الله (ص) : قال الله : لا يتّكل العاملون لي على أعمالهم الّتي يعملونها لثوابي ، فانّهم لو اجتهدوا ، وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي ، فيمايطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناني ، ورفيع الدرجات العلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا . فإنّ رحمتي عند ذلك تدركهم ، ومنّتي تبلغهم رضواني ، ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإنّي أنا الله الرحمن الرّحيم ،

---

(١) وهذا المضمون كثير في الروايات .

(٢) لما في روضة الواعظين .

(٣) في الكافي باب حسن الظن عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام .

وبذلك تسمّيت .

وبـالجملة الّذي يفهم من الأخبـار انّ العبـد إذا اذنب ، فهـو لا يخلو من أن ينـدم منه أم لا ، وإذا نـدم يكون كفّـارة لذنبـه ، وإن لم ينـدم فـإن اتبعـه بحسنـة يكـون كفّـارة لـه ، وإن لم يتبعـه بحسنـة ، فـإن لم تكن من الكبـائر يكـون الصلاة الخمس كفّـارة لما يقـع بينها ، وإن لم تكن صـلاته صلاة مكفّرة ، فإن ابتلاء الله بعقابه في الدنيا بـاهداء بـلاء ومصيبة إليـه في دنيـاه ، تطهّـره ذلـك وإلا فـاستغفـار المـلائكـة من بعـده ، وإلا فشفـاعـة المؤمنين ، وإلا فشفـاعة النبيّ (ص) والأئمّـة (ع) من بعده ، وإلا فـرحمـة الله الـواسعة ، وإن بقي بعـد ذلك شيء ، وحـرم من ذلك كلّه فيـطهّره الله بشـدّة الموت ، وإن لم يـطهر فبعـذاب القبر ، وإن لم يـطهّر فبأهوال يـوم القيـامـة ، وإلا فبعــذاب جهنّم ، هـذا كلّه تفصيــل ميـزان الله ، وزاد في السوم على نفسه بـأن جعل الثـواب على الحسنة عشـرة ، والعقاب للسيّئـة بـواحدة ، هـذا أيضـاً غيـر مـا وعـد من التضعيف لاعمـال بعض الأزمنـة الخـاصّة ، مثـل ليلة القدر ، وغيـرها ، والأمكنـة الخاصّـة ، مثـل مسجـد الحرام ، ومسجد الرّسول ، والمشاهد المشـرّفة ، ونحـوها ، وإن شئت أن تعـرف قدر مـا تلوت عليك في هـذه الكلمات ، فـراجـع الى مـا ورد في تفصيل كلّ واحد منها في الأخبار .

وإذا تـأمّلت فيهـا على التفصيـل ، تجـدك تشـكّ في نجـاة إبليس ، ولكن الخـوف الحقيقي لـلاكيــاس من ضعف الايمـان ، وســوء الأعمـال المؤدّية لسوء الخاتمة ، والموت بالكفـر والجحود ، لأنّ مـا ذكرنـاه كلّه لمن يمـوت مؤمنـاً ، وإلا فللمؤمن عنـد الله قـدر من القـدر ينجيـه ، لا محــالـة بشيء من هذه الأسباب العظيمة ، والحمـد لله كما حمـد الله لنفسه ، ربّنـا أنت أثنيت على نفسك ، ونحن لا نحصى ثناء عليك .

ويدلّك على عـظمة قـدر المؤمن ما في حـديث الأعرابي ، من قـول

---

(١) هو رواية اسماعيل بن بزيغ الذي تقدمت الاشارة اليه قبيل ذلـك عن الكافي .

النبي (ص) إنّ الله شرّف الكعبة وعظّمها ، ولو أنّ عبداً هدمها حجراً حجراً ، ثمّ أحرقها ما بلغ جرم من استخفّ بوليّ من أولياء الله ، قال الأعرابيّ : ومن أولياء الله ؟ قال : المؤمنون كلّهم أولياء الله .

وفيه أيضاً قال : يا رسول الله من يلي الحساب ؟ قال : الله ، قال : هو بنفسه ؟ قال : نعم فتبسّم الأعرابي ، فقال (ص) : لم ضحكت يا أعرابي ؟ قال : إنّ الكريم إذا قدر عفى ، وإذا حاسب سامح ، فقال النبيّ (ص) : صدق الأعرابيّ الا لا كريم أكرم من الله ، هو أكرم الأكرمين ، ثمّ قال : فقه الأعرابيّ .

وبالجملة قد ورد الآيات ، والأخبار مختلفة يقوّي الرّجاء ، ولكن علماء الأخلاق من جهة انّ الغالب على النّاس ، ان إذا سمعوا شيئاً منها يجعلونه سبباً لترك العمل ، وترك المبالات في الدّين ، ولا يؤثر فيهم الرّجاء الواقعي الّذي هو مشوّق ومرغّب في الطلب ، كما سمعته يظنّون بذكرها ولكن الاولى الاقتداء في ذلك بأنبياء الله (ع) في ضبطها في الشريعة ، وعدم إخفائها كليّة ، ولكن قد يعاملون مع الناس في الموارد الجزئيّة هذه المعاملة مثلاً إذا رأوا من عليه الكسل ، وعدم المبالات بأمر دينه كعامّة النّاس ، يكثرون عنده ذكر أسباب الخوف ، ليسوقوه بسوط الله الى الجادّة القويمة ، وإن رأوا أحياناً من غلب عليه الخوف ، وقلّ رجاؤه بحيث مال إلى القنوط يكثرون عليه من ذكر آيات الرحمة ، وأسباب الرجاء ، ويقودونه بذلك عن الميل إلى القنوط الّذي فيه هلاكه إلى الطريقة الوسطى ، والمحجة البيضاء ، فانّ الصراط المستقيم الّذي أنعم الله به على عباده ، هو أن يكون الخوف والرجاء فيهم متساويين إلى قرب موته ، فالاولى ان يترك حديث الخوف ، ويشتغل بأخبار الرجاء ليزيده ذلك شوق اللّقاء ، ولا يكدّره الخوف وهو ليس بنفسه من الصفات الجميلة ، ولكنّه مرغوب لفائدة منع النفس عن الشهوات والمعاصي ، وإذا تمّ وقت العمل فلا يبقى فيه حسن من جهة تكديره شوق اللقاء ، ولذّة الانس يكون مضرّاً فرغب عنه ، ولذلك قيل : انّ العمل على

الرجاء اعلى منه على الخوف ، لأنّ الرجاء يزيد في الحبّ ، ويقويّ لذّة الانس ، نعم لأهل المحبّة أيضاً خوف أشدّ من خوف سائر الأصناف ، وهو خوف الوقوف ، والاعراض ، والحجاب ، ولكنّه خوف كامن لا يكدّر اشعار أسبابه لذّة المؤانسة ، وقلّ ما يحتاجون إليه أهله ، وقد يبليهم بذلك ما يظهر منهم من القلق ، والاضطراب على غيرهم من السالكين ، ويباهي بهم ملائكة المقرّبين .

خاتمة : قد ورد في الأخبار : انّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمّنهم من مكر الله فليخلط الوعّاظ في وعظهم من ذكر أسباب كليهما ، ولكن من جهة انّ الغالب على العامّة الأمن من مكر الله وسخطه ، فليكثر من اسباب الخوف ، ولا يلتفت لشكوى المستمعين اكثرت من التخويف ، وليلاحظ هو بنفسه احوالهم ، لا يدرون ما الخوف والقنوط والرجاء ، والامن ، وشكواهم إنّما هو ممّا يجدونه من الم أوّل درجة الخوف ، فيحسبونه قنوطاً وإلا فكيف لا يرى فيهم أثر الخوف ، وكيف تجاوزوا الخوف ، وبلغوا القنوط ولم يباشروا به ، أو جاز لهم الطفرة ، فانّ من لم يخف قط خوفاً يمنعه عن المعصية ، كيف يدّعي شدّة الخوف ، وتجاوزه عن حد الاعتدال إلى القنوط بل ليس قنوطهم ومنهم إلّا من جهة انتفاء الموضوع في قلوبهم ، فانّ القنوط تجاوز الخوف عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي ان يعتقد مخوفاً ، ويتذكّر شدّته وبأسه ، ثمّ يغلب ألم احتراقه في القلب ، بحيث ييأس عن النجاة منه وأين لأهل الدنيا والمشعوفين بحبّها ، والمنهمكين في شهواتها ، والمشغولين على التطالب بحطامها من اعتقاد صادق ، وإن وجد فأين لهم من ذكر الآخرة وشدّة عذابها ، فضلا عن غيبة ألم الخوف بحيث يتجاوز إلى حدّ القنوط ، بل ان وجد فيهم يأس من رحمة الله ، فهو من جهة عدم صدق اعتقادهم بالله ، وشدّة سخطه ، كما انّ الأمن عبارة عن تجاوز الرّجاء عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي ان يعتقد في الله تعالى

عناية ورحمة واسعة ، ويغلب رجائه بحيث ينسى احتمال التخلّف عنه ، فينقلب الرجاء الى الأمن، واين لعشّاق الدنيا هذا الاعتقاد الصادق ثمّ اين في قلوبهم محل لذكر الله ورحمته، فضلاً عن غيبة ذلك حتّى ينسى جانب الخلاف، فينقلب الى الأمن، بل أمنهم ايضاً مثل يأسهم منشأه عدم صدق عقائدهم بالله، ورحمته ، وفضله وهبته ، فالسبب في شكواهم ليس إلّا من جهة أنّ مذاكرة أسباب الخوف يولم القلب ، ولو في الجملة ، والالم مكروه بالذّات ، والانسان مجبول بالفرار منه ، والنفس والشيطان يريدان دفع الم الخوف ، لكيلا ينغّص عليه عيشه وشغله بالدنيا ، فيدلسان عليه الامر ، فيرى انّ خوفه تجاوز عن الحدّ ، ونعم ما كان يقول في جواب هذه الشكوى بعض المعاصرين «ره» كان يقول : لا تخف فانّك لا تخاف قطعا ، ثمّ إنّ ما ذكرنا من مرجوحيّة جانب الترجية لمن ابتلى بوعظ العامّة ، انّما هو في حقّ من يرجيّ بالاسباب الصادقة الواردة في الشرع ، وامّا من يرجى الناس بالاسباب الكاذبة ، ويفتري على الله فهم شياطين الناس ، وقطّاع طريق السالكين الى الله ، وهم اولياء الشياطين ، قد دلسوا الامر ، وغشوا للمسلمين في التلبيس بلباس أهل العلم ، والوعظ، والاشتغال بصورة الوعظ ، فيحرّفون الكلم عن مواضعه ، ويفسّرون الآيات والاخبار من عند انفسهم ، مثلا يقول الرّياء في الرثاء معفوّ ، ويستدلّ لذلك باخبار التباكي ، ثمّ يذكر ، ويرثي برثاء كاذب ، ويصرّ على المستمعين ، ويشوّقهم الى الصّيحة والتباكي ثم يقسم بالأقسام العظيمة ، والايمان المؤكّدة ، انّ أهل المجلس قد غفرت لهم ذنوبهم ، وهكذا يذكر شيئاً من العبادات من صلاة وصوم ، يقول : صل مثلا في هذه اللّيلة هذه الصلاة ، ثمّ اذهب حيث شئت ، وقد غفر لك ، والعاصي المسكين يغترّ بقوله ، ويستريح قلبه من الخوف الكامن في قلبه بمقتضى ايمانه ، فيشتاق نفسه إلى حضور مجلس هذا الرجل من جهة ارتياح قلبه عن الم خوف الله ، وهو يرى انّه مجلس ذكر وعلم ، وله في حضور هذا المجلس مثوبات مجالس العلم مثلا ، فيجلس فيه ساعة

ويتخيّـل انّـه اصـاب أجر مـائـة شهيـد ، والعيـاذ بـالله من الضـلال ، والاضلال ، وليكن هذا آخر ما نـورده في الخوف والـرجاء ، ثمّ إنّى أتقدَّم بـالخوف ، واختم بـالـرجـاء تفـألاً بـأن يختم الله لي بـزيـادة الـرّجـاء على الخوف .

فصـل : في القيـام ، وهـو مسؤول بين يـدي الله للخـدمـة والعبـادة واظهار العبوديّة بالقلب والجـوارح كلّها ، وكمـال قيام البـدن أن يكون على طمأنينة وسكون وهيبة وحياء ، مطاطاً رأسه ناظراً الى مـوضع سجـوده مقيماً نحره وصلبه مرسلا يديه على فخذيه ، غير عابث بهمـا ، ولا مشتغل بـرفع رجليـه ، ومستقبلا بـرؤوس اصابـع رجليه إلى القبلة ، وصـافا بهمـا إليها ، وفـاصلا بينهمـا باصبـع إلى شبر ، وثـابتاً عليهمـا ، وكمال مثـول القلب أن يكونِ ذاكراً لقـوله تعـالى الّذي يـريك حين تقـوم ، وأن يكون سكـون عليه تحت الاوامر الالهيّة وخجـل واستحياء من استشعـار القصور ، والتقصيـر ، في همّتـه لاداء حق العبوديّـة بقـدر الامكـان ، ومشيـراً بـارسـال اليـدين ، وصفّ القـدمين للكـون في مقـام الخـدمـة ، واقفـاً على قـدم الخـوف والرجاء ، وقاصداً باطراق الـرأس التبري من الكبـر والترأس ، وليكن ذاكـر الهول المطّلع ، وليقدر في نفسه لا محـالة انّـه حاضـر بين يدي واحـد من ملوك الدنيا ، خائنا مقصّراً ، فكيف يكـون حالـه ، ويكون بشـراشر وجـوده ناظـرا إلى ما يصـدر عنه من عتـاب ، وخطاب ، وردّ وقبـول ، وكيف تهدء اطرافه ، وتسكن جـوارحه ، وإذا لـم تسمـح نفسه العـوّاد باللّعب والعبث ، واللهـو عن عـظايم الامـور ، وحقـائق الـعزائم بـالجـد في الخشـوع ، والاستكـانة بقـدر حضـور هـذا الملك ، عنـد حضـور ملك الملوك تعـالى جلّـت عظمته، فعليـه ان يعاتب نفسـه ، ويقول : انـا استحيي يا خبيث أن يكون هو جلّ جلاله عندك اهون من عبد مملوك لا يقـدر لنفسه نفعـاً ، ولا ضـرّا ولا مـوتـاً ، ولا حيـاة ولا نشـوراً ، والى مـا تسلك بي مسـالـك المهالك ، وتجعلني عنـد مالكي وسيّـدي اهون هـالك ، فـان لـم يكن لك

الحيـاء ، ولم تنفعـل من الخــطاء والجفـاء فعليــك ان تخـاف من خــطر مقامك ، وسوء حالك لقبيح فعـالك ، وقـد ورد [١] في الروايـة قال رسـول الله : أمـا يخاف من يحـوّل وجهه في الصـلاة ، ان يحوّل الله وجهـه وجـه حمار .

قـال بعض المحقّقين المـراد أنّه امــا يخـاف من يلتفت عن الله ، وعـظمته في حـال الصلاة ، ان يـديم الله غفلته ، فيكـون وجه قلبـه كوجـه قلب الحمار .

فبالجملة هول المطلع أمر عظيم .

روي أنّ الحسن [٢] (ع) كان يبكي عند ذكر هول المطّلع .

روي عنـه (ع) أيضاً انّـه بكى عند وفـاته ، وسـأل عن بكائـه قـال : ابكي من هول المطّلع .

فصل : في النيّة ، وهي قصـد العبادة لكـونها محبـوبة لنفسهـا لله أو خوفاً أو طمعاً دينيّاً أو دنيويّاً ، والـواجب أن يكون خـالصة لـواحد من هـذه الـوجوه مـع التعيين او التعيّن ، والاحـوط الاوّل إلاّ فيمـا ورد فيـه النصّ ، كصـوم شهر رمضـان ، ولا يضـرّ تخلّف بعض الصفـات اذا عين من بعض الجهــات الأخـرى ، مثــلا إذا أمــر المــولى بصــلاة ركعتين في الــوقت الفـلاني ، او المكـاني الفــلاني ، واوجبهمـا فــاتى بهـا المكلّف بقصــد الاستحباب اشتباها لا يضر ، وكمـا اذا اشتبه عليـه القضاء بـالاداء ، ففعل أحـدهما مكـان الآخر لا يضـرّه ، وإذا وجد قصـد المحبوبيّـة فلا يضـره أن يكون الداعي اليهـا فائـدة دنيويّـة ، ولو من بـاب الخاصيّـة ، والعبرة بهـذا القصد ، ولو لم يخطر بالبال .

---

(١) نقله الشهيد (ره) في شرح اللمعة وغيره في غيره ويبالى انه فسره بذلك .

(٢) أورده في الارشاد وغيره .

ثمّ انّ القصد في العبادة النيّة والاخلاص ، والدليل عليهما الآيات والاخبار .

كقوله تعالى : ﴿ **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الا لله الدين الخالص** ﴾ .

وقوله : ﴿ **من كان يرجو لقاء ربّه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً** ﴾ وقول [1] النبي (ص) : إنّما الاعمال بالنيّات .

وقوله (ع) : لكلّ امرء ما نوى .

وقوله (ع) [2] ومن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وإنّما قال ذلك في المهاجرة الى الجهاد ، وصار اصلا في جميع العبادات .

قيل أن هذا الخبر عند أصحاب الحديث من المتواتر ، وهو أوّل ما يعلمونه اولادهم ، ويقولون : انّه نصف العلم .

وما روي [3] عن النبيّ (ص) : يقول الله تعالى : من عمل عملا اشرك فيه غيري ، فهو له كلّه ، وانا منه بريء وأنا اغنى الاغنياء عن الشرك .

---

(١) رواه في الوسائل في باب وجوب النية في العبارة وهي جزء من الرواية التي رواه في البحار عن منية المريد .

(٢) رواه في البحار عن كتاب منية المريد للشهيد (ره) ، وهي رواية طويلة نفيسة نقلها مختصراً .

(٣) رواه في البحار عن مسلم في الصحيح ، ولكن العبارة هكذا : روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الله عز وجل : انا اغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً اشرك فيه غيري ، فأنا منه بريء ، فهو الذي اشرك .

وقول [1] الصادق (ع) : قال الله تعالى : أنا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل ، لم اقبله إلّا ما كان خالصاً لي .

ومجمل القول في النيّة انّ الصورة الواحدة لعمل واحد ، لا يشرك فيها حفء مختلفة ، لا ميز لها الا بالمقصود .

مثلا صورة الانحناء ، إنّما يشترك فيها التعظيم ، والاستبراء ، والتمثيل والتعليم ، والرّياء ، وقد يكون لمجرّد أخذ شيء من السفل ، أو وضعه فيه ، ومرادنا من القصد الباعث للعمل ، فان كان الباعث للانحناء عظمة المولى ، يسمّى ذلك عبادة ، وله حكمها ، بخلاف غيرها من الاقسام المختلفة ، فلا يصدق عليها العبادة ، بل بعضها ضدّ العبادة .

وهكذا القول في العبادة فانها ايضا قد يكون للصنم ، وقد يكون لملك من الملوك ، وقد يكون لله .

وهكذا العبادة لله قد يكون لرغبة أو رهبة ، أو تعظيم أو محبّة ، أو لكونه اهلاله ، والرغبة ، والرّهبة ايضا ، قد يتعلّق بأمر دينيّ ، أو دنيويّ ، وايضاً قد يشترك في الباعث للعمل عبادة الله وشيء من الامور المذكورة غير الاضداد ، او غير ذلك من المباحات والمستحبات ، فان كان الشريك من المستحبّات ، كما إذا سلّم وقصد به افشاء السنة ، وصلة الرّحم وتعظيم المؤمن ، فهو وجميع ما ذكر من وجوه عبادة الله فهو صحيح لا محالة ، وأمّا أن كان الشريك من المباحات كقصد التبريد في الوضوء مثلا ، فان كان على وجه التبعية والتقويّة ، لا على وجه العليّة ، فالظاهر إنّه غير مضرّ ، وإن كان على الوجه العليّة التامّة ، أو كان جزء العلّة فهو مشكل ، ويجب فيه الاحتياط ، وأمّا إذا كان الشريك رياء او سمعة ،او عبادة أحد دون الله ،فهو باطل مطلقاً ،سواء كان في ابتداء النيّة قبل العمل ، او في الاثناء ،

---

(١) رواه في الوسائل ايضاً في باب وجوب النية في العبادة .

والمتأخر منه حرام على الظاهر ، ومحبط للاجر لما ما مضى من اخبار الشريك وآياتها ، وغيرها من اخبار الشيعة ، ولا تصغ الى قول الغزالي في هذا الباب ، من كون عبادة من اشرك الغير في نيّته ذات أجر ، ووزر كلّ بحسب قصده ، فان زاد قصد القربة على قصد الغير يترجّح جانب الثواب بقدر الزيادة ، فانّ اخبار أهل بيت الوحي يرده ، وأهل البيت أدرى بما في البيت وهكذا قول من ذهب منا إلى بطلان عبادة من تعبد من خوف النار ، او لدخول الجنّة فأنّه أيضا خال عن التحقيق ، والعجب من قائله كيف ذهب إلى هذا القول ، وهو منصوص على جوازه ، بل العبادة الخالصة من الخوف ، والرغبة الاخرويتين ، غير ممكنة لاغلب الناس ، بل جلّهم إلاّ من شذّ من أهل المعرفة الكاملين ، بل ربّما يتعبّد المقرّبون أيضاً من خوف النار ، كما يشهد بعض المناجات الواردة عن الأنبياء ، والاوصياء صلوات الله على نبيّنا ، واوصيائه وعليهم أجمعين والسرّ في ذلك إنّ ما يشاهد من أحوالهم ، ويدلّ عليه أخبارهم الّتي لا ريب فيها ، انّ احوالهم مختلفة بحسب التجلّيات الاسمائيّة ، بمقتضى الحكمة الالهيّة والعناية الربّانيّة ، والّذي لا يعرضه الاحوال هو الذّات المنزّه عن جميع الصفات والحالات ، والدليل على اختلاف احوالهم يعرف لمن تأمل في آثارهم من ظهور الخوف الشديد ، والرّجاء العظيم ، والقدرة والعجز ، والاخبار عمّا يأتي ، والتحيّر فيما حضر ، والعلم بما كان ويكون ، وعدم العلم وقوله (ص) كلّميني يا حميرا ، وظهور بعض الحالات عند نزول الوحي .

وبالجملة كان أمير المؤمنين (ع) يقول تارة : انا قسيم الجنّة والنّار ، وتارة يغشى عليه من ذكر النّار ، ويقول : آه من نار تنضج الاكباد والكلى آه من نار نزاعة للشوى ، ويخر مغشيّا عليه .

وأيضا كان في بعض الدرجات يقترض من اليهود درهما وتارة يصيّر التراب فضّة وذهباً ، وكيف كان لا مجال لتوهّم أحد من النّاس لعدم

جواز التعبّد من خوف النّار ، ورجاء الجنّة ، فضلا عن أهل العلم ، فضلا عن مثل رئيسهم وشيخهم آية الله شيخنا العلّامة الحلّي القائل بهذا القول ، ولكن أمثال هذه السقطات من هؤلاء الاجلة عبرة للمعتبرين ، ورحمة من ربّ العالمين لعباده المؤمنين لئلّا يسكن أحد بعلمه وعقله أو غيرهما من فضائله ، ويرى نفسه وجميع نعم الله عنده في قبضة خالقها ومالكها ، وهو لا يقدر لنفسه نفعاً ولا ضرّا ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، ولو كان ذلك غير جائز لما صحّ لاغلب المؤمنين ، ولا جاز لهم شيء من العبادة ، بل ولا يكون ذلك إلّا بعد الوصول إلى معارج المقرّبين العارفين بالله ، وباسمائه وصفاته الّذين يرون الجنّة والنّار صورتين لرحمته وغضبه ، نعم التعبّد لخوف النار وطمع الجنّة ، أو لشيء من الاشياء عبادة العبيد والاجراء ، وامّا الاحرار والاولياء فلهم مع معبودهم حالات لا يلتفتون فيها إلى شيء ممّا سواه ، حتّى أنفسهم بل ولا الى القرب والبعد ، فضلا عن الجنّة والنار هذا شيء ما ورائه شيء ، ولكن دونه سائر مقامات المخلصين ، ومقاصد المجاهدين في الله والمراقبة لاعمالهم ، وآفات أنفسهم على درجاتهم المتفاضلة ، فاوّل درجتها أن يكون العبادة خالصة من وجوه الفساد الشرعي المبطل للعمل ، أو المحبط للأجر ، وهو اخلاص العمل عن شوائب الرياء ، والسمعة ، والشرك الخفي ،ومهما بقي للرجل شيء من حبّ المدح ، وبغض الذّم فلا اطمئنان له بالخلاص عن جميع وجوه هذا الشرك ، وهو خفي واخفى ، وقد ورد فيه انّه اخفى من اثر دبيب النّمل ، في اللّيلة الظلماء على الصخرة الصمّاء .

ومن كواشفها ان يزيد نشاط الرجل اذا رآه أحد للعبادة ، لا اقول يزيد في عبادته اذا رآه أحد ، بل اقول يزيد نشاطه الواقعي عند رؤية الناس .

ومنها ان يستريح قلبه ويستلذّ روحه اذا ظهرت عباداته المخفيّة كذا قيل .

وقيل : أن من كواشفها أيضاً أن يرى لنفسه الفضل على غيره ممّن لم يعمل عمله ، وأن يتوقّع من النّاس الاكرام ، والمسامحة في المعاملات .

وحكى عن بعض السادات الاجلاء أنّه قضى صلاة ثلاثين سنة ، لأنّه كان يصلّي في هذه المدة صلاته مع الجماعة في الصف الاوّل ، وتأخّر يوماً ففاته الصف الاوّل ، ووجد في نفسه خجلة ، وحياء من النّاظرين ، واستكشف من ذلك الخجل انّه كان فيما صلاّه في الصف الاوّل عند النّاس سروراً وراحة للنفس ، فقضى جميع ما صلّى في تلك المدّة .

ومن الاخلاص ان يخلص العمل عن سائر القصود المباحة ، ولو كان تبعا لقصد العبادة مثل ما يوصف من مجاوري النجف الاشرف ، انّه كان في أيّام العاشورا في البلدة المباركة مجالس قائمة لعزاء الامام الشهيد ارواح العالمين فداه ، وكنت أرى نفسي مائلة الى واحدة من هذه المجالس دون غيرها ، ولم افهم وجه الترجيح ، وعلمت لرغبتي لهذا المجلس ان للنفس فيه مدخلا ، وتفكّرت ولم ار شيئاً زائداً فيه من حظوظ النفس ليس في غيره ، ثمّ بالغت في التفكّر ، فظهر لي بعد اللّتيا واللّتي ، انّ اختياري لهذا المجلس لم يكن خالصاً من جميع جهات حظوظ النفس ، وكيف كان للاخلاص مراتب ، لا يمكن تحصيلها الا لمن هداه الله من فضله ، واعطاه الحكمة وجعلها نورا وشفاء لصدره وبصّره حيل نفسه الغرور ومداخل عدوّه الكفور الشرور ، وايّده بجنوده وسدّده حتّى خلص عمله عن الآفات كلّها ، وآخر درجاتها أن يكون العمل خالصاً من شوب جميع الرغبات ، حتّى الاخرويّة منها ويكون العبادة خالصة لوجه الله ، وباعثها حبّه تعالى ، وكونه اهلاله ، ولذا [1]

---

(١) لم نعثر عليه .

ورد في حقيقتـه ان تقـول ربّي الله ثمّ تستقيم كمـا امـرت وتعمـل لله لا تحبّ أن تحمد عليه .

وروى [1] عن أميـر المؤمنين (ع) قـال : طـوبى لـمن اخلص لله العبـادة والدّعـاء ، ولم يشغل قلبـه بما تـرى عيناه ، ولم ينس ذكـر الله بما يسمع اذناه .

والقـول البـالـغ في ذلـك مـا في المصبـاح ، قـال الصـادق (ع) : الاخلاص يجمع فـواضل الاعمـال ، وهو معنى مفتـاحه القبـول ، وتوقيعـه الـرّضـا ، فمن تقبّـل الله منـه ، ورضى الله عنـه فهـو المخلص ، وإن قـلّ عمله ، ومن لا يتقبّـل الله منـه ، فليس بمخلص وان كثـر عمله ، اعتبـاراً بـآدم وابليس ، وعلامـة القبول وجـود الاستقامـة ببذل كـلّ المحاب ، مـع اصابة علم كلّ حركـة وسكون ، والمخلص ذائب روحـه وباذل مهجتـه في تقـويم ما بـه العلم والاعمال ، والعـامل والمعمـول بالعمـل لانّـه إذا ادرك ذلك فقد ادرك الكلّ ، واذا فاته ذلك فقـد فاتـه الكل ، وهـو تصفية معـاني التنزيه في التوحيد .

كما قال الاوّل [2] : هلك العاملون إلاّ العابـدون ، وهلك العابـدون إلاّ العـالمـون ، وهلك العـالمـون إلاّ الصـادقـون ، وهلك الصّـادقـون إلاّ المخلصـون وهلك الـمخـلصـون إلا المـتقـون ، وهـلك المـتقـون إلاّ الموقنون ، وإنّ الموقنين لعلى خطر عظيم .

قـال الله تعالى لنبيّـه ﴿**واعبد ربّك حتى يـأتيك اليقين**﴾ ، وادنى حدّ الاخلاص بذل العبـد طاقتـه . ثمّ لا يجعل لعمله عنـد الله قدراً ، فيـوجب به على ربه مكافاة بعمله ، لعلمه إنّه لو طـالبه بـوفاء حقّ العبـوديّة لعجـز ،

---

(١) رواه في الـوسائـل في باب وجـوب الاخلاص في العبـارة والنية وآخـر الحـديث « ولم يحزن صدره بما اعطى غيره » .

(٢) وهذه عبارة مصباح الشريعة في باب الاخلاص .

وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الاثام ، وفي الآخرة النجاة من النّار والفوز بالجنّة انتهى والظاهر انّ المراد من قوله : مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرّضا ، أنّه لا سبيل الى التخلّص من شوائب الشرك الخفي إلّا بفضل خاص من الله ، وهو القبول لمن رضى له بمثل هذا المقام السني وأن يبصرّه حيل النفس ومداخل الشيطان ، بدقائق العلم ، ويوفّقه ويسدّده للتحرزّ منها ، فيكون عمله خالصاً لوجهه الكريم ، وهذا هو العمدة ، وان كان العمل قليلا ، ولا عبرة بكثرة العمل إذا لم يكن خالصاً .

كما اشير إليه في الرّواية الواردة في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ليبلوكم ايّكم احسن عملا** ﴾ ، ليس يعني أكثركم عملا بل اصوبكم عملا ، والمراد من قوله وعلامة القبول ان يعرف هذا الّذي تقبله ربه ، وجعله من المخلصين ، لئلاّ يغترّ احد بأنّه ممّن قبله الله ، ورضى عنه ، فجعل العلامة وجود الاستقامة ، وهو الّذي اراده الامام (ع) في خبر آخر في حقيقة الاخلاص بقوله : وهو ان تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت ، وتعمل لله لا تحبّ أن تحمد عليه ، ولذا قيّدها بكونها ببذل كلّ المحاب مع اصابة علم كلّ حركة وسكون ، لأنّ السالك إذا بقي في قلبه مراد ، ومقصود غير وجه الله لا يستقيم له الاخلاص ، فلا يكون له بدّ من ان يراعي هذا المراد ، والمحبوب في حركاته ، فهو معنى بذل المحاب كلّها ، وهذا ايضاً لا يكفيه إذا لم يعلم وجه رضى ربّه في حركته وسكونه لأنّه يمكن ان لا يكون له قصد سوى وجه الله ،ولكن يجهل وجه رضاه في اعماله ، فيكون عمله عمل جاهل متنسك ، فوجب العلم فاحتاج مريد الاخلاص بمجاهدة شديدة في تقويم علم الحركات ، والسكنات بأن يخلصها من البدع ، والابتلاء بخلاف رضى الربّ وتقويم الاعمال وتقويم نفسه وما يحصل من عمله أو حفظ عمله عن الابطال بعده كلّ ذلك يحتاج إلى المجاهدة الشديدة، والصبر العظيم لتحمّل الاعمال الشاقة في

تحصيل العلم النّافع ، وتذكية النفس فانّ اذيال الغرور في الاعمال اوسع ممّا بين العرش والفرش ، ولا اظنّ احدا يتخلص منه إلّا من عصمه الله بلطفه ، ولذا ترى النّاس يعملون عمل المقرّبين ، ولا ينتفعون منه بشيء ، وليس ذلك إلّا من جهة آفات الاعمال ، وإلّا فلو كان العمل عملا ، فلا بدّ ان يثمر نوراً ، ومعرفة في القلب ، فلا يزال يزاد نوره ، حتّى يكون محسوساً لكلّ احد ، اما سمعت ما في الحديث القدسي لا يزال يتقرّب العبد اليّ بالنوافل ، حتى اجعله مثلي «الخ»، ولا يزال يتقرّب العبد اليّ بالنوافل حتّى احبّه وكنت سمعه الّذي يسمع به «الخ» كيف ، يمكن ويتصوّر ان يكون الصَّلاة معراجا ، وزيارة لله ولا يزاد بها نور القلب وصفائه ، وزهده عن الدّنيا ، واقباله على الله ، اما سمعت قوله (ع) : « من لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، لا يزداد في صلاته من الله الا بعدا » .

وبالجملة من اشتغل غالب أوقاته بالعبادة نظير اغلب النّاس ، لا سيّما أهل العلم فانّ غالب شغلهم العبادة لأنّه لا عبادة اشرف من تحصيل العلوم الربّانيّة ولا يرى في قلبه نوراً وصفاء وزيادة معرفة ، فيعلم بالقطع انّ عمله معيوب ، وهو من جملة الاخسرين اعمالا ، الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعا ، وليحذر ان يبدو له من الله ما لا يحتسب ، ويبدو له سيّئات اعماله ، ويرى مثلا صلاته في كفّة سيّئاته ، وتحصيله للعلم تحصيلا للجاه والشرف ، وهكذا .

وبالجملة يعمل في مدة عمره خمسين او ستين سنة عمل اهل الله في زمرة اهل القدس والتقوى ويدعى في الناس بالمقدّس ويشار إليه بالتقوى ، ويكون اسمه في الدنيا مؤمناً ومتقياً ومجاهداً في الله وفي الآخرة مرائيا وغادراً وفاجرا بل منافقاً كافراً والعياذ بالله من الغرور ، والشيطان المغرور ، ولا ارى ولا اعتقد داء للقلب اضرّ للسّالك ، ولا

اقـرب الى الهـلاك من الغـرور ، ولا عمـلا يكـون احشر للرّجـل يـوم الحسرة ، ولا اخسر من عمل المغرور ، وهـا نحن هذا المغـرور ، انجانـا الله بفضله من غوائله ، وما اقبـح حالنـا اذا رأينا في صحائـف اعمالنـا ، بل وجدنا في صحيفة انفسنا ما حسبنـاها عبـادة لله أنّه كـان من جملة عبادة الشيطان ، ومبعدا عن الله ، ووجـدنا نـورنا ظلمـة ، وشفيعنا مـا حلا ، انّـا لله وانـا إليه راجعـون ، مصيبة عـظم رزئها وجـلّ عقابهـا ، فـوا اسفـاه من خجلتي ، وافتضـاحي ، ووالهفاه من سـوء عملي واجتراحي كيف يكـون حـال من يلوم النّـاس ، ويعـظهم من مخـالفـة الله ومعصيتـه ، اذا واجههم يوم القيامـة ، وهم مغفورون ، وفي وجـوههم نضرة النعيم وهـذا قد اسـودّ وجهه من ظلمة المعاصي ، ولعمري انّـه مصيبة بخـلاف مصائب الـدّنيا ، لان مصـائبها إنّمـا كان لهـا سلوة بالمثـوبـات الاخـرويّـة ولصـاحبهـا اسـوة بالابرار ، ومصـائب الآخرة مصـائب لا سلوة منها ابـدا ، ولا اسوة فيهـا الا للشيـطان وحزبـه ، وهـم اعـداء الله المخـذولـون الملعـونـون ، نعـوذ بـالله الهادي وباسمائه الحسنى كلّهـا عامّـة أن ينجينا من غـوائل وجـوه الغرور ، او يبدّل سيّئاتنا بالحسنات ، فانّه وليّ الرغبات ، والمنجي من الهلكات .

وبـالجملة قـد اشـار (ع) بقـولـه : وهـو تصفيـة معـاني التنـزيـه في التـوحيد ، إنّ الاخـلاص لا يكون إلا بـالنزوع عن جميـع وجوه الشـرك ، ولا يصحّ ذلك إلّا لمن وحد الله في الوهيّتـه توحيـداً ، يسري في اعمـاله ، فيكـون موحَّداً بشراشـر وجوده واعتقـاده وعمله ، ولا يـرى في مـلك الله مؤثراً غير المالك الحقيقي ، فلا يرى ضـارّاً ولا نافعـاً غير الله ، ومثـل هذا الرجل كيف يبقى له مـراد ومقصود غيـر الله ، لأنّ الانسان لا يتحـرّك الى شيء بحركة اختياريّة إلّا لمـا يراه خيـرا ، وسعادة لنفسـه امّا في العـاجل ، وهـو الغالب للعـامّة ، او الآجـل وهو الغـالب للعقـلاء ، واذا لم يـر في الـوجود مؤثّـراً غير الله ، فـلا يبقى لـه رغبـة ، ولا رهبـة إلّا الى الله ، ومن الله ، ويـدخـل في عبـاد الله ، ولا يكـون للشيـطان عليـه سلطان ، لانّ

سلطانه في باب الاخلاص والشرك ، انّما هو من وجوه الرغبة والرهبة ، واذا انسد بابهما يفتح باب التوحيد ، فقد خنس اللّعين .

ثمّ إنّ هذا كلّه بالنسبة إلى أصل الاخلاص ، وأمّا تفصيل مراتبه ، فيعلم من تفصيل مراتب معارف الايمان ، فكل مؤمن بحسب معرفته له اخلاص لا يمكنه غيره ، إلاّ بالترقي عن معرفته إلى ما فوقها من المعارف ، فانّ العمل للتجنّة والنار لا ينافي اخلاص بعض المؤمنين ، ولكن ينافي في بعض الاحيان اخلاص بعضهم ، فانّهم في بعض الاوقات لا يسعهم الالتفات إلى القرب والبعد ، فضلا عن الجنّة والنّار ، هذا ويستحبّ للعامّة ان يكون [1] صلاته صلاة مودع ، فكأنّه آخر صلاته فانّه يزيد في اقباله وخشوعه .

فصل : في الاذان والاقامة ، وفيه فصول :

الأول في فضيلتهما .

عن ثواب الاعمال [2] باسناده عن رجل عن ابن عبّاس قال قال رسول الله (ص) : من تولّى اذان مسجد من مساجد الله ، فاذّن فيه وهو يريد وجه الله ، اعطاه الله عزّ وجلّ ثواب اربعين الف الف نبيّ ، واربعين الف الف صدّيق واربعين الف الف شهيد ، وادخل في شفاعته أربعين ألف الف امّة ، في كلّ امّة أربعون الف الف رجل وكان له في كلّ جنة من الجنان اربعون الف الف مدينة ، في كل مدينة اربعون الف الف قصر في كلّ قصر اربعون الف الف دار ، في كلّ دار اربعون الف الف بيت في كلّ بيت اربعون الف الف سرير ، على كلّ سرير زوجة من حور العين ، سعة كلّ بيت منها مثل الدنيا اربعون الف الف مرّة ، بين يدي كلّ زوجة اربعون الف الف وصيف ، واربعون الف الف وصيفة ،

(١) كما مر عن السجاد عليه السلام .
(٢) نقله في البحار وغيره .

في كـلّ بيت أربعون الف الف مـائدة ، على كـلّ مائـدة اربعـون الف الف قصعـة ، في كلّ قصعـة أربعون الف الف لـون من الـطعـام ، لـو نـزل بـه الثقـلان لادخلهم في ادنى بيت من بيوتهـا لهم فيهـا مـا شـاؤا من الـطعـام والشراب ، والطيب واللباس والثمار ، والـوان التحف والطرائف من الحلي والحلل ، كـلّ بيت منهـا يكتفي بمـا فيـه من هـذه الأشيـاء عمّـا في البيت الآخـر ، فاذا اذنّ المؤذن فقـال : اشهد ان لا إلـه إلّا الله ، اكتنفه اربعـون الف الف ملك ، كلّهم يصلون عليه ، ويستغفرون لـه ، وكان في ظـلّ الله عـزّ وجلّ حتّى يفـرغ ، وكتب له ثـوابه اربعـون الف الف ملك ثم صعـدوا به الى الله عزّ وجل [١] .

وفي حـديث [٢] بـلال الـطويـل : اكتب بسم الله الـرحمن الـرحيم سمعت رســول الله (ص) يقــول من اذّن عشــر سنين اسكنــه الله مــع ابـراهيم في قبّته او في درجتـه والاخبـار في انّ من صلّى مـع اذان واقـامـة يصلّي معـه صفّان من المـلائكة فـوق حدّ الاستفـاضة وفي بعضهـا ، قلت له : وكم مقدار الصفّ قال اقلّه ما بين المشـرق والمغرب ، واكثـره ما بين السّمـاء والارض ، وروى [٣] عن علي (ع) انّـه قـال : قـال رســول الله : للمؤذّن مـا بين الاذان والاقامـة مثل اجـر الشّهيد المتشحّط بـدمه في سبيـل الله ، قـال قلت : يـا رسـول الله انّهم يجتلدون على الاذان قـال كــلا انّـه ليـأتي على النّـاس زمـان يـطرحـون الاذان على ضعفـائهم ، وذلـك لحـوم

---

(١) رواه في البحـار عن مجالس الصـدوق (ره) وهي رواية طـويلة لم ينقل صـدرها ولا ذيلهـا ، وهي مشتملة عـلى فضـائـل كثيـرة ، ونقـل منهـا المؤلف (ره) فضيلة واحـدة فقط .

(٢) كما في البحار عن ثواب الاعمال .

(٣) في الـوسائـل باب استحبـاب تولي الاذان رواه عن الشيـخ ، ورواه في البحـار عن ثـواب الاعمال ، وفي بعض الالفـاظ اختلاف يسـير ، ففي روايـة الشيـخ ، يجتلدون وروايـة الـصدوق : يختـارون ، وفي بعض النسـخ : يجتــازون بـالجيم والـزاء ، والكـل واضح .

حـرّمها الله على النّـار وعن [1] مجالس الصّـدوق باسنـاده عن الصادق (ع) عن ابـائه ، قال: قال النّبي (ص) : الا ومن اذّن محتسبًا يريـد بذلـك وجه الله تعـالى اعـطاه الله ثـواب اربعين الف شهيـد ، واربعين ألف صـدّيق ، ويـدخـل في شفـاعتـه اربعـون الف مسيء من امّتي الى الجنّـة ، الا وانّ المؤذّن اذا قـال اشهـد ان لا الـه الاّ الله صلى عليـه تسعـون الف ملك ، واستغفـروا لـه ، وكـان يـوم القيـامـة في ظـلّ العـرش حتّى يفـرغ الله من حساب الخلائق ، ويكتب ثواب قوله اشهد انّ محمّـداً رسول الله اربعـون الف ملك .

اقـول : اياك ان تقـول في امثـال هـذه المثـوبـات الـواردة في جـزاء الاعمال انّها صدرت مبالغة ، لانّه قول طائفـة من الملاحـدة ، فان استعـدّ عقلك الضّعيف ، فلك في رفـع استبعـاده امـران : الأول ان تعـرف انّ القـدر المتيقّن من هذه المثـوبات انّمـا هو لمن اتى حقـائق هـذه الاعمـال خـالصة لـوجه الله ، ثمّ تتفكّر في انّه لا يمكن ذلـك الا لواحـد بعد واحـد من الاوحديّين ، وامّا امثالنا من العـامّة ، فـلأن يكون بعض عبـاداته مبعـدة عن الله ، ومعصيتـه مـوجبـة للنّـار احق من ان يكـون مقـرّبـة اليـه (ص) ، ومـوجبة للمثـوبات ، وانت اذا تـأمّلت في معنى لا اله إلاّ الله ، ورأيت انّـه كلمة توحيد ، ومعناه اثبات الالوهية ، والمنفرديّـة له تعـالى ونفيها عن غيـره ، ثمّ تـأمَّلت في نفسـك ورأيتهـا انها تعـامـل مـع الله في جميـع تقلبـاتهـا معـاملة من لا يعتقد فيـه الوهيّتـه ، وانَّما يعتقـد الالوهيـة والمنفرديَّـة لكلّ من يعتقـد فيه شيئاً من القـوة ، والقـدرة من المخلوقـين ، ولا يثبتهـا عـلى الله ، ولا يفزع في حوائجه اليه بل الى الاسباب والوسائط ، مثلاً ترى نفسك اذا كان له اب ذو ثـروة ، وذو عدّة وكفـاية لمهمّـاته ، يـطمئنّ له بحـوائجه ، ويفـزع اليه في مهمّـاتـه ، وليس تـطمئنّ الى الله ، ولا تفـزع اليـه ، ولا تسكن الى وعـده

---

(١) رواه في البحار .

الرزّق ، والاجابة لدعائه اذا دعاه ، وهو مع ذلك يقول في لسانه : لا اله الاّ الله ، هل يكون هذا موحّدا ، وهل يصدق عليه في قوله هذا : انّه موحّد صادق في توحيده ، او مشرك وكاذب او عابث ، ولاغ او مستهزء ومنافق ، واذا اعتقدت انّ لا اله الاّ الله كلمة عظيمة ، لا يقدر ان يقولها حق قولها الاّ العارفون بالله ، فلا يستبعد ما ورد فيه من المثوبات ، والامر الثّاني ان يتفكّر في قدرة الله ، وانّ جميع ما ورد في الاخبار من وصف المثوبات ، والجنّة انّما يقدر على خلقها بارادة واحدة ، وبقول كن ، ولا مؤنة له عزّ وجلّ في خلقها واضعافها الى غير النّهاية ابداً ، فانّه يفعل ما يشاء ، ويخلق ما يريد ، ولا يؤده خلقه وحفظه ، ويتفكّر في عنايته وانّه جواد ، لا يبخل ، وهو اكرم الاكرمين ، وارحم وارءف للمؤمن من الاّم الشّفيقة ، فاذا اجتمع لكم معرفة الامرين ، وتصديقه بحقيقة التصديق لا تستبعد شيئاً من ذلك فانّ استبعاد هذه المثوبات في انظار العامّة انّما هو بوجهين : احدهما استعظام امكانها والقدرة بخلقها ، وتخيّل مؤنة في خلقها. ، وحفظها لخالقها ، وثانيهما استحتار موجبها ، وإنّما يدفعها الامران المذكوران كما هو ظاهر .

فصل : ورد في بعض الاخبار [١] استحباب زيادة الشّهادة فيهما بالولاية ، او امرة المؤمنين لعلي (ع) مرّتين بعد الشّهادة بالرّسالة ، واعترف به الصّدوق في رواية الشّيخ والعلاّمة قال الصّدوق : كنّا نعرف الغلاة بروايتها ، وذكر الشّيخ انّ رواتها من المفوّضه ، ثمّ ذكر انّه لا بأس بقولها ، اقول : امّا كونها من اجزاء الاذان الّتي تبطل تركها ينفيه

---

(١) كما في رواية الطبرسي في الاحتجاج ، ورواه الصدوق في الفقيه عن أبي بكر الحضرمي في مقام الطعن على الشيعة .

أقول : ورد في روايات عديدة ، انه يستحب الشهادة على ولاية علي عليه السلام وامرته بعد اشهاده على رسالة نبينا صلى الله عليه وآله ، كما ورد في البحار في تفسير قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وأفتى به بعض أجلة فقهاء الشيعة رحمهم الله فلاحظ وتدبر .

الاخبار الكثيرة ، وامّا استحباب ذكرها فيهما ، فلا معارض لهذه الاخبار فيها ، وان لم يصّح اسنادها فلا بأس بالعمل بها من باب المسامحة ، ويرجى لمن قالها رجاءً للثواب ان يعطيه الله ذلك الثّواب ، وان لم يكن مستحبّا في الواقع ، وامّا شذوذ اخبارها فهو يمنع عن العمل بها عند التّعارض ، ولا تعارض فيها في مجرّد استحباب الذّكر .

وامّا قول الصّدوق : انّ روايتها كان عنده ميزاناً لمعرفة الغلاة ، فهو ميزان مخصوص به ، ولم يثبت لنا كما هو الشّأن في بعض موازينه الآخر للرّمي بالغلو .

فصل : في حكمهما امّا الاذان فلا اشكال في عدم وجوبه لكلّ صلاة للمنفرد ، والاحوط عدم تركه في الجماعة اذا لم يجمع بين الصّلاتين ، واحوط منه عدم تركه للمنفرد في الفجر والمغرب في الحضر ، ان لم يسمع اذان الغير .

هذا كلّه للرّجل وامّا النّساء فلا يجب عليهنّ اذان ؛ ولا اقامة في شيء من الصّلوات في حال من الحالات .

وامّا الاقامة فالاحوط ان لم يكن اقوى عدم تركها للرّجل مطلقا ، نعم يسقطان في المسجد اذا صلّى فيه جماعة ، وان يصلّ معهم وان لم يسمع اذانهم واقامتهم ، لكن بشرط بقاء المصلّين او بعضهم على هيئة الجماعة .

فصل : يستحبّ فيهما الطّهارة والاستقبال ، والقيام وتتأكّد في الاقامة والاولى بل الاحوط ان لا يترك فيها والاستقبال في الشّهادتين آكد منه في غيرهما وكذا يستحبّ الوقف على الفصول مع التّأنّي في الاذان والحدر [1] في الاقامة ، ورفع الصّوت للرّجل في الاذان والافصاح

---

(١) قوله : يستحب الوقف اه أقول : المراد من الوقف هو الوقوف على أواخر الفصول في الاذان ، والمراد من الحدر في الاقامة هو الاسراع الموجب لظهور الاعراب في=

بـالالف والهـاء ، ووضـع الاصبعين في الاذنين عنـده ، ويستحبّ الفصـل بينهما بخطوة ، ودعـاء ، وسجدة ، وركعتين من نـوافل الـظّهر والعصـر في اذانهمـا ، وفي بعض الرّوايـات انّ من اذنّ ثمّ سجد ، وقـال لا اله الا انت ربّي سجدت لك خاضعاً خاشعاً غفر الله له ذنوبه .

وفي الآخـر من سجـد بين الاذان والاقـامـة ، وقـال في سجـوده ربّ لـك سجدت خـاضعاً خـاشعـاً ذليـلاً ، يقـول الله : مـلائكتي ، وعـزّتي ، وجــلالي لاجعلنّ محبتّــه في قلوب عبــادي المؤمنين ، وهيبتــه في قلوب المنافقين .

وفيها قال ابو عبد الله (ع) : من جلس بين اذان المغـرب والاقامـة ، كان كالمتشحّط بـدمه في سبيـل الله ، ويستحبّ الدّعـاء جالسـاً بالمـأثور ، وهو اللّهمّ اجعل قلبي بـارّاً ورزقي دارّا ، واجعل لي عنـد قبر نبيّـك (ص) قـراراً ومستقـرّاً ، وروى الفصـل بـركعتي الفجـر بين اذانيهـا ، وبــالجملة الفصـل مؤكّـد بينهمـا ، لا ينبغي تـركـه عمـداً ، ومن السنّـة أن تكـون في الظهر والعصـر بركعتين من نـافلتهما ، ويستحبّ أيضـاً في الفجر بـركعتيها لـلامام المنتـظر ، بـل للمنفـرد أيضـاً وفي بـاقي الصلوات بسجـدة ، أو

= أواخر الفصول .

وأمـا قولـه : والافصـاح بـالألف والهـاء ، فقـد ورد في روايـات كـما في الـوسـائـل وغيره : ان الاذان جزم بافصاح الالف والهاء ، والاقامة حدر .

فيمكن ان يكون المراد بالألف والهاء المأمور بافصاحها مطلق الالف والهاء الواقعين في الاذان : كــما في لفـظة « اشهــد ، » و « الله » و «لا إلـه الا الله » ، وعــرفـان عــدم الافصاح بالالف والهاء فيها ربما يغير المعنى تغييـراً فاحشـاً ، ويمكن ان يكون المـراد الالف والهاء في لفظة الجلالة فقط .

او في لفظ « اشهد » فتدبر فلا مجال لنا في اطالة الكلام .

وراجع الكتب الفقهية ، وأما ساير المستحبات التي ذكرها قدس سره :

فهي مـذكورة في الكتب الفقهيـة ، وكتب الاخبار ، ومشهـورة عند الشيعـة ، فـلا حاجة الى تطويل الكلام فيها .

جلسة ، أو نفس ، أو تسبيح أو تحميد ، ويستحبّ في الجماعة لغير المؤذّن ، ان يجلس حتّى يقول المقيم ، قد قامت الصلاة ، فيقوم ، ولا يجلس ، ثمّ انّ الأحوط أن يكون عند الاشتغال بفصول الاقامةقائماً ساكناً ، مستقبلاً ، ويراعي أحوال الصلاة فيها ولا يتكلّم فيها بغير ما يتعلّق بالصلاة ،ووردت الروايات بحرمة التكلّم إذا اقيمت .

فصل : في عبرهما قال في الحقائق : وإذا سمعت نداء المؤذّن ، فاحضر في قلبك نداء يوم القيامة ، وتشمّر بظاهرك ، وباطنك للاجابة والمسارعة ، فإنّ المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللّطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءاً. بالفرح ، والاستبشار ، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم انّه يأتيك النداء بالبشرى ، والفوز يوم القضاء ، ولذلك قال النبيّ (ص) ارحنا يا بلال ، ارحنا بها وبالنداءِ إليها ، إذ كانت قرّة عينه فيها .

أقول : يعني الأذان نداء اللّقاء ، وكما أنّ يوم القيامة ينادون النّاس إلى العرض على الله ، فكذلك المؤذنون ينادون المؤمنين إلى مجلس الحضور والمعراج والزيارة ، فإن كان حال الانسان في هذه الدّنيا من المعرفة بحيث يلتذّ بهذا النداء ، فالمعرفة في الدّنيا بذر المشاهدة في الآخرة ، وإن كان من الجهالة بحيث يسوء من هذا النداء ، فهو أيضاً يورث سوء حاله من نداء يوم القيامة ، وإن كان من الغافلين ، يكون حاله ما يناسب غفلته ، فكذلك الحال في سائر مقامات الدين ، ونواميس الشرع ، فإنّ الإنسان يموت على ما يعيش ويحشر على ما يموت ويحصد ما زرعه في أرض قلبه ، فمن عرف موقع الصلاة في معاملته مع ربّه ، وعرف انّها لطف عظيم من الله الرحيم ، لا بدّ أن يكون قرّة عينه في الصلاة ، ولا بدّ أن ينتظرها كما ينتظر مجالس الأنس مع أحبّائه ، ويجيب به نداء الأذان بما يجاب به دعاء الأحبّاء ، وإن شئت أن تعرف حقّ ذلك فانظر معاملة الله تعالى معك عند اقبالك عليه واعترف بأنّك لو بذلت

جميع قدرتـك في تحصيل حقّ أدب هـذا النداء ، لا تـأتي بجزء من عشـر معشـار ما يجب عليـك بحكم الحكمة والعـدل ، وإن عرفت ذلـك بحقيقة المعرفة ، لا تكسل عن أداء ما يمكنـك في ذلك ومـع ذلك لا يخلو قلبـك من حياء التقصير ، وعند ذلك يدركك من قبوله تعـالى ، وشكره العـظيم ما لا يبلغه فطنة العلماء ، وعقول العقلاء .

وقـــال : واعتبـر بفصـــول الأذان وكلمـاتـــه ، كيف افتتحت بـــالله ، واختتمت بـــالله ، واعتبر بـذلـك إنّ الله هـــو الأوّل ، والآخـر والــظاهـر والباطن .

أقول : كأنّه أراد انّ في وضع الأذان كذلك اشارة إلى هذا .

قال ووطّن قلبك بتعظيمه عنـد سماع التكبيـر ، واستحقر الـدُّنيا ومـا فيهـا ، لئلا تكـون كاذبـاً في تكبيرك ، وأنف عن خـاطرك كـلّ معبود سـواه بسماع التهليل .

أقول : المراد بكل معبود سـواه كلّ من يعـامل معـه بمعنى العبوديّـة وإن انكر ظاهراً عبادتـه ، فإنّ العبـادة حقيقة التـواضع ، والميـل والتبعيّة ، فيـدخـل فيـه اهـواء النفس الّتي هي من أبغض المعبـــودات الّتي تعبّـد في الأرض كمـا في الخبـر ، ويـدخـل أيضـاً الشيـطان ، والـدنيـا بـوجـوههـا الباطلة .

وقال : واحضر النّبيّ (ص) وتـأدّب بين يديـه ، واشهد لـه بالـرّسالـة مخلصاً .

أقـول : اخـلاصهـا عبـارة عن تخليـة القلب من وجـوه الاعتـراض في أحكـام الشرع ، حتّى لا يكـون في نفسه وقلبـه حـرج ممّـا جـاء بـه ، وقضى عليه ولو اضرَّ به .

وقال : وصل عليه وآله .

أقول : وتفكّر في معرّفة الصلوات لتكون عالماً بما تدعوه وتطلبه من الله لهم ، ووفق بين قلبك ولسانك في ذلك ، ليقع عن عناية ، ومعرفة لا عن جهل ومجرّد لقلقة اللّسان .

وقال : وحرّك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدّعاء إلى الصلاة ، وما يوجب الفلاح ، وما هو خير الأعمال .

أقول : إن امكنك ان تعتقد بحقيقة قلبك ، فانّ الصلاة معراج العبد وزيارة الربّ لتعتقد انّها موجبة للفلاح ، وإنّها خير الأعمال ، ولا ترضى من اتيان أعمالها وأركانها كلّها بالصورة ، وأذكارها ومخاطبتها ومناجاتها بلقلقة اللّسان ، ويتأثّر قلبك وروحك من افعالها ، وقرائتها ومناجاتها ، وتكبيرها الّذي هو المقصود الأصلي منها ، بل هو روحها وحقيقتها ، فعند ذلك يحصل اللّذّة من القراءة ، والمناجات ، ولطيف المخاطبات كما ورد في الأخبار .

قال : وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله ، وتعظيمه واختمه بذلك ، كما افتتحت به ، واجعل مبدءك منه ، وعودك إليه ، وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوّته ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

يعني إنّ كيفيّة فصول الأذان ، يشعر بأنّ مبدء كلّ شيء إنّما هو الله ، ومصيرها إليه وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوّته ، هذا .

ويستحبّ أن يدعو بعد الإقامة بدعاء التوجه ، وهو أن يقول : اللهمّ إنّي أتوجّه إليك بمحمّد وآله ، وأُقدّمهم بين يدي صلاتي ، وأتقرّب بهم إليك ، فصلّ عليهم ، واجعلني عندك وجيهاً بهم في الدنيا والآخرة ، ومن المقرّبين ، أنت مننت علينا بمعرفتهم ، فاختم لنا بطاعتهم ، ومعرفتهم ، وولايتهم فإنّها السعادة ، فاختم لنا بالسعادة إنّك على كلّ شيء قدير .

فصل : في نفس الصلاة .

أقول : يكفي في معرفة انّ المقصود من الصلاة حقيقتها لا صورتها المجرّدة عن الحقيقة ، الآيات والأخبار .

ومن الاولى قوله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة لذكري** ﴾ ، فإنّ التعبير بالإقامة ما يلائم لحقيقة الصلاة ، والتقييد بقوله : لذكري صريح في ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى ، حتّى تعلموا ما تقولون** ﴾ والعلّة لا تلائم بالصورة الخالية عن الحقيقة .

ومنها قوله : ﴿ **إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ فإنّ النهي لا يوجد إلّا في حقيقتها .

وأمّا الأخبار [١] ، فمتواترة يكفي منها قوله (ع) : إنّ الصّلاة تمكّن ، وتواضع ، وتيأس ، وتندم ، وتقنع ، تمدّ يديك ، وتقول : اللّهمّ فمن لم يفعل فهي خداج .

ومنها قوله (ص) : لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر فيها الرَّجل قلبه مع بدنه .

---

(١) قد مرت هذه الاخبار ، ولم نجد الرواية الاولى والثانية منها ، فيما بأيدينا من الكتب ، والرواية الثالثة قد مرت ، والرابعة أيضاً مشهورة رواها في البحار بلا إسناد ، وما ذكره «قده» في معراج النبي صلى الله عليه وآله ايضاً مذكور في البحار وغيره في معراجه صلى الله عليه وآله ، وما ورد في صلوة الانبياء ، والائمة ايضاً قد مرت الاشارة اليها ، مثل ما ورد في حق إبراهيم على نبينا وآله وعليه الصلوات والسلام ، وما ورد في النبي صلى الله عليه وآله ، وفاطمة عليها السلام ، وعلي عليه السلام والحسن عليه السلام ، وعلي بن الحسين عليه السلام ، ومذكورة في البحار في كتاب الصلوة ، وكتاب وسائل الشيعة ، وغيره وكذا رواية ان للصلوة اربعة آلاف حدود ، او باب مروية عن المناقب وعلل الشرايع .

ايضاح : قوله صلى الله عليه وآله : في الرواية الاولى والا فهي الخداج الخ ، الخداج :النقصان يقال خدجت الناقة اذا ألقت ولدها قبل أوان الحمل وأخدجته اذا ولدته ناقص الخلق .

قوله (ص) : إذا صلّيت صلاة فريضة فصلّ في وقتها صلاة مودع ، تخاف أن لا تعود فيها .

ومنها قولهم (ع) : الصّلاة معراج المؤمن .

لا سيّما مع ملاحظة ما ورد من تشريعها في معراج النبيّ (ص) ، على ما روي من أنّ معراجه كان بأجزاء الصلاة .

وما ورد في صلاة الأنبياء ، والأئمّة (ع) من الأحوال السنيّة .

وما ورد فيما يقوله الله تعالى عند صلاة المؤمن كلّ جزء جزء من أجزائها وأفعالها ، واذكارها .

وما ورد إنّ للصلاة أربعة آلاف حدود أو باب .

وما ورد انّها عمادُ للدين ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردّت ردّ ما سواها .

وما وقع في السنة كتب الله ، وأنبيائه من اسمها ، وأسماء أجزائها ، فإنّ ذلك أيضاً بحكم العرف ، واللّغة أدلّ دليل على أنّ المراد منها ليس الصورة المحضة .

وقد أشرنا إلى لفظ الصلاة في أوّل الكتاب .

وأمّا أسماء أجزائها من التكبير ، والقراءة ، والذكر ، والركوع ، والسجود ، والتشهّد ، والسلام كلّها ، انّما يطلق عرفاً ولغة على الصور مع الحقائق ، ولا يطلق على الصورة المحضة ، فإنّ التكبير باللفظ إذا خالف القلب لا سيّما إذا كان القلب ، والعمل مضادّاً للتكبير ، بأن يسمّى تحقيراً أولى من تسميته بالتكبير ، وهكذا السجدة ، أصل معناها التواضع ، ولا يقال لكلّ انحناء ، ووضع جبهة على الأرض انّها سجدة ، فإنّ الانحناء لوضع شيء على الأرض ، أو مسح جبهة على الأرض لغير خضوع ، لا سيّما إذا كانت الغاية مضادّة لحقيقة التواضع ، لا تسمّى

سجدة ، وهكذا الركوع ، والتشهّد ، والسلام ، وهكذا القراءة ، فإنّ اجراء لفظ القرآن على اللّسان ، لا يسمّى قراءة القرآن ، حتّى يكون بقصد القرآن ، وهكذا التسبيح والحمد .

وبالجملة وضع الأسماء إنّما هي للمعاني ، وإطلاقها على الصور مجاز بل قد يصير غلطاً في بعض صور الاطلاق وإذا تحقّق ذلك ، فالّذي يفهم عن الاخبار ، انّ حقيقتها إنّما تكمل بستّة معان :

الأوّل : حضور القلب ، والمراد به فراغ القلب عن غيرها ، وحضوره عند فعلها ، وقولها ، فيصدر عنه الفعل والقول مقروناً بالعلم ، فلا يكون الفكر جارياً في غيرها ، فيصدر عنه العمل مع الغفلة ، وإذا وقع صدورها كذلك فقد حصل الحضور .

والثاني : التفهّم ، والمراد منه أن يكون القلب حاضراً مع معاني الاعمال من الأقوال والأفعال ، وهذا أمرٌ زائد على الحضور ، لأنّه قد يتحقّق بحضوره عند الألفاظ ، وصور الأفعال مع الغفلة عن الحقائق ، والمعاني والتدبّر فيها .

الثالث : التعظيم لله العليّ العظيم ، ولعبادته .

الرابع : الهيبة ، وهي خوف ، ووجل ، من التعظيم والاخلاص .

الخامس : الرجاء إلى فضل الله ، وقبوله .

السادس : الحياء [1] وهو التثبّت عند كلّ شيء ينكره التوحيد والمعرفة ومستنده استشعار التقصير وتوهم الذنب .

وأمّا أسباب تحصيل هذه الصفات .

---

(١) ـ في الارشاد الديلمي .

اما الحضور فسببه الهم ، فانّ القلب تابع للهمّ فإذا كان همتك الصّلاة فقلبك حاضر عندها ، وإذا كان غيرها فقلبك عند هذا الغير ، وهو غافل عن الصّلاة ، لأنّه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فقلبك مع همّك ، فلا علاج لاحضار القلب عند الصّلاة ، الاّ بصرف الهمة إليها ، والهمّة عند مظنّة الخير ، واعتقاد السّعادة فالحضور عند الصّلاة تابع للإيمان بحقيقة الصّلاة وخيرتها فانّ من اعتقد انّ صلاته معراجه ، يكون همّه كلّه عندها لا يصرفه عنها شيء ، ومن كان همّه عند الصّلاة ، يكون قلبه حاضراً عندها ، غافلا عن الاشياء بقدر همّه فمن آمن بالله ورأى انّ الله خير وأبقى وانّ الصّلاة معراجه إلى الله ، وباشر ايمانه بذلك قلبه ، يكون قلبه همّه عند صلاته ، ولا يمكنه الغفلة عنها .

وأمّا التفهّم فهو ان يستوضح من كلّ فعل ، وقول ما يليق بهما من المقاصد ، والمعاني اذ الصّلاة معجون الهيّ ركّب فيه دواء كلّ داء ، وتأثيره استجلاب كلّ السّعادات الممكنة للانسان الكامل ، وتحت كلّ حركة وسكون من فعل ، وقول منها معنى مقصود لجاعلها ، من مقدّماتها واجزائها وشرائطها وتعقيباتها .

وقد ورد في الاخبار انّ من لم يقصد من افعالها ما هو المقصود منه ، فكأنّه لم يأت به .

اقول : سيأتي فيما بعد معاني كلّ جزء منها عند ذكر كلّ واحد منها ، حتّى رفع اليد للتكبير ، والقيام على الرّجل اليمنى واليسرى ، ونفس القيام وهكذا الى آخرها .

ثمّ انّ الّذي نذكرها في ذلك انّما عرفنا ممّا تعرض به السّلف من علماء الاسرار ، واكثرها استفدناها من الاخبار ، وبعضها الاقل من التّفهم مع ما يشهد له من الاخبار ، ونعلم علماً قطعيّا ان ما خفى علينا من ذلك اضعاف ما عرفنا منها .

ثمّ انّ الّـذي اشرنـا اليه من التّفهم لمـطلق الاجزاء ، وامّـا خصوص قراءتها ففي تفهمّها امور عـظيمة خـارجة من حيـطة البيان ، وعلوم واسـرار عظيمة تظهر في الجنان ، وقد روى عن اميـر المؤمنين (ع) انّه مـا اسر اليّ رسـول الله (ص) شيئـا كتمـه عن النّـاس ، الاّ ان يؤتى الله عبـداً فهمـاً في كتـابه وبـالجملة للمصلي في تفهّم القراءة خيـراً كثيراً ، قـد ينجلي لـه مـا يتفهّمه عند قراءته ، فيفور بذلك سعادة جليلة .

وقيـل انّ كون الصّـلاة نـاهيـة عن الفحشـاء والمنكـر ايضـاً من هـذه الوجهة ، حيث انّ المصلّي قد يفهم من قراءتـه في صلاتـه ، ما لـم يخـطر ببـاله قبـل ذلك ، فيكـون مـا فهمـه نـاهيـة لـه عن الفحشـاء ، وكيف كـان فسبب التفهّم ، ادمـان الفكـر في معـاني مـا يفعــل ، ويقـول ، واحضــار القلب عند معاني الافعال والاقوال .

وعلاجه ، عـلاج حضور القلب والجـد في دفع الخـواطر الشـاغلة ، ولا يدفع الاّ بقطع موادّها ، وهي على قسمين :

الاوّل : ان تكــون المـادّة ضعيفــة ، فيضعف اثـرهــا ، فعـلاجــه باستعمال بعض المسكتات وهو ان يعـدّ قبل الـدّخول في الصّـلاة عدتـه ، من الفكـر في عظمـة الصّلاة ، وخـطر المحضر ، وكثـرة الفوائـد وعـظمـة السّعـادات ، وقرب الـرّبّ ، وتقليل المـوانع الخـارجيّـة ، والتّحفّظ للقلب عن الاشتغـال بغير الصـلاة ، وان يعمد قبـل كلّ عمـل باخـطار معناه الى قلبـه ، ثمّ يشتغل بـه ، والعمدة ان يحفظ في جميـع الحالات حضـور الله (ص) ، وعلمه ونظره وجواباته وصنيعته به عند كلّ فعل وقول .

والثّـاني : ان تكـون المـادّة قـويّــة لا ينفـع في دفــع أثـرهــا هـذه المسكتـات فلا حيلة ، ولا عـلاج الاّ من دفعهـا ، ولا ريب انّ اصـل مـوادّ جميع الخواطر الشّاغلة ومـرجعها حبّ الـدّنيا ، والشّغـل بها ، امـا سمعت قوله (ع) : من اصبح واكبر همّه الدّنيا ، الزم الله قلبه شغلا لافـراغ له منـه ابداً ، وهمّاً لا ينقطع عنه ابـداً ، واملاً لا يبلغ منتهـاه ابداً ، وفقـراً لا ينال

غناه ابداً ، وانّه ليس من الله في شيء ، فمن تشعبّت همومه في اودية الدّنيا ، يتكثر همومه في امور مختلفة ، ولا يزال في التزايد ، والانتقال من امر الى امر ، او امور حتّى يستغرق قلبه ، وجميع اوقاته في الشغّل بها حتّى لا يكفيه يومه ، وليلته لشغلهما ، بل لو اراد ان يصرف ذهنه منها بالفكر في امر الآخرة ، يجاذبه هموم الدّنيا الي جهات الافكار الدّنيوية المألوفة له ، ولو عاد الى قهره الى طرف الآخرة ، عادت الى جذبه الى الدّنيا ، حتّى يستمرّ فيها او يتم صلاته في الاشتغال بالتنّازع ، والتجّاذب ، فيفوته الحضور والتفّهّم فلا علاج لهذا المرض ، الاّ بالمسهل ، والاستفراغ ولا يفيده التّسكيت والتّلطيف ، فلا مطمع لمحبّ الدّنيا ، وزينتها في ان يصفو له حلاوة مناجاة الله ، ولذّة مخاطباته ، ولو بقهر نفسه على العبادات .

ففي[1] حديث المعراج : لو صلّى العبد صلاة اهل السّماء والارض ، وصام صيام اهل السّماوات والأرض ، وطوى من الطعّام مثل الملاءكة ، ولبس لباس العاري ، ثم ارى في قلبه من حبّ الدّنيا ذرّة ، او سمعتها او رئاستها ، او صيتها ، او زينتها لا يجاورني في داري ، ولا نزعنّ من قلبه محبّتي ، ولا ظلمنّ قلبه ، حتّى ينساني ، ولا اذيقه حلاوة معرفتي ، والرّواية قاضية بانّ محبّ الدّنيا يكون قلبه مظلما ، ناسياً لله ، ولا يكون فيه نور الذّكر ، فانّ من كان فرحه بالدّنيا ، والدّنيا قرّة عينه ، لا يفرح بالله ، ويكون همّه مع قرّة عينه ، فتحصل من جميع ما ذكرنا ، انّ العلاج الكلّي لمن قوى في قلبه حبّ الدّنيا ، لقهر همّه الى الحضور ، والتفهّم في الصّلاة ، لا يتمّ الاّ بالانقلاع عن محبّة هذه الدّنيا الدّنيّة ، ومع ذلك في المجاهدة بتجديد ذكر الآخرة ، وخطر المناجات ، والوقوف بين يدي الله نفعاً ، وضرّاً ، وذكر هول المطّلع وتفريغ القلب ،

---

(١) رواه شيخنا البهائي ره في الكشكول عن الشهيد (ره) .

وتقليل الموانـع الخارجيـة ، بغضّ البصر عن محـلّ السجّود ، والاجتنـاب عن الصّـلاة في الاماكن الّتي يكثـر شواغلهـا ، نفعاً كثيـرا في بعض مراتب الحضـور ، والتفّهّم ، واخطار معنى كـلّ فعل وقـول ، قبل الاشتغـال به ، مؤثّر في ذلك جـدّاً ، مثلا اذا اراد القـراءة ، اخطر معنى بسم الله الـرَّحمن الرّحيم ، ثمّ يقرأه ، ثمّ اخطر معنى الحمد لله ربّ العـالمين ، ثمّ يقرئـه ، وهكذا آية آية الى آخرها ، وهكذا اذا اراد رفـع يديـه قبل الـرّكوع ، يتـذكّر لمعنـاه ، ثمّ يرفعهمـا ، ثم يتذكّـر معنى الرّكـوع ، ثمّ يركـع ، وهكذا الى آخر الصّلاة .

فـان قلت : انّ قضيّة هـذه الآيات ، والاخبـار ، وما ذكـرتـه من نفي الاسم عن الصّـور الخـاليـة من الحقـائق ، بـطلان صـلاة جمهـور اهـل الاسـلام ، بل التـدّقيق فيما ذكـرتـه ، يقتضي بـطلان صـلاة من غفـل عن حقيقـة جـزء واحـد من اجـزائهـا ، ولـو اتى غيـره مـع حضـور ، وتفهّم ، وتعظيم ، وهيبة ، ورجـاء ، وحياء ، لانّ ذلـك حكم المركب لا يمكن ذلك لاحـد في جميع الصّلاة الاّ المعصومين (ع) .

قلت: التّحقيق بحكم المركب ، وبحكم وضع الاسمـاء ذلك ، ولكن الّـذي يفهم من الجمع بين الاخبـار ، انّ الامر ليس بهـذه الصعوبـة ، لانّ الله تعـالى قد جعـل في الصّـلاة الشّـاملة في اوّلهـا بـالنيّـة والحضـور اثـراً مخصوصاً لها وهو كـونها مسقـطاً للقضاء ، والفقهـاء انّما يـطلقون الصّحـة بهذا المعنى ، وامّا القبول وسائـر الاثار ، فهي مـوقوفـة على الّتي لا يكون خـالية كلّهـا عن جميع مـراتب الحضور ، بـل يجب لها ان لا يكـون شيء من اجزائها خالياً من الحضور ، الاّ انّ الحضور ايضـاً له مـراتب ، والّذي خلا عن جميع مراتبه ، فهو المردود على صاحبه ، ولكن ذلـك ايضاً قليـل لانّ الحـركات الاختيـاريّة لـلانسان ، لا بـدّ ان يوجـد فيها درجة من حضور قلبه معها ، ولـو اجمالا والاّ لم يكن اختيـاريّة ، وحـركات الانسـان ينقسم الى اقسـام ، قسم منهـا خلو من جميـع مـراتب القصـود وحضـور القلب ،

كحركات النّائم ، وقسم يكون فيها قصد ما ، ولكن لا ينطبق القصد مع المقصود ، كبعض اقسام حركات السّاهي ، وقسم يكون فيه هذا القصد منطبقا مع المقصود ، ولكن اجماليا في باطن القلب ، ويكون اثره بمجرّد ادخالها في الاراديات ، وقسم يكون قصدها تفصيلياً ولكن بالنّسبة الى الصور ، واجماليا بالنّسبة الى المعاني ، وقسم يكون القصد فيها تفصيليّا بالنّسبة الى الصوّر والمعاني ، ويكون القلب بكله حاضرا عندهما ، وهذا هو التّامّ الكامل ، لا سيّما اذا حضر المصلّي بكلّه وشراشر وجوده بين يدي الله ، مع اجلال وهيبة ، ورجاء وحياء ، والّذي يفهم من الاخبار انّ القسم الّذي فيه قصد اجمالّي منطبق مع المقصود اذا زيد عليها اقبال ، وقصد على حقيقة الاجزاء ومعانيها بقدر عشر الصّلاة لا تترك هذه الصّلاة ، بل يرفع منها بقدر ما اقبل فيها ، ويكون بحكم الصّورة ايضا مسقطة للقضاء ، فان جبر كسرها بالنّوافل ، فالمرجّوان يقبل كلها ، وان نقص ما اقبل فيها من الاجزاء عن العشر ، تلف ويضرب بها وجه صاحبها ، هذا ما يمكن ان يستفاد من الاخبار من حيث حكم نفس الصلاة حكما عامّا لا يتخلّف غالبا ، وذلك لا ينافي ان يشمل فضل الله عبداً من جهة اخرى ، فيقبل منه غير هذا القسم ايضا ، كما ورد جزاء لبعض الاعمال المستحبة ، او يصير عبد بسبب منه مستحقّاً للخذلان ، فيرد من صلاته ما كانت واحدة للاقبال والحضور التفّصيليّ التّام ، كما يدلّ عليه عموم قوله تعالى :

﴿وقدمنا الى ما عملوا فجعلناه هباء منثوراً﴾ والّذي يدّل على ذلك من الاخبار ما فيه تصريح بان العمل اذا لم يكن مع الولاية لا تقبل ، ولو اجتهد فيه صاحبه اجتهادا ، ثمّ لا يذهب عليك انّ الّذي دلّ عليه الاخبار من رفع صلاة اقبل فيها العبد بقدر عشرها الى السّماء ، يحتمل ان يكون من باب الفضل الكلّي الّذي دلّ عليه قوله تعالى : **﴿من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ، ومن جاء بالسّيئة فلا يجزى الاّ مثلها﴾** فان كان من هذا

الباب يحتمل قويا ان يكون هذا القسم مقبولا كلّه ، من غير حاجة الى الجبر بالنوافل ، فيكون الجبر جارياً في غير هذا القسم الفاقد لقصد الحقائق إلا عند النيّة اجمالاً ، ولا يبعد عن فضل الله ان يتقبّلها بمجرد روح النيّة في اوّلها ، ثم انّ عمدة خير الصّلاة وفائدتها انّما هو في التفّهيم ، لانّه سبب قريب للمعرفة ، والمعرفة كلّها خير بل الخير كلّه في المعرفة ، كما انّ الجهل كلّه شرّ بل الشر كلّه في الجهل ، ولم ذلك انّ روح المصلّي اذا توجّه الى العالم الاعلى ، وتخلّى عن ذكر العالم الاسفل ، وفكره تجرّد بذلك عن بعض القيود ، وتأثر من العوالم العالية نوراً يتجلى به احيانا حقائق بعض الآيات القرآنيّة على قلبه ، فينتفع بهذا الكشف والّتجلّي انتفاعاً لا ينتفع نظيره بعبادة سنين ، وقد يكشف للعبد عند قراءة اسماء الله حقائق هذه الاسماء ، بحيث لا يثبت جسمه بتحمّل هذا الحال فيغشى عليه ، كما روى ذلك عن الصّادق (ع) أنّه لحقه في الصّلاة حال فخرّ مغشيّاً عليه ، فلمّا افاق قيل له في ذلك ، قال ما زلت اردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

قال السّيد السّند في فلاح السّائل : فقد روي انّ مولانا جعفر بن محمّد الصّادق (ع) كان يتلو القرآن في صلاته ، فغشي عليه فلما افاق سئل ما الّذي اوجب ما انتهي اليه حالك ، فقال : ما معناه ما زلت اكرّر آيات القرآن ، حتّى بلغت الى حال كانّني سمعتها مشافهة ممّن انزلها علي المكاشفة والعيان ، فلم يقم القوة البشريّة لمكاشفة الجلالة الالهية ، ثمّ قال : واياّك يا من لا تعرف حقيقة ذلك ان تستبعدها ويجعل الشّيطان في تجوز الّذي رويناه عندك شكّا ، بل كن به مصدّقا ، اما سمعت قول الله يقول : فلّما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّا ، وخرّ موسى صعقا ـ انتهى كلامه قده .

وقد ينكشف له حقيقة الجنّة عند قراءة آيها ، او حقيقة النّار او

القيامة وغير ذلك ممّا في القرآن من الحقائق ، والاسرار ، هذا وسنشير الى بعض مراتب التفهّم عند ذكر اسرار القراءة .

وامّا التعظيم فهو من احوال القلب المورثة للاستكانة والخشوع ، والانكسار لله جل جلاله ، مولّد من معرفة عظمة الله وجلاله بقدر ما يمكن من ذلك للبشر ، والعمدة في تأثير الحضور في الصّلاة ذلك ، بل العمدة في كمال جميع العبادات ، والايمان ذلك ، ومن معرفته حقارة النّفس ، وخسّتها ، فان العبد اذا عرف عظيم سلطان الله ، وسعة ملكه ، وجليل قدرته ، وعرف انّ الممكن لا شيء محض ، وانّه ليس له من نفسه مثقال ذرة من خير ، وانّه لا يقدر على نفسه نفعاً ولا ضرّاً ، ولا موتاً ولا حياةً ، ولا نشوراً انقهر عقله ولبّه بالاستكانة ، واظهار الذلّ بالخشوع بين يديه ، واخبت قلبه عند عظيم جلاله ، وجليل سلطانه اخباتاً خارجاً عن الحدّ والوصف ، ويراقب حضوره ونظره ، وما يبدو له من الرّدّ والقبول مراقبة لا يشذّ عنها طرفة عين ، كيف لا يكون كذلك ، والّذي يراه بعينه من عظيم سلطانه على خلق السّماوات والارضين ، وجليل قدرته على ذلك ، وعلى امساكها ورزقها وحفظها وتربيتها وما يسمعه من المخبر الصّادق ، في خبر زينب العطارة بانّ هذه الارض والبحار والجبال ، مع ما فيها بالنّسبة الى السّماء الدّنيا كحلقة في فلاة ، وهما مع ما فيهما بالنّسبة الى السّماء الثّانية كحلقة في فلاة ، وهي بالنّسبة الى ما فوقها كحلقة في فلاة ، وهكذا الى العرش ، وهذه كلّها بالنّسبة الى عالم المثال غير محدود النّسبة ، وهذه كلّها بالنّسبة الى عوالم المجرّدات حتّى ينتهي الى العقل الكلّي لا نسبة بينها محدودة ، والله تعالى خلق كلّها بكلمة واحدة ، بلا مؤنة ولا كلفة ، ولا يؤده حفظهما وان شاء اعدامها فبمجرد قطع نيف الوجود ، فسبحانه من عظيم ما اعظمه ، ومن جليل ما اجلّه ، ومن قدير ما أقدره ، وبالجملة اذا قدر العبد هذا الملك والسّلطان قدره بعقله ثمّ استشعر خطر جناياته ، وخطير مقام مناجاة هذا السّلطان العظيم ، يكون بعقله ونفسه وروحه ، وقلبه وبدنه

وشراشر وجوده كلّه عيناً لمراقبته ، وسمعاً لاسماع كلامه ، ولساناً لاستغفار ذنوبه ، وعرض استكانته ، واعتذارا من خطير جناياته ، ومن هذا الباب ما ورد من تغيّر الاحوال في الصّلاة من الانبياء ، والائمة (ع) مثل ما وري عن الخليل (ع) انّه كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، وكان في صلاته يسمع له ازيز كازيز المرجل ، وكذلك يسمع من صدر سيّدنا رسول الله (ص) مثل ذلك ، وقال بعض ازواجه كان يحدّثنا ونحدّثه ، فاذا حضر وقت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ، ولم نعرفه ، وكان امير المؤمنين (ع) اذا اخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله ، وكان اذا حضر وقت الصّلاة يتزلزل ويتلون ، وقيل له في ذلك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت الامانة الّتي عرضها الله على السمّاوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها، وكانت فاطمة (ع) تنهج في الصّلاة من خيفة الله ، وكان الحسن (ع) اذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال حقّ علي من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغيّر لونه .

وروى مثل ذلك عن السّجاد (ع) ، وانّه (ع) اذا توضّأ اصفرّ لونه ، فيقول له اهله : ما هذا الّذي يعتادك عند الوضوء ؛ فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ، قيل : ورأيته يصلّي فسقط عن منكبه ، فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته ، فسألته عن ذلك ، فقال : ويحك اتدري بين يدي من كنت ، انّ العبد ما يقبل منه صلاة الاّ ما اقبل فيها ، فقلت ، جعلت فداك هلكنا ، قال : كلاّ انّ الله يتمّ ذلك بالنّوافل .

وعن الصّادق (ع) كان عليّ بن الحسين (ع) اذا قام الى الصّلاة كانّه ساق شجرة ؛ لا يتحرّك منه الاّ ما حرّكته الرّيح ، وعنه كان عليّ بن الحسين (ع) اذا قام الى الصّلاة تغيّر لونه ، واذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقا .

وعنه (ع) قال : لا يجتمع الرّغبة والرّهبة في قلب ، الا وجبت له الجنّة ، فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله ، فانّه ليس من عبد مؤمن

يقبل بقلبه على الله في صلاته ، ودعائه ، الاّ اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين ، وايّد مع مودّتهم اياه بالجنّة .

وامّا الهيبة ، فهي ايضا يتولّد من معرفة صفات الجلال ، فمن عرف من القادر المتعال ، وعلم ما فعل من الاخذ والعقاب بالجاحدين والمعاندين ، من الامم الماضية ، وعلم ابتلاء الانبياء والاولياء بالمصائب الجليلة ، وتأثّرهم من خوفه بالبكاء والغشوة ، والتّضرع والابتهال ، والانابة والاستغفار ، وعرف درجة تقصيره وكثرة ذنوبه ، وقبح افعاله لا بدّ ان يتغيّر حاله عند الوقوف بين يديه ، ويأخذه رعدة الخائفين فيميته الخوف ويذيبه الحياء .

وبالجملة كلّما ازداد العلم بالله ، ازدادت الحسنة ، فلو اقتضت حكمته هلاك الاوّلين والآخرين لم يمنع منه مانع ، حتّى الرّقّة لانّه منزّه عن التّأثّر والانفعال ، وبالجملة قد يتأثّر بعض الانبياء والاولياء عن التّعظيم والهيبة ، بحيث ينسى غير الله تعالى ، ويغفل عن جميع ما سواه ، حتّى عن بدنه ، ومن ذلك اخراج السّهم عن رجله (ع) في الصّلاة ، وعدم تأثّره منه ، ومن ذلك غشواته حتّى يظنّ له الموت .

وامّا الرجاء فمنشأه معرفة فضل الله وكرمه ، ولطفه وانعامه ، وانّه لم يخلق هذه الخليقة للانتفاع منهم ، بل خلقهم عناية بخلقهم ، ولا تنفعه طاعتهم ، ولا تضرّه معصيتهم ، ومعرفة عنايته الجميلة في الخليقة ، وطول اناته ، وكثرة علمه وصدقه في وعده بالجنّة للمصلّين ، ومغفرته للذّنوب بالنّدم وتبديله السّيئات باضعافها من الحسنات ، وما جعل لاوليائه من الشفاعة ، وقوله في كتابه : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ ولكن يجب على العبد الجدّ في الاستخلاص من الغرور في ذلك ، فانّ النفّس والهوى قد تغرّ الانسان ، ويدلس عليه عدم المبالات بالدّين بالرّجاء ، فلا بدّ عند احتمال ذلك من الاستكشاف بملائم الامرين ، ومن آيات الرّجاء الطّلب ، كما انّ من شواهد عدم المبالات

الكسل عن الطّلب .

وامّا الحياء فبمعرفة جلال الله وجماله ، ومقام عفوه وكريم صنايعه وسبوغ نعمه وعدم رضاه لعبده بنعمة دون اخرى ، وعدم غفلته عن مراقبة احواله مع معرفة قبائح اعمال نفسه ، وسوء معاملته مع هذا الرّبّ الودود بالشّقاق والنّفاق في حضوره ، مع علمه بذلك ، واذا اجتمع للعبد هذه المعارف ، وتثبّت عندما تنكره معرفته ، فهو الحياء ومن تخطّى خطوة في ساحة هيبة الله اليه بالحياء ، فهو خير له من عبادة سبعين سنة .

والحياء خمسة انواع : حياء ذنب ، وحياء تقصير ، وحياء كرامة ، وحياء حبّ وحياء هيبة ، ولكلّ واحد منها اهل ، ولاهله مرتبة على حدة ، اقول : هذه الصّفات والاحوال لا ريب في انّها فرع هذه المعارف كما نراه بالوجدان في معاملاتنا مع امثالنا فانّ انسانا اذا عرف من شخص سلطنة وقدرة مثل ذرّة من سلطنة الله جلّ سلطانه ، يعظّمه ويراقبه ، ويهابه فان عرف منه مع ذلك كونه منعما عليه مثل ذرّة من نعم الله تعالى ، يفديه بنفسه واهله وماله ، ولا يغفل عن خدمته والقيام بوظائف عبوديّته في آن من الآنات ، واذا زاد على هاتين المعرفتين استشعار تقصيراته ، ومخالفاته مع هذا السّلطان المنعم حين انعامه وافضاله في حضوره ، لمات من الحياء والخجل .

وأمّا ضعف تأثّرات العامّة بالنّسبة الى الله جل جلاله مع اعتقادهم وايمانهم بعظمته الّتي تصغر عندها كلّ عظمة وعظيم ، وبنعمه الّتي لا تحصى ، وهذه الّذنوب والكبائر من المعاصي من انفسهم .

فوجهه أوّلاً ضعف الإيمان بالغيب عن الشّهود والعيان ، فانّ سلاطين الدُّنيا ومنعميها عندهم شهود ، وسلطنتهم ونعمهم محسوسة ، ومشهودة ، وأمّا الله جلّ جلاله ، وعظم برهانه عندهم غيب يعتقدون وجوده ، ويعترفون بعظمته ونعمه بالأدلّة العقليّة ، فالاعتقاد بالغيب ضعيف

بالنّسبة ، إلى رؤية العيان ، ولذا لا يؤثر هذه المعارف في حقّه التّعظيم والهيبة والحياء ، مثل ما تؤثر في معاملات عظماء الدُّنيا ومنعميها .

وثانياً : أنّ الأمر في عظمة الله ونعمه ، من الجلالة بمكان لا يمكن لأحد أداء حقّها ، ولا شيء من أجزاء حقوقها ، وإذا عرفوا من أنفسهم القصور بهذه المرتبة فأهملوها كلّها .

وثالثاً : يتخيّلون أنّ منافع خدمة سلاطين الدُّنيا نقد ، ونفع عبادة الله تعالى نسية في العالم الآخرة الّتي أعتقدوا وجودها خلافاً لحسّهم بالادلّة العقليّة .

وهذه الوجوه التي منشأها كلاً غرور وجهل ، إنّما سارت أسباب مسامحة العامّة ، وتفريطهم في طاعة الله والعياذ بالله من يوم يصير فيه الغيب عياناً ، فينادون واحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله .

وهذه الأمور السّتّة إنّما روح الصّلاة بها ، وكمالها بكمالها ، والعمدة فيها التّعظيم ، وهو من لوازم الإيمان فمن كمل إيمانه وباشر قلبه ، ولم يمنع عن تأثيره محبّة الدُّنيا ، والإستهتار بذكرها ، وفكرها وشغلها ،لا بد ان يكمل صلاته من أوّلها إلى آخرها بجميع أجزائها على هذا التّفصيل .

أمّا تكبيرها ففيه مطالب :

الأوّل في رفع اليدين وفيه أمور :

الأوّل : في كيفيّته ، وهو أن يبدء به بأوّل التّكبير ، ويكون آخره أيضاً مطابقاً لآخره ، حتّى يكون تمام الرّفع بتمام التكبير ، وأن يجعل في الرّفع باطن كفّيه إلى القبلة .

والثاني : في مقداره ، والاولى في ذلك أن يصل أصابعه إلى شحمة اذنه .

والثّالث : فيما يقصد به ، وهو التبّريّ من الاشراك ، وممّا يقوله المشركون ، وثمرته أن يبرء الى الله من آثامه وذنوبه ، ومن عذاب جهنّم ونيرانها كذا ورد في تفسير الإمام (ع) .

والثّاني في نفس التّكبير ، وفيه أيضاً مطالب .

الأوّل أنّ الواجب منه تكبيرة الإحرام ، ويستحبّ بعدها على الاقوى ستّ تكبيرات .

والثّاني في الدُّعاء المأثور عندها وهو أن يقول بعد الثالثة أللّهمّ أنت الملك الحقّ ، لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي عملت سوء ، وظلمت نفسي فأغفر لي ، فانّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت .

وبعد الخامسة : لبّيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشّر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، سبحانك منك عبدك وابن عبدك ، وبك ولك وإليك ، ولا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك ، سبحانك وحنانيك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك ربّ البيت الحرام ، ويقول بعد السّادسة ، يا محسن قد أتاك المسيء ، أنت المحسن ونحن المسيئون ، فتجاوز يا ربّ عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك .

ويقول بعد السّابعة ، وجّهت وجهي للّذي فطر السّماوات والأرض ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، على ملّة إبراهيم ودين محمّد (ص) ، وهدى أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجميعن ، انّ صلاتي ونسكي ومحياي ، ومماتي لله ربّ العالمين ، وبذلك أُمرت ، وأنا من المسلمين .

ثمّ يستحبّ أن يكبّر بعدد تكبيرات الصّلوات ليكون عند نسيانه بدلاً عنه .

والثّالث أن يكون في تكبيره ، ودعواته قاصداً حقايقها ، وصادقاً في ذلك .

وقد روى عن الصّادق عليه السلام قال إذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثّرى ، دون كبريائه ، فانّ الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد ، وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، قال : يا كاذب اتخدعني ، وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ، ولأحجبنّك عن قربي ، والمسرّة بمناجاتي ، فأعتبر أنت قلبك حين صلاتك ، فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها ، وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ، وملتّذاً بمخاطباته ، فأعلم أنّه قد صدقك في تكبيرك ، وإلاّ فقد عرفت من سلب لذّة للمناجات ، وحرمان حلاوة العبادة ، أنّه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابه .

أقول : هذا كاف في التّنبيه على لزوم التّحقق بحقيقة التّكبير وآية تصديقه ، وان شئت ان تعرف حقيقته فارجع الى عرفك والى نفسك فانظر اذا تريد انت من تكبير ولدك وخدمك لك ، وأعلم أنّ كلّ كبير وعظيم تقدر أن يتخيّله أعظم وأكبر من كلّ شيء فهو أيضاً صغير حقير في جنب كبريائه ، فيجب بحكم العقل أن يكون تكبيرك لربّك بقدر قدرتك ، وإستطاعتك وببذل كلّ مجهودكّ ، ثمّ تعترف بقصورك ، لأنّ حقّ تكبيره خارج عن قدرتك هذا .

والاولى أن يقصد به أنّه تعالى أكبر من أن يوصف ، هذا في التّكبير .

وأمّا الدّعاء الأوّل ، فيجب بحكم الصّدق أن يعامل العبد مع الله تعالى معاملة من يقول بانّ الله تعالى هو الملك الحقّ ، اي المالك بالاستحقاق لجميع العوالم ، وجميع العالمين ولا ينقص ذلك بأن يتصرّف في ملكه تعالى بغير رضاه ، وبأن لا يرضى لان يفعل الله في ملكه ما يشاء وإذا استشعر من نفسه قصوراً في القيام بمقتضى ذلك فيستغفره .

وأمّا الدّعاء الثاني ، فليحضر نفسه ، وحقيقته وقلبه وقالبه وكلّه لاجابة دعوة الرّبّ بالقيام بوظائف هذا المحضر الجليل ، ويعلم أنّه قريب يجيب ندائه ويسمع دعائه وانّ بيده الخيرات والسّعادات كلّها ، ولا يرى الخير في يد غيره ، ولا يتوقّعه من غيره ، وان ينزّهه من الظّلم والشّر ، ويعتقد أنّ الظّلم منه على نفسه ، والشرّ من جهته ، ثمّ يستدرك ذلك بأنّ وجوده وبدئه ومعاده ، وقوامه منه ، وبه وإليه وأنّ الشّر وإن كان منّي ، لكن خالقه أيضاً هو الله ، ولا ضارّ ولا نافع في الوجود إلّا الله ولا ملجأ ولا منجا إلّا إليه ، ثمّ ليعلم أنّ من كان مؤمناً بأنّ الخير كلّه بيده الله ، لا يرغب إلى أحد إلّا الله ومن كان مؤمناً بأن لا ضارّ إلّا الله لا يرهب أحداً غير الله ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله ، والحمد لله .

وأمّا القيام فحقيقة القيام هو المثول بين يدي الله لاداء حقّ العبوديّة واستجلاب خيرات الرّبوبيّة ، والاستيناس به جلّ جلاله ، والالتذاذ بمخاطباته في كلامه ، وبمناجاته في دعائه ، والعلاج لطول مقام يوم القيامة ، ودفع هول المطّلع ويستشعر بالوقوف على الرّجلين الوقوف في مقام الخوف والرّجاء ، وباطراق الرأس على إلزام القلب التّذلّل والتّواضع والتّبري عن التّرأس والرّياسة ، والتكبّر ، وليعلم انّ له مقاماً بين يدي الله يوم القيامة ، وخطره إنّما يناسخ بكمال هذا القيام ، فليجد كلّ جدّه في تصحيح قيامه في صلاته ، وليعلم أنّ سريرته وضمايره مكشوفة عند ربّه ، يعلم من سرايره ما لا يعلم هو ، فليراقب أن لا يخالف سريرته رضا ربّه ، فلا محالة يكون تواضعه في هذا المقام الخطير ، مثل تواضعه عند القيام في محضر سلطان من سلاطين الدُّنيا ، كيف يراقب في مكالمته ، ومشافهته أن لا يخالف رضاه ، ولا يسهو عن قصد معاني ما يخاطبه ، وإشارات مخاطبات السّلطان ، ولا يكون الله جلّ جلاله ملك الملوك ، جبّار الجبابرة أهون عليه من بشر مثله .

وأمّا القراءة فيستحبّ قبلها الاستعاذة بالله السّميع العليم من

الشّيـطان الـرّجيم ، فهي الالتجـاء إلى حفظ الله في دفـع مـا يضـلّ من وسـاوسه ومكـائده بـالقلب ، والعمل واللّسـان ، فانّـه عدوّ للبشـر متـرصّـد ليصـرف قلبه عن الله ، وبـدنـه عن الـطّاعـة ، ولسـانـه عن الـذّكـر ، فـانّ الاستعـاذة من ذلك كلّه بـاللّسان أن يقـرء لفظ الاستعاذة ، وبـالجـوارح أن يتحـوّل عن محابـه ، وطاعتـه إلى مـراضي الله جـلّ جـلالـه ، وطـاعتـه ، وبالقلب أن يصرفه في الاشتغال بالله ، وبلذّة مناجاته .

وأمّا الاكتفاء بمجـرّد القول بـاللّسان ، فـلا فايـدة فيه ، إلّا قليـلاً بل قـد يكـون لغـوا محضـاً ، وقـد يكـون مضـرّاً فـانّ التّحصن عن العـدو بـالحصن ، إنّما هو بـالتحوّل إلى الحصن من محـلّ إختطافـه وميـدانـه ، وأمّا قول : أعـوذ بهذا الحصن الحـصين ، فـلا فايـدة فيه ، وحصن الله لا إله إلّا الله ، وحصن الله ولاية أولياء الله .

كـمـا ورد في الأخـبـار : لا إلـه إلّا الله حصـني ، وولايـة عـليّ حصني ، والمتحـصّن بـلا إلـه إلّا الله مـن لا معبـود لـه سـوى الله ، والمتحصّن بـولايـة أميـر المؤمنين من يشيّعـه ، ويقتـدي بـه في اطـواره ، وأوصافه وأفعـاله ، وأمّـا من أتّخذ إلهـه هواه ، وشيـع اعداء الله ، وأعـداء أميـر المؤمنين ، وتسنّن بسنّتهم ، فهـو بـأن يقـال أنّـه متحصّن بحصن الشّيـطان ، اولى من أن يقـال متحصّن بحصن الله ، وبـالجملة المستعيـذ بـالاستعاذة الحقيقيـة في صـلاتـه ، من أتى بمقـدوره من الاوصـاف السـتّـة الّتي ذكرناهـا في أوّل اسرار نفس الصّـلاة ، وأقبل بكلّه على الصّـلاة حتّى بلسانه ، بقول أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيـطان الرّجيم ، ويلتجـأ إلى سلطان الله جـلّ جلالـه من مكائـد الخبيث ، بـردّه عن التّـوجـه إلى الله ، وإلى صـلاتـه بمـا يـوسـوس في قلبـه ، ويلقي في روعـه من الخـطرات الشّاغلة عن الله والصّلاة ، فحينئذ يعيذه الله فلا يجعل للشّيطان عليه سلطاناً فيخنس الخبيث .

ثمّ إنّ للقرائة حقّـاً خاصّـاً من بين أجزاء الصّـلاة في المراقبـة ، لأنّ

القـرآن أمر عـظيم، وله شـأن عند الله، فـإنـه شـافـع مشفـع مـاحـل مصـدق وقـد اطلق الله عليـه النـور في مـواضـع، والنّـور إنّمـا يسـاوق معنى الـوجـود وهو موجـود شريف، حكيم ذو حيـاة، ونطق، ولـه في كلّ عـالم صورة وجمـال، ويتجلّى يوم القيامة في أحسن صورة ، يمرّ بالمسلمين ، يقـولون : هـو منّا ويمـرّ بالنبيّين ، فيقـولون : هـو منّا فيجـاوزهم إلى المـلائكـة المقـرّبين ، فيقـولـون : هـو منّـا حتّى ينتهي إلى ربّ العـزّة ، عـزّ وجـلّ ، فيشفـع للقـراء ، حتّى يبلغ كـلاّ منهم إلى منـزلتـه الّتي هي بـه ، وببـالي انّ في بعض الأخبـار ، أنّه يكـون أبهى وأنور من كـلّ من يمـرّ عليـه ، حتّى يمـرّ بـرسول الله ، فيكـون مساويـاً له هـذا ولا تضع إلى من لا يقـول انّ للقرآن حقيقـة غير اللّفظ المسمـوع عن جبرائيـل (ع) ، وغيـر هـذه النّقـوش الّتي بايدينا ، قال النبيّ (ص) : أنّا أوّل وافد على العزيز الجبّـار ، وكتابـه وأهل بيتي ، وبـالجملة أنّ للقـرآن حقيقـة ، وروحـاً وحيـاتـاً ، وهـو تجلّي من تجلّيات الله جلّ جلاله الأوّليّـة ، نعم له في عـالم الألفاظ صـورة لفظيّـة ، وفي عالم النّقوش صـورة نقشيّة ، وكيف كـان يلزم على العبد المـراقب ان يـراعي حرمـة قرائتـه وأن يعرف عـظمته على حسب عـظمـة المتكلّم بـه ، ويعلم أنّه لولا استتار نوره بصـورة الحروف ، والكلمـات لما ثبت لتجلّيـه عرش ، ولا ثرى ، ولتلاشت اجزاء العـالم من عظمـة سلطانه ، وسبحـات نوره ، ولو لـم يثبت الله كليمه ما اطاق كلامـه ، كما لم يـطق الجبل مبـادي تجلّيه ، فصـار دكّـاً ، وخرّ مـوسى صعقا ، ويتـدبر في قـرائتة ، ويتخلّي عن مـوانـع الفهم ، فـانّ أكثـر القـارين منعهم عن فهم حقـايق القـرآن وعجايب احكامه ، وبدايع اشاراته ، ودقايق اسراره ، حجب واستار ستـرها الشّيـطان على قلوبهم ، وعن النبيّ صلى الله عليه وآلـه لـولا أنّ الشّيـاطين يحومون على قلوب بني آدم ، لنظروا إلى الملكوت .

ومن جملة اسـداله سـدل وسواس القـراءة فيوكّـل إليه من أبنـائـه من يسرق كل همّه لإقامة حروفه ، فيدخله بـذلك في إضـاعة حـدوده ، ويأمـره

بالتّكرار والتّرديد ليتحقّق عنده بحكمه استقامة الحـروف ، وخروجهـا ، عن مخارجها ، فمن كان همّه مقصوراً على مخارج الحـروف ، فاين لـه التفكّر في فهم معناه .

قيل وأعظم ضحكة للشّيطان من أطاعه في مثل ذلك .

ومن جملتهـا سدل التّقليـد ، وهو أن يقلّد القـاري من يخـالف حقّـاً من الآبـاء والأُمّهـات ، أو غيـرهم ، ويتعصّب فيمـا قلّده ، فـان بـدالـه من حقـايق القرآن مـا ينافيـه ، أو لمع لـه لامع من أنـواره حمل عليـه شيطان التّقليـد ويقول لـه : أكفرت بعـد الإيمان وخـالفت مذهبـك ؟ وهـذا الّـذي تخيّله إنّمـا هو من الـوجوه الّتي هي من التـأويل في بـطن القرآن ، فيمنعـه عن الـوصل ألى الـواقع ويؤكّـد وسـوستـه بمـا سمعـه من منـع الأخبـار عن التّفسير بالرّأي والمسكين جاهـل بمعنى التفسير بـالرأي ، فيغتـر من تلبيس الخبيث ، فيضيع نور القرآن ، وبركته وهدايته بالتّقليد .

ومنها سدل الذّنوب ، فانّ منها ما له تـأثير خـاصّ في صداء القلب ، وظلمته كالكبر ، وترك الأمر بالمعروف .

وبـالجملة لكـلّ ذنب ظلمـة ، وصـداءً في القلب ينـافي فهم حقـايق القرآن ولبعضها أثـر خاصّ في ذلـك يظلم القلب ، فيعمي فـلا يبصر بنـور شمس القـرآن أعيان حقـايق المعقولات ، كمـا إذا أعمى بصر الـظّاهر فـلا يفيـد نـور الشمس في رؤيـة صـور المحسـوسـات ، فـاذا تخلى العبـد من مـوانـع الفهم ، وخضـع قلبـه وفـرغ عن الاشـغـال وقـرء القـرآن في موضـع خال استنـار بأنـوار القرآن .

وفي مصبـاح الشريعـة عن الصّادق (ع) ، من قـرء القرآن ولم يخضـع لـه ، ولم يـرق قلبه ، ولم ينشيء حـزنا ووجـلاً في قلبه ، فقـد إستهـان لعـظيم شأن الله . وخسر خسراناً مبيناً .

فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة اشياء : قلب خـاشع ، وبـدن فارغ ،

وموضع خال فإذا خشع قلبه ، فرّ منه الشيطان الرّجيم ، قال الله تعالى : ﴿وإذا قرءت القرآن فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم﴾ ، فإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة ، فلا يعترضه عارض فيحرّمه نور القرآن ، وفوايده وإذا أتّخذ مجلساً خالياً ، وأعتزل عن الخلق بعد ان أتى بالخصلتين الأوّليتين ، استأنس روحه وسرّه بالله ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ، ومقام إختصاص لهم يفنون كراماته وبدايع إشاراته فإذا شرب كأساً من هذا المشرب ، فحينئذ لا يختار على هذا الحال حالا ، ولا على ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة ، لأنّ فيه المناجات مع الرّبّ ، بلا واسطة ، فأنظر كيف تقرء كتاب ربّك ، ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره ونواهيه ، وكيف تمتثل حدوده ، فانّه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ! ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فرتّله ترتيلا ، وقف عند وعده ووعيده ، وفكّر في أمثاله ومواعظه ، واحذر من أن تقع من إقامتك حروفه في اضاعة حدوده إنتهى ، فقد أشار (ع) في هذه الكلمات باصول جميع مراتب القراءة باشارات لطيفة بديعة ، منها ما ذكرنا من التّعظيم للكلام والمتكّلم ، والتّدبّر والتخلّي عن موانع الفهم ، والتفهم والتّخصيص ، والتّأثّر والتّرقّي ، وقد عرفت بعض القول في التّفهم وما قبله عند ذكر مراقبات نفس الصّلاة .

ونزيد هيهنا على ما ذكرنا امثلة جزئيّة للتّفكّر ، والتّفهم ليكون دستوراً لمن أراد ذلك .

فنقول مستمدّاً من الله الهادي إذا قرئت مثلاً في سورة الواقعة ، ﴿أفرأيتم الماء الّذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ فلك أن لا تقصر نظرك في آثار الماء بمجرّد رفع العطش ، أو مثله من آثاره الواضحة ، بل تدبر وتفكّر في تكوّن الاشياء منه ، من النّبات ، والجماد ، والحيوان فتفكّر في ما ء واحد كيف يصير غذاء للحب ،

فيكون نباتاً ، ثمّ يصير غـذاء للحيوان ، ثمّ يصيـر غذاء لـلانسان ، ويكـون له عظماً ، ولحماً ودمـاً ، وشعراً ومخّـاً ، ثمّ كيف يصير سمعـاً ، وبصراً ، وغيـرهمـا من القـوى ، ثمّ انـظر كيف يصيـر روحـاً ، وحيـاةً ، وشعـوراً ، وفكـراً وعقلا

ثمّ تفكّر في حقيقة العقل ،وعظمته، ثمّ تفكّر في مراتب العقول ، ثمّ تفكّر في مبدء الماء ، واقرء قوله تعالى : **وانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعـد موتها** ﴾ ثمّ تفكّر ،في صفة الرّحمة وتفكّر في قيام الرحمة بـالرّحمن ، وتفـطّن من ذلك كلّه الى بعض وجـوه قيّوميّتـه تعـالى للعـالم ، ثمّ اعـطف النّـظر في اتّحاد الـرّحمة مـع المرحـوم في الخارج ، وهكـذا إلى ان تفـوز إلى حظّ وافـر من اسرار الكـون ، وإذا قـرأت مثـلا : لا إلـه إلاّ هـو الحيّ القيّـوم ، فتفكّر في معنى القيّـوم واقسـامـه فتـرى انّـه يـطلق إلى وجـوه من المعاني .

ومنها قيّوميّة الاعمدة للسقوف .

ومنها قيّوميّة الاجسام للاعراض ، ومنها قيّوميّة النّور للشّعاع .

ومنها قيّومية العلم لا لصور العلميّـة ، واعلم انّ قيّوميّتـه تعالى اجـلّ واعلى في معنى القيّوميّة من جميـع هذه الاقسـام ، وبعض هذه اقـرب من بعض إلى قيّوميّته بوجه من الوجوه .

ثمّ اقـرء قولـه تعالى : ﴿ **ونحن اقـرب إليـه من حبـل الـوريـد** ﴾ ، فتفكّـر في اقسام القرب، ثمّ تفكّـر في معيّتـه تعـالى لـلاشيـاء ، وتفكّـر في اقسـام المعيّة فنـزّه قيّوميّتـه ، ومعيّته ، من كـل قيّوميّـة وقـرب ومعيّـة في غيره .

وإذا قرأت قوله تعالى : ﴿ **وإن من شيء إلاّ وعندنا خـزائنه ، ومـا ننـزّله إلاّ بقـدر معلوم** ﴾ فتفكّر أوّلاً في معنى عند الله ، هل هو عبـارة عن مكـان مخصـوص بعيـد عن مكان الاشيـاء ، فتكـون في المكـان البعيـد

الخارج من العالم ، مثلاً بعد السّماء السّابعة ، أو في باطن هذه العوالم ، وليس فيها بعد مكانيّ ، ثمَّ تفكّر في الخزائن أهي نظير خزائن الدّنيا ، كخزائن المياه ، والذَّهب ، والفضَّة مثلاً ، وليس كذلك ، بل كإختزان الثّمار في اصول الشَّجر ، والشّجر في الحبّ ، أو كإختزان المعلومات في العلوم ، والمعقولات في عالم العقل ، ثمَّ تفكّر في كيفيَّة وجود كلّ شيء في هذه الخزائن ، أهي بصورة ما في هذه العوالم ، أم بغيرها ثمَّ تفكّر في كيفيَّة تنزيلها ، فاذا تفكّرت في أمثال هذه المطالب ، يرجى ان ينفتح لك باب فيه من اصول العلم ، ما يفتح به ابواباً كثيرة من أسرار لكون .

ثمّ إذا تفكّرت في اسماء الله في القرآن ، مثل الربّ ، والرّحمن ، والرّحيم ، والقيّوم ، وغيرها ، ثمّ نظرت في آثارها في العالم ، فرأيت كلّ اجزاء العالم قائمة بها ، فانظر إلى ربوبيّته ، ورحمانيّته ، فهل ترى شيئاً في العالم خارجاً من حيطتهما ؟ وإذا تأمّلت بدقيق التأمّل ، رأيت رحمانيّته في شراشر وجودك ، وفي جيمع العالم ، وهكذا ربوبيته ، فانّ الرحمانيَّة عبارة عن الرّحمة العامّة المساوقة للايجاد ، والابقاء ، والايجاد يعّم كلّ شيء فكل شيء وجوده من رحمته ، وبقائه برحمته ، ففي الخارج ليس الا رحمته ، فالعالم من حيث الموجوديّة رحمته وإذا نسبت الايجاد الى الموجود ، قلت هو فعله ، وإذا نسبته إلى الموجد قلت مفعوله ، ففي الخارج شيء واحد وهي رحمته ، والتخصيص هو أن يقدرانّ المقصود من خطابات القرآن هو فاذا قرء فيه امراً او نهياً قدر انه هو المأمور والمنهي ، وكذلك في الوعد والوعيد وغيرهُما فان القرآن انّما نزل لهداية جميع الامّة ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السّلام ، ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وهذا بصائر للنّاس وهدى ورحمة للمتّقين ، فاذا نزل كذلك فليقدركلّ قادر انه المقصود .

وامّا التّأثّر ، فهو ان يتـأثر حـاله بـاختلاف الآيـات ، بحسب ما يقـرء منها عند قرائتها .

فاذا قرء آيات العذاب يحزن ، ويخاف منها ويبكي .

وإذا قرء آيات الرّحمة يستبشر منها .

وبالجملة يتلوّن عند الآية المقروءة .

فيتضـائل عنـد قرائـة قولـه : **خذوه فغلّوه ، ثمّ الجحيم صلّوه** ﴾ من خيفتـه كانّـه يكاد يمـوت ، ويستبشر عنـد قرائـة ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله ، فانّ الله يغفر الذّنوب جميعـاً** ﴾ كانّـه يكاد يـطير من فـرحه ، ويتـطأطأ عنـد قـرائة اسمـاء الله وصفاتـه ، لا سيّما الجـلاليّة منهـا ، مثل شـديد العقـاب خضوعاً لجلال أسمائه جلّ جلاله ، ويغضّ صـوته ، ويـظهر الانكسـار عند ذكر الكافرين بعض ما يستحيـل على الله ، مثل ذكـر الولـد ، والصّاحبـة ، والشّريك له جلّ جلاله ، كانّه يكادان يموت من خطر هذه النّسبة .

ويـظهـر الشّـوق فـالانبسـاط عنـد ذكـر الجنّـة واوصـافهـا والخــوف والانقباض عند ذكر النّار ، وانواع عذابها .

ويظهر الملق عند ذكر أهل القرب والزلفى كانّه يكاد يـطمع ، ويؤمـل ان يمنّ بـذلك عليـه ، والاستغفار عنـد ذكر المعـاصي ، كـانّـه يخـاف أن يكون قد عمل بها ، وهكذا .

والاولى أن ينـاجي ربّـه بمقتضى هـذه الاحـوال ، عنـد قـرائـة هـذه الايات بلسانه ايضا ، لانّ الذّكر باللّسان يؤكّد ما في الجنان .

والمقصـود الاصلي من قرائـة القرآن ، استجـلاب هذه الاحـوال الى القلب والنفس والـرّوح ، وإلا فمن قرئـه باللسـان ، ولم يرق قلبـه من هـذه الاحـوال ولم يؤثر في جـوارحه بـالاعمال ، وقـد سمعت في كلام الصّـادق (ع) ، انّه مّمن استهان لعـظم شأن الله ، ولعلّه يـدخل في المـراد من قولـه

تعالى ﴿ ومن اعرض عن ذكرى ، فانّ له معيشة ضنكا ﴾ فليكن اللّسان عند قرائة القرآن واعظاً والعقل مترجماً ، والقلب وسائر الجوارح متّعظا .

وقد حكى تأثّرات عجيبة عن بعض القارين من التّوبة ، والغشوة ، والهلاك ، وقد يورث التأثّر مثلا من خوف جهنّم ، أن ينكشف له عن حقيقتها فيراها بالعيان وهكذا من الاستبشار بالجنّة ، أن ينكشف له عن حقيقتها فيراها بالعيان فيكون من الموقنين بالثّواب والعقاب وهكذا والتبرى عبارة عن التّبري وعن حوله وقوّته ، وعن النّظر إلى نفسه بعين الرّضا ، وإلى عمله بالاعجاب ،فعند قرائة ما فيه ذكر الصّالحين والمقّربين يقدر نفسه منهم ، بل يؤمل ان يكون منهم بعد منّ الله وفضله ، ويشتاق إلى لقائهم .

وإذ تلى آية فيها ذمّ ومقت لعاص ، شهد نفسه هنالك ، وقدّر وقوع المقت به .

وهذا ما اشار إليه أمير المؤمنين (ع) عند وصفه للمتّقين وإذا مرّوا بآية فيها تخويف اصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أن زفير جهنّم في آذانهم وإذا كان حاله ذلك ورأى نفسه مقصّرا في جميع الاحوال ، صارت هذه الرؤية سبباً لقربه من رضا ربّه ، فمن شهد البعد في القرب لطف له بالخوف ، حتّى يسوقه إلى درجة اخر من القرب ، ومن شهد القرب في البعد ، مكر به بالامن حتّى يفضيه إلى درجة اخرى في البعد ، والترقي عبارة من أن يترقى في قرائته إلى حال يسمع الكلام من الآياتعالى ، كما سمعته في قرائة الصّادق (ع) حيث قال : حتّى سمعتها المتكلّم بها ، فإنّ درجات القرائة مختلفة فأدناها ثلاث درجات ، ادنى الثّلاثة ، ان يقدر القارىء كأنّه واقف بين يدى الله جلّ جلاله ، يقرئه عليه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيؤثر ذلك فيه السؤال والملق والضّراعة والابتهال ، وارفع من ذلك ان يشاهد بقلبه كأن الله يخاطبه ويناجيه بكلامه ، فيؤثر ذلك الاصغاء والفهم ، والتّعظيم والحياء ،

والهيبة والرّجاء ، واعلى من ذلك كلّه ان يرى في الكلام المتكلّم ، وفي الكلمات الصّفات ، فيشغله ذلك عن النظر إلى قراءته ، وإلى نفسه وبالجملة كلّ شيء سوى ربّه المتكلّم بالقرآن ، فيكون مقصوده الهمّ به ، حتّى عن انعامه واحسانه كأنّه مستغرق في مقام الشّهود ، وعن مثل ذلك اخبر الصّادق حيث قال : والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون ، وغشى عليه عند تكرار القراءة في الصلاة ، وهذه الدّرجة انّما يختص بها المقرّبين ، وما قبلها درجة اصحاب اليمين ، وغيرها لسائر النّاس من الغافلين ، واللّذة الكاملة إنّما هي في الدّرجة الاخيرة ، وصاحبها هو الّذي لا يختار على هذا الحال حالا .

وحكى عن بعض الحكماء ، انّه قال : كنت اقرء القرآن ، فلا أجد له حلاوة حتّى تلوته كانّي اسمعه من رسول الله (ص) ثمّ تلوته ثمّ تلوته كانّي اسمعه عن جبرائيل ، ثمّ قال الله عليّ بمنزلة اخرى ، فانا الآن اسمعه من المتكلّم به ، فعند ذلك وجدت لذّة ، ونعيماً لا اصبر عنه .

هذا والّذي ذكرناه في التفكّر ، والتفهّم المفصّل ، إنّما هو لا يتأتّى في قراءة الصلاة امّا التفهم في قراءة الصلاة ولا بدّ أن تكون بحيث لا تخل بصورة الصلاة ، ثمّ انّه لا بأس بان نشير اجمالا إلى ما ورد في تفسير سورة الفاتحة ، وسورة القدر ، وسورة التّوحيد بمناسبة انّها تقرء غالبا في الصّلوات الخمس

فأقول مستعينا ببسم الله الرحمن الرّحيم .

في الخبر عن الباقر لا تدعها ولوْ كان بعدها شعر .

وعنه من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروه لينبّهه على الشّكر والثّناء ، ويمحق عنه وصمة تقصيره .

وورد أيضاً انّ بعض الشّيعة نسيه عند جلوسه بحضرة امير المؤمنين (ع) فوقع وشجّ رأسه ، فاخبره (ع) بانّ ذلك من جهة تركه

للتسمية ، وورد غير ذلك ايضاً في اخبارنا ، وأخبار العامة .

وورد في اخبارنا بالباء ظهر الوجود ، وبالنّقطة تحت الباء تميز العابد عن المعبود ، وورد في الكتاب لا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب ، روى عن أمير المؤمنين (ع) انّ كلّ ما في القرآن في الفاتحة ، وكلّ ما في الفاتحة في بسم الله الرّحمن الرّحيم ، وكلّ ما فيه في الباء ، وكلّ ما في الباء في النقطة وان النقطة تحت الباء .

وورد الباء ، بهاء الله ، والسّين سناء الله .

روى في الكافي والتوحيد والمعاني عن العياشي ، عن أبي عبد الله (ع) الباء بهاء الله ، والسّين سناء الله ، والميم مجد الله .

والقمّي عن الباقر (ع) ، والصّادق(ع) ، والرّضا (ع)باسانيد جملة منها معتمدة ، مثله ، ولكن بدل مجد الله ملك الله .

وراءه كذلك في التّوحيد ثانيا .

وروى في التوحيد باسناده عن الرّضا (ع) ، ان اوّل ما خلق الله ليعرّف خلقه الكتابة ، حروف المعجم ، إلى ان قال : حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين (ع) في ا ب ت ث ، انّه قال : الالف آلاء الله والباء بهجة الله ، إلى ان قال : س ش ، فالسّين سناءالله ، إلى ان قال : م ن الميم ملك الله يوم الدّين الحديث .

وروى فيه أيضا عن الكاظم (ع) رواية ، في تفسير الميم بملك الله

ورواية عن علي (ع) في تفسير ابجد ، واخرى عن الباقر (ع) في تفسير الصّمد ، انّ الميم دليل على ملكه .

وروى في حروف لفظ الجلالة ، الالف الاء الله ، وفي بعضها تقييد الالاء بنعمة الولاية ، واللاّم الزام الله الخلق بالولاية ، والهاء هو ان المخالفين لمحمد وآل محمّد (ص) ، وفي بعضها هول جهنّم ، وفي

بعضها الهاوية ، فالمراد منها واحد كما هو ظاهر .

أقول : روى عن الطبرسي ، عن تفسير الثعلبى بإسناده إلى مولانا أبي الحسن الرّضا (ع) .

انّه قال في الالف ستّ صفات من صفات الله ، الابتداء ، فانّ الله ابتداء جميع الخلق ، والالف ابتداء جميع الحروف ، والاستواء فهو عادل غير جائر ، والالف مستوفي ذاته ، والانفراد ، وهو فرد ، والالف فرد ، واتّصال الخلق بالله ، والله لا يتّصل بالخلق ، وكلّهم محتاجون إلى الله ، والله غني عنهم ، والالف كذلك لا يتّصل بالحروف ، والحروف متّصلة به ، وهو منقطع عن غيره ، والله بائن بجميع صفاته عن خلقه ، ومعناه من الالفة ، وكان الله سبب الفة الخلق ، رواه في كنز الدّقائق عنه أيضا مثله .

أقول : ويعرف من هذه الاخبار ، وغيرها ممّا روي في الابواب المختلفة انّ عالم الحروف عالم في قبال العوالم كلّها وترتيبها أيضاً مطابق مع ترتيبها ، فالالف كانّه يدل على واجب الوجود ، والباء على المخلوق الاوّل ، وهو العقل الاوّل ، والنّور الاوّل ، وهو بعينه نور نبيّنا (ص) ، ولذا عبّر عنه ببهاء الله ، لانّ البهاء بمعنى الحسن والجمال ، والمخلوق الاوّل إنّما هو ظهور جمال الحقّ ، بل التّدقيق في معنى البهاء ، انّه عبارة عن النّور مع هيبة ووقار ، فهو المساوق المجامع للجمال والجلال ، والمرتبة الثّانية ، مرتبة السّين المفسّر بسناء الله ، الّذي هو في اللّغة بمعنى ضوء البرق ، وبمعني الرّفعة ، ودالّ على مرتبة النّفس الكلّية ، والثالث الميم المستديرة الحاكي عن دائرة الامكان ، المفسّر بالملك ، فالعوالم ثلاثة : عالم العقل ، وعالم النفس وعالم الملك والشّهادة ، وان شئت قلت : الجبروت والملكوت ، والنّاسوت .

هذا ما ورد في حروف البسملة

وأمّا ما ورد في تفسير كلماته .

منها ما رواه في التّوحيد ، عن أمير المؤمنين ، (ع) ، انّ رجلا قام إليه ، فقال يا أمير المؤمنين ، اخبرني عن بسم الله الرّحمن الرّحيم ما معناه ؟ فقال : انّ قولك : : الله اعظم اسم من اسماء الله ، وهو الاسم الّذي لا ينبغي ان يسمّى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق ، فقال الرّجل فما تفسير قوله : الله قال هو الّذي يتأله إليه عند الحوائج والشّدائد ، كلّ مخلوق عند انقطاع الرّجاء عمّا دونه ، ويقطع الاسباب من كلّ من سواه ، وما رواه فيه أيضاً عنه (ع) في حديث ، قال : معناه المعبود الّذي يؤله فيه الخلق ، ويؤلّه إليه ، والله هو المستور عن درك الابصار ، المحجوب عن الاوهام ، والخطرات ، ثمّ قال قال الباقر (ع) : معناه المعبود الّذي اله الخلق عن درك ماهيّته ، والاحاطة بكيفيّته ويقول العرب : اله الرّجل إذا تحيّر في الشّيء ، فلم يحط به علماً ، وولـه إذا فزع إلى الشّيء ، كما يحذره ويخافه ، والاله هو المستور عن حواسّ الخلق .

وامّا تفسير الرّحمن الرّحيم ، ففي التّوحيد الرّحمن الّذي يرحم ببسط الرّزق علينا ، الرّحيم بنا في اديانـنا ، ودنيانا ، وآخرتنا ، خفّف علينا الدّين وجعله سهلا خفيفا ، وهو يرحمنا بتميزنا عن اعاديه .

وفي رواية معتمدة : الرّحمن بجميع خلقه ، والرّحيم بالمؤمنين خاصّة .

وفي التّوحيد ايضاً في حديث قلت له : الرّحمن قال : بجميع العالم ، قلت : الرّحمن ، قال : بالمؤمنين خاصّة .

وفي رواية أُخرى تفسير الرّحمن بالعاطف على خلقه بالرّزق ، لا يقطع عنهم موادّ رزقه ، وان انقطعوا عن طاعته .

وعن المجمع عن عيسى بن مريم (ع) : الرّحمن رحمن الدُّنيا ،

والرّحيم رحيم الآخرة .

وفي بعض ادعيّة الصّحيفة السجّاديّة ، يا رحمن الدُّنيا والاخرة ، ورحيمهما ، وعن الصّادق ، الرحمن إسم خاصّ لصفة عامّة ، والرّحيم إسم عامّ لصفة خاصّة .

أقول : أصل الرّحمة العطوفة ، وقد يوجد في الرّحيم منا ثلثة أشياء : الرّقة ، والانكسار من ملاحظة حال المرحوم ، ثمّ العطف والشّفقة ، ثمّ ما يفعل به من ما يقتضيه حال العطف من الاحسان والانعام ، ويشبه أن يكون الموضوع له اللّفظ هو الثّاني ، والاوّل من مبادئه ، والثّالث من نتائجه ، فعلى هذا لا نلتزم في إطلاقها على الله تجوّزاً باثبات الغاية كما ذكروه ، لتخيّل دخول الرّقة في حقيقته ، فراراً عن القول باتّصافه تعالى بها ، فليس اطلاق الرّحيم على الله مقصوراً على إعتبار أخذ الغاية ، والغاء حقيقة الصّفة ، بل للرّحمة ، وكذا سائر افعال الله مبادى وجوديّة غنيّة عن التّحقيق ، هي حقيقة معاني الالفاظ ، فحقيقه الرّحمة هو المعني الّذي باعتباره يرحم الممكنات ، وهو حقيقة إسم الرّحيم من أسمائه المخلوقة العينيّة ، كما ورد عن النبيّ (ص) ان الله تعالى مائة رحمة ، أنزل منها واحدة إلى الأرض ، فقسّمها بين خلقه ، فبها يتعاطفون ، ويتراحمون ، وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة ، فاطلاق الرّحمن والرّحيم على الله تعالى باعتبار خلقه الرّحمة الرحمانية والرّحيميّة باعتبار قيامها به ، قيام صدور ، لاقيام حلول ، فرحمته الرّحمانيّة افاضة الوجود المنبسط على جميع المخلوقات ، فايجاده رحمانيّته ، والموجودون رحمته ، ورحمته الرحيميّة افاضة الهداية والكمال لعباده المؤمنين في الدُّنيا ، ومنّه بالجزاء والثّواب في الآخرة ، فايجاده عامّ للبرّ والفاجر ، وهدايته مخصوصة للمؤمنين ، والرّحمن من جهة دلالته على الرّحمة المطلقة العامّة لا يطلق على رحمة المخلوقين ، فهو من خصائصه تعالى ، والرّحمة الرّحيميّة من جهة أخذ الخصوصيّة ،

والتقّيد فيها لا مانع من إطلاقه على ما بينهم من الرّحمة المقيدة ، فمن نظر إلى العالم من حيث قيامه بايجاد الحق تعالى ، فكأنّه نظر إلى رحمانيّته ، وكأنّه لم ير في الخارج إلاّ الرّحمن ، ورحمته ، ومن نظر إليه باعتبار إيجاده فكأنّه لم ينظر إلى الرّحمن .

وبقى هنا وجه اطلاق الرّحمان ، واضافته إلى الدُّنيا ، والرّحيم إلى الآخرة تارة ، وإطلاقهما واضافتهما إلى الدُّنيا والآخرة في الدُّعاء ، بقوله (ع) : يا رحمان الدُّنيا والآخرة ورحيمهما ، امّا الأوّل فللاشارة إلى الرحمة المطلقة الّتي لا يختص بها المؤمن ، والرّحمة الخاصّة الّتي يختصّ بها المؤمن بغلبة ظهور الاولى في الدُّنيا ، والثّانية في الآخرة ، أمّا الثّاني فللاشارة إلى وجودهما في الدّارين ، وعدم منع الكفّار من جميع وجوه الرّحمة الرّحيميّة ، فانّ دعوتهم إلى الايمان ، ببعث الأنبياء ، وانزال الكتب ايضاً حظّهم من الرّحمة الرحيميّة ، فهم لسوء إختيارهم منعوها عن أنفسهم ، وضيّعوها .

ثم انّه يصح أن يدّعي مدّع انّ الرّحمة كلّها من الرّحمن الرّحيم ، لانّ ما يتراىء في العالم من الرّحمة ، فهي أيضاً من اشعّة رحمته ، وآثارها ، فنسبتها إليه تعالى اصدق من نسبتها إلى غيره ، ونسبتها للغير ، إنّما هو بنحو من التّأويل ، كنسبة نور المصباح إلى الزجاجة بمجرّد وساطتها في ايصال النّور ، بل كنسبة الاشراق إلى ضوء الشّمس ، ونسبتها إلى الله كنسبة الاشراق إلى الشّمس .

ثمّ انّه قد يستشكل الخبيث في قلب المؤمن ، بمنافاة وجود الآلام والاسقام ، والاحتياج والمكاره في العالم ، لا سيّما في المؤمن والولي مع كمال الرّحمة والقدرة ، فيجيبه المؤمن بانّ هذا الشّرور والاسواء ، ليست إلاّ للرّحمة بنتائج عواقبها الخيريّة ، ويرده الخبيث بالقدرة على ايصال الخيرات بغير توسيط الآلام ، فيتحيّر المسكين عن جوابه ، والّذي يسنح ببالي في جوابه ، انّ الوجه في تقدير الفيض كمّاً

وكيفاً ، كما يفهم من قوله تعالى : وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم ، إنّما هو قضيّة تقييد مقتضيات سائر الصّفات بصفة الحكمة ، فالحكيم لا يخلق ولا يعمل ، ولا يجود ، ولا يرحم بما ينافيه الحكمة .

ثمّ ان حظّ العبد من صفة الرّحمان ، ان لا يدع لذي فاقة فاقة إلاّ يسدّها بقدر طاقته ، ولا يترك فقيراً في جواره وبلده إلاّ ويقوم في تعهده ، ودفع فقره امّا بماله او جاهه، او السّعي في حقّه بالشفّاعة إلى غيره ، فان عجز عن ذلك كلّه فيعينه بالدُّعاء ، وإظهار الحزن من حاجته وضرّه رقة وعطفاً عليه ، كالسّهيم في الضرّ ، والحاجة وامّا حظّه من رحمة الرّحيميّة ، أن يرحم عباد الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والارشاد بطريق اللّطف ، لا العنف ، وأن ينظر إلى العاصين بعين الرّحمة ، لا الازراء ، وأن يفرض كلّ معصيته من العاصين كأنّها معصيته ويجتهد في ازالتها بقدر طاقته ووسعه ، فيصرف بذلك العصاة عن التّعرّض لسخط الله ، او لبعده عن جواره والابتلاء بعقابه .

هذا ، والمهمّ ان يعرف الانسان في الخارج إسم الله الرّحمن الرّحيم ، ويتوجّه به إلى الله في الاستغاثة في أُموره كلّها ، معرفة جزئيّة شخصّية ، فانّ لكلّ شيء جهتان : جهة من الله ، وهي جهة إسم الله الذي به أوجده الله ، وجهة نفسه ، وحق الاستعانة باسم الله أن يعرف الانسان هذه الجهة في الخارج فيتوجّه بها إلى الله ولا بأس للاشارة برد بعض ما حدث بين أهل العلم من الاشكال في قرائة بسملة السّور من دون تعيين السّورة ، وقرائتها بقصد سورة اخرى غير السّورة المقرّوة ، بلحاظ انّ البسملة في كلّ سورة آية منها ، غير البسملة في السورة الأُخرى ، لما ثبت انّها نزلت في اوّل كلّ سورة إلاّ سورة برائة ، فتعيين قرآنية هذه الالفاظ ، إنّما هو بقصد حكاية ما قرئه جبرائيل (ع) على رسول الله ، وإلاّ فلا حقيقة لها غير ذلك ، وعلى ذلك يلزم في قرآنّية الآيات ان يقصد منها ما قرئه جبرائيل (ع) ، وما قرء جبرائيل (ع) في

الفاتحة حقيقة بسملة الفاتحة ، وهكذا بسملة كلّ سورة لا يكون آية منها إلّا بقصد بسملة هذه السّورة ، فاذا لم يقصد التّعيّن ، فلا يكون آية من هذه السّورة ، بل ولا يكون قرآناً ، والجواب عن ذلك كلّه أنّ للقرآن كلّه حقائق في العوالم ، ولها تأثيرات مخصوصة ، وليست حقيقتها ، مجرّد مقروّيتها من جبرائيل (ع) ، بل المقروية لجبريل لا ربط لها في الماهيّة ، والبسملة ايضاً آية واحدة ، نزلت في اوّل كلّ سورة ، فلا يختلف بنزولها مع كلّ سورة حقيقتها ، وليست بسملة الحمد مثلا إلّا بسملة الاخلاص ، ولا يلزم ان يقصد في كلّ سورة خصوص بسملتها بمجرّد نزولها مرّات ، وإلّا يجب ان يقصد في الفاتحة ايضاً تعيّن ما نزل أوّلاً ، أو ثانياً ، لأنّها أيضاً نزلت مرّتين ، فلا ضير أن لا يقصد بالبسملة خصوصّية السّورة ، بل لا يضرّ قصد سورة ، وقرائة البسملة بهذا القصد ، ثمّ قرائة سورة اخرى وليس هذا الاختلاف إلّا كاختلاف القصد الخارج عن تعيين الماهيّات مثلا إذا فرضنا انّ الصلاة في المسجد افضل ، وغفل المصلّي عند الصّلوة عن كون الصلاة في المسجد ، بل اشتبه عليه الامر وفرض نفسه في غير المسجد وصلى هذا لا يضرّه في صلاته ، وفي كون صلاته في المسجد ، نعم لا يستحقّ ثواب قصد الصلاة في المسجد ، بل الّذي دلّ عليه بعض الاخبار ، انّ الامر في النيّة اوسع ممّا ذكرنا ، مثل ما ورد في احتساب صوم من غفل عن دخول شهر رمضان ، بنّية غير صوم شهر رمضان ، عن شهر رمضان ، هذا .

ولنذكر الآن ما أخرّنا ذكره من القول في تفسير الاسم .

اقول : تفسير الاسم في الأخبار بالسّمة بمعني العلامة معروف ، والاخبار في حدوث اسماء الله تعالى متواترة وفي اثبات الاسماء العينية له تعالى كثيرة ، وفي كونهم (ع) اسماء الله الحسنى مستفيضة ، ويفهم منها ان جميع افعال الله في العالم من الابداع والخلق والرّزق والحفظ وغيرها انّما هي قضيّة اسمائه ، وان الله تعالى إنّما جعل بعض مخلوقاته واسطة

لخلق بعضها الآخر وسمّاه اسماً لنفسه كما في مضامين بعض الادعيّة ، اسئلك باسمك الّذي خلقت به البحر ، وباسمك الّذي خلقت به الجبال ، وهكذا ، وانّ لاسمائه تعالى مراتب بعضها فوق بعض ، فيكون اعظم اسمائه مخلوقه الاوّل ، والواسطة بينه وبين الكلّ ، فينطبق بمعونة بعض الاخبار بحقيقة نور نبيّنا ، وآله المتّحدين معه في النّورانية .

ولا بأس أن نذكر من تضاعيف هذه الجملة ما فيه كفاية لإثبات ما ذكر .

منها ما رواه في التّوحيد عن الرضا عليه السلام ، حين سئل عن تفسير البسملة ، قال معني قول القائل : بسم الله ، اي أسمُ على نفسي سمة من سماة الله ، وهي العبادة ، قال الرّاوي فقلت له : ما السّمة ؟ قال : العلامة .

أقول : المتحقّق بحقيقة التّسمية ، متحققّ بمقام العبوديّة ، الّتي كنهها الرّبوبيّة ، وهي علامة الرّبوبيّة ، ومظهرها لأنّ العبوديّة فناء ، وتبعيّة وقابليّة ، وسؤال والتجاء ، واعتصام ، والرّبوبيّة كمال وجود ، واعطاء وإيجاد وامداد وتأثير ، والاوّلة مظاهر للآخرة فمن يسمّى نفسه بهذه السّمات ، أي بجهات الفقر والفناء ، فقد ناله بما يريد من تأثير الرّبوبيّة ، ومن يسمّى بسمات نفسه ، أي رأى لنفسه قدرة وحولا وقوّة ، إحتجب بنفسه عن ربّه ، وذلك لانّ كلّ ممكن موجود ، زوج تركيبيّ له وجود وماهيّة ، أي لوجوده الخاصّ جهتان : جهة من ربّه ، وهو ايجاده له ، وجهة من نفسه وهو انانيتّه وماهيّته ، وهذه الجهة فناء وعدم مع قطع النّظر عن جهة إيجاده تعالى له ، والفاعل عند فعله إذا التفت ان ليس له من جهة نفسه إلّا الفقر ، وانّ الحول والقوّة كلّها من جهة إيجاد الربّ ، فهو متسم نفسه بسمة من سمات الله ، وهو فقره وفنائه ، وذلك علامة الله ، فكأنّه إذا رأى نفسه فقيراً فانياً ، بل فقراً وفناء ، توجّه في تحصيل مرامه من فعله ، إلى الله وإلى اسمائه .

ومنها ما رواه في الكافي ، والتّوحيد ، عن أبي عبد الله (ع) ، قال : انّ الله خلق اسماً بالحروف غير متصوّت ، وباللّفظ غير منطق ، وبالشّخص غير مجسّد ، وبالتّشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفّي عنه الاقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامّة على أربعة اجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها ، وهو الاسم المكنون المخزون فهذه الاسماء الّتي ظهرت ، فالظّاهر هو الله تعالى : وسخّرسبحانهلكلّ اسم من هذه الاسماء أربعة اركان ، فذلك اثنى عشر ركناً ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها ، فهو الرّحمن الرّحيم ، الملك القدّوس الخالق ، البارء المصّور ، الحيّ القيّوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم الخبير ، السّميع البصير ، الحكيم العزيز ، الجبّار المتكبّر ، العليّ العظيم ، المقتدر القادر ، السّلام المؤمن المهيمن ، الباريء المنشيء ، البديع الرّفيع ، الجليل الكريم ، الرّازق المحيي المميت ، الباعث الوارث ، فهذه الاسماء ، وما كان من الاسماء الحسنى ، حتّى تتمّ ثلثمائة وستين اسماً ، فهي نسبة لهذه الاسماء الثّلثة ، وهذه الاسماء الثّلثه أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة ، وذلك قوله تعالى : قل ادعوا الله أو ادعوا الرّحمن ، ايّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى .

أقول : يشبه أن يكون المراد من هذا الاسم العيني ، هو أول خلق الله النّور المحمّدي ، وبجزئه المخزون المكنون ، جهته الإلهيّة ، وباجزائه الثّلثة الظّاهرة ، عوالمه الثّلاثة ، عالم روحه المجرّدة ، وعالم مثاله المقيّد بالصّورة ، وعالم جسمه المقيّد بالمادّة ،والصّورة ، وباركانها الاربعة ، الاملاك الاربعة ، إسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ، وعزرائيل الموكّلين بالحياة ، والموت ، والعلم ، والرّزق ، أو نفس الموت والحيات ، والعلم ، والرّزق ، وان يكون المراد من الثّلث مائة ، والستّين ، جملة الاسماء الّتي هي فعل منسوب إلى الاركان الاثنى عشر

ما يفيضه الله تعالى بوساطة الاملاك الأربعة ، في العوالم الثّلثة من تفاضل آثار أفعالهم ، مثلا كلّما يوجد في عالم الارواح ، والمثال ، والاجسام من فعل الرّزق ، فهو ما يفيضه باسم الرّزق بواسطة ميكائيل ، وهكذا ما يوجد فيها من العلم ، والهداية ، فهو ما يفيضه بوساطة جبرائيل باسم العلم ، وهكذا جملة التّأثيرات الواقعة في العوالم الثّلاثة بايجاد الله تعالى : بوساطة هؤلاء الاملاك الموكّلين بالاحياء ، والاماتة والرّزق ، والعلم ، ويجمعها ثلثمائة وستّين نوعاً من المؤثّرات المسمّات العينيّة ، ويمكن أن يكون تحت كلّ واحد من هذه الانواع ، اصناف عديدة ، وافراد غير محصورة ، ويعد أيضاً من عالم الاسماء ، وبهذا اللّحاظ قيل : انّ اسماء الله غير محصورة، ولا بد أن يكون بعضها فوق بعض ، ومحيطاً ببعض ، وبعضها في عرض بعض ، والمحيط بالكلّ هو الواحد الاحد ، ولعلّه المراد بقول امير المؤمنين (ع) في خطبته :لكل شيء منها حافظ ورقيب ، وكلّ شيء منها بشيء محيط ، والمحيط بما احاط منها ، الواحد ، الاحد ، الصّمد .

ومنها ما رواه في الكافي باسناده ، عن أبي عبد الله عليه السّلام ، في قول الله تعالى : ولله الاسماء الحسنى ، فادعوه بها ، قال : نحن والله الاسماء الحسنى ـ اه .

ومنها ما رواه في الوافي ، قال : قال نبيّنا (ص) أوّل ما خلق الله نورى ، وفي رواية أُخرى ، روحى .

وفي بعض دعوات شهر رمضان ، انّه (ص) الحجاب الاقرب ، فيكون طرف الممكن ، وواسطة بين الواجب وسائر الممكنات ، متّصلة بحقيقته ، ومستمدّة منها ، وعلى هذا فمن قدران يخلي نفسه ، وفكره من جميع الاكدار ، وظلم المعاصي ، وانواع الخيالات ، والاوصاف الطّارية عليها ، وكشف عن وجه روحه هذه الاغشية ، وسائر الحجب ، يمكن له أن يعرف نورهم صلوات الله عليهم ، ويتّصل روحه بارواحهم

ويستمدّ من نورانيّتهم ، فيكون حينئذ من شيعتهم المقرّبين ، واوليائهم السابقين ، رزقنا الله ذلك ، وجميع أوليائه المؤمنين ، ويحتمل أن يكون هذا هو المراد بمعرفة الاسم الاعظم ، فاذا عرفه وليّ من الاولياء معرفة شخصيّة ، وتوجّه به إلى الله في دعائه ، اجابه الله بالقبول ونيل المسؤول .

وأمّا قوله :

الحمد لله ، أي جنس الحمد ، أو جميع افراده ، ملك لله ، او مختصّة به جلّ جلاله ، لأنّ الحمد هو الثّناء في مقابل الجميل ، سواء كان من الفضائل ، ام الفواضل ، والحامد معترف بنعمة الله ، ومظهر شكره ورضاه ، من منّة الله عليه بلسانه ، ومن زاد على ذلك وأعتقد ان جميع النّعم والخير والفضل من الله ، يزيد شكره ورضاه لا محالة ، ثمّ انّ في ذكر لفظ الجلالة في مقام الحمد ، إشارة لعلّة اختصاص الحمد لله تعالى ، لانّ معنى لفظ الجلالة إنّما يشير إلى الذّات المستحقّ لجميع صفات الكمال .

ومنها غناه عن الكلّ في جميع الجهات ، واحتياج الكلّ اليه في جميع الجهات ، وهذا يقتضى استحقاقه باختصاص الحمد له ، فمن رأى الخير كلّه من الله ، لا يطمع في احد غيره ، ويتخلّص من رعونات الرّياء ، والسّمعة ، بل النّفاق ، وغيرها من الاخلاق الرذيلة الّتي تنشأ من الرّغبة ، والرّهبة ، وبالجملة حال الحمد معرفة النّعمة والرّضا عن المنعم ، فمن لم يصدق قلبه حمده ، وكان قلبه غير راض ، وغير متشكّر ، فحمده باللّسان من شعب النفاق .

« برزبان الحمد واكراه ازدرون از زبان تلبيس باشد بافسون »

هذا حال مطلق الحمد ، فكيف اذا اعتقد انّ جميع النعم الغير المحصورة من الله .

هـذا ومن الـلازم في المقام ، ان نـذكـر بعض مـا ورد في البسملة ، ليتّم به المقصود .

في الكـافي عن الباقـر (ع) اوّل كلّ كتـاب نزل من السّمـاء بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فاذا قرئتهـا فلا تبـال ان لا تستعيذ ، واذا قـرئتها ستـربك ما بين السّماء والارض .

وعن القميّ عن الصّـادق (ع) ، انّها احقّ مـا يجهر بـه ، وهي الآيـة الّتي قـال الله عزّ وجـلّ : ﴿ **واذا ذكرت ربّك في القرآن وحـده ،ولـوّا على ادبارهم نفورا** ﴾.

قيـل : لعل الـوجه في رجحـان الاجهار بـه أن يكون مـوجباً لـظهـور فيوضاته في العالم .

روى الشيـخ في الصحيح مـا هـو صـريـح في كـونهـا افضـل آيـات الفاتحة

وفي رواية انّه اعظم آية من كتاب الله .

وفي اخرى انّه اكرم آية في كتاب الله .

وفي روايـة انّـه اذا لم يجهـر بـه الامـام ، ركب الشّيـطان كتفـه ، ويكون هو اماماً للنّاس حتّى ينصرفوا .

وعن النيسـابـورى ، مـرسـلا عن أميـر المؤمنين (ع) انّـه قـال : لمّـا نـزلت بسم الله الرّحمن الـرّحيم ، قال رسـول الله (ص) اوّل ما نـزلت هذه الايـة على آدم (ع) ، قـال : امن ذريّتي مـن العـذاب مـا دامـوا عـلى قـرائتهـا ، ثمّ رفعت فـانـزلت على ابـراهيم (ع) فتلاهـا وهـو في كفـة المنجنيق ، فجعل الله عليه النّار برداً وسـلاما ، ثم رفعت بعـده فما انـزلت الاّ على سليمان (ع) ، عندهـا قالت المـلائكة تمّ والله ملكـك ، ثمّ رفعت فـانزل الله تعـالى عليّ ، ثمّ يأتى امتي يـوم القيامة وهم يقـولون : بسم الله

الـرّحمن الرّحيم ، فـاذا وضعت اعمـالهم في الميـزان تـرجّحت ، اقـول : يستشعـر من قولـه (ع) : ثمّ رفعت انّ انـزالهـا ليس بمجـرد قـرائـة الملك لفـظها على الانبيـاء ، وإلاّ فـلا معنى لـرفعهـا ، فيمكن ان يكـون انـزالهـا ورفعها ، انزال حقيقتها وآثارهـا في العالم ، كمـا يشعر بـه ما ورد على مـا ببالي ، انّه بعـد ما انـزل اهدنـا الصّراط المستقيم ، ارتفع التّنصر والتهود من امّة محّمد (ص) .

روى في الكافي والعلل بأسانيد معتبـرة ، عن الصّادق في ذكـر صلاة ليلة المعراج بطولـه : ثمّ انّ الله عزّ وجـل قال : يـا محّمد استقبـل الحجر الاسود ، وكبرّني بعـدد حجبي ، فمن اجل ذلـك صار التكّبيـر سبعا ، لانّ الحجب سبعة ، وافتتح القرائة عنـد انقطاع الحجب ، الى ان قـال : فلمّا فـرغ من التكبيـر والافتتـاح ، قـال الله : الان وصلت اليّ فسمّ بـاسمى ، فقـال : بسم الله الرحمن الـرّحيم الحديث ، اقـول : هـذا الحـديث بهـذا الاعتبـار ، انّما يفتـح منه لاهله ابـواب من اصول المعـارف ، ومن ادنى ما يعلم منه ، انّ التّسمية له حقيقة عـالية ، وليس يحصـل ذلك بمجـرد التّلفّظ ببسم الله الـرّحمن الرّحيم ، وهكـذا سائر اجزاء الصلاة والقـرائة ، ويشبـه ان يكـون وجه تعليق الاذن في التّسميـة بالـوصول ، انّ الـوصول لا يتحققّ إلاّ بفناء العبد وارتفاع الحجب الظلمانيّة والنورانية كلها بينه وبـين الله ، ولا تيسر ذلـك إلاّ بتخلّي العبد عن جميـع عوالمه واسمائه ،واوصافـه ، وحينئذ يصير اهـلا لظهـور اسماء الحقّ الّتي في حيـطة لفظ الجـلالـة عمـوماً ، وظهـور الاسماء الّتي تحت حيطة الـرّحمن والرّحيم خصـوصاً ، وعنـد ذلك يتحققّ العبـد بحقائق هـذه الاسماء ، ويكـون لوحـاً جـامعـاً لاسمـاء الله تعـالى ، ومـظهـراً لهـا كـما ورد انــه «ص» رحمـة للعــالمين ووجه الله وخليفـة الله ، ومعلّم المـلائكة والانبيـاء ، هذه كلّهـا من آثار مـظهريّـة الأسماء الثـلاثة ، ومـظهراً لبهـاء الحق وسنائـه وملكه ، ولعـل هـذه حقيقـة نـزول التّسميـة ، وروحـه فمن اراد التّسمية فله ان يتشّبـه به (ص) بمـا يمكنه بقـدر مقامـه ،

وادنى مراتبه لا محالة ان يتوجّه بقلبه وروحه الى حقائق هذه الاسماء بعد معرفتها ، وذلك لا تيسّر إلّا ان يحصل لنفسه حظاً من هذه الاسماء ، ولكنّه بالنّسبة الى حقيقة لفظ الجلالة لاحظّ له إلّا بالتّأله ، وليس يمكن لاحد من الممكن ان يعرف حقيقة الالوهيّة بوجه من الوجوه ، نظير انّه لا يمكن لفاقد قوة البصر ان يعرف معنى البصر ، بل الامر أجلّ من ذلك ، لأنّه لا يمتنع عليه ذلك بأن يخلق الله فيه قوّة البصر ، ثمّ يعرفه معنى البصير ، ولكن صيرورة الممكن بالذّات واجباً بالذّات محال ، لا يتعلّق به القدرة ، وفرضه تناقض ، فحظّ العبد من ذلك التّاثر بمعنى ان يكمل حقيقة العبوديّة وامّا خاصيّته الالوهيّة ، وهو الغناء الذّاتي ، والوجوب الذّاتي فلا حظّ له من ذلك ابدا ، ومن هذا الباب قول اقرب المخلوقات واعلمهم بالله : انا لا احصى ثناء عليك ، وقوله : ما عرفناك حقّ معرفتك ، ما ينحصر حظّ العبد من هذه الاسم ، في ان يكون مستغرق الهمّ بالله ، ولا يلتفت الى غيره ويعرف حقيقة فقره ، وفقر ما سواه في جميع الجهات ، ولا يرى في الوجود الّا الله واسماءه ، وافعاله ، فحقائق ما سوى ، امّا الاسماء وامّا الافعال ، وفي الأخبار المستفيضة ، انّ بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى الاسم الاعظم أقرب من سواد العين الى بياضه ، او من بياض العين الى سواده ، على اختلاف الروايات ، وظنّي انّ المقصود ان المراد ان حقيقة هذه الاسماء من جهة وجود لفظ الجلالة فيها، وكونه جامعاً لسائر الاسماء ، هو الاسم الأعظم ، والتعبير بالاقربيّة من المحيط والمحاط ، اشارة الى الاتّحاد بطريق التّكنّي ، او يقال : من جهة انّ المذكور لفظ بسم الله الرّحمن الرّحيم ، والاسم الاعظم حقيقته والحقيقة ليست متّحدة مع اللّفظ ، ولكنّها اقرب اليه من المحيط والمحاط المسمّين ، لانّ قرب الاوّلين قرب المداخلة ، والاخرين قرب الملاصقة .

وروى في الاخبار ايضاً تأكيد في التّسمية ، ولو لانشاد شعر .

وفيها ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح امره بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فيمتحنه الله بمكروه ، لينبّهه على شكر الله والثناء عليه ، ويمحق عنه التّقصير عند تركه بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى ان قال : فقال الله جلّ جلاله لعباده : ايّها الفقراء لرحمتي ، اني قد الزمتكم الحاجة اليّ في كلّ حال ، وذلّة العبوديّة في كلّ وقت ، فالّي فافزعوا في كلّ امر تأخذون فيه وترجون تمامه ، وبلوغ غايته ، فأنّي ان اردت ان اعطيكم لم يقدر غيري على منعكم ، وان اردت ان امنعكم لم يقدر غيري على اعطائكم ، فانا احقّ من سئل ، واولى من تضرّع اليه ، فقولوا عند افتتاح كلّ امر صغير او عظيم : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، الى ان قال قال رسول الله : من حزنه امر تعاطاه ، فقال : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، وهو مخلص لله ، ومقبل بقلبه اليه ، لم ينفّك من احدى اثنتين ، امّا بلوغ حاجته في الدّنيا ، وامّا تعدّله عند ربّه ، ويدّخر لديه ، وما عند الله خير وابقى .

اقول : ومن هذه الرّواية يعلم انّ التّسمية ليس بمجرّد ذكر اللّفظ باللّسان . واخطار معناه على القلب ، بل باتّصاف القلب والجوارح بالفزع الى الله ، وانّه لا يضيع من قال بهذه الصّفة : بسم الله الرّحمن الرّحيم تسميته ، ويناله ثمرة التّسمية امّا في الدّنيا ، وامّا في الآخرة ، وما ينال في الآخرة خير وابقى .

وامّا قوله : الحمد لله . اي جنس الحمد ، وهو الثّناء باللّسان على الجميل الاختياري لله ، لانّ كلّ جمال يوجد فهو اثر من آثار جماله ، وكلّ خير في العالم فهو من آثار فيضه ، وذكر اسم الله في المقام كأنّه اشارة الى علّة إختصاص الحمد لله تعالى ، لانّ الله اسم للذّات المستجمع لجميع صفات الكمالات ، ومن جملتها انحصار الجمال والخير فيه ، فهو في قوّة ان يقال : كلّ الحمد لمن هو مستجمع لجميع الكمالات والخيرات ، لانّ كل كمال وخير منه وله ، والظّاهر انّ

المراد منه إنشاء الثّناء بهذا اللّفظ فيكون معناه اثنى على الله بجميع الثنايا واحمده بجميع المحامد كلّها ، والاخبار بمحموديّته تعالى واقعاً في جميع المحامد ، وان لم يشعر الحامد به ، لانّ قصد حامد زيد مثلا في قبال احسانه حمده ، من جهة انّه منعم عليه ، والمنعم الحقيقي في جميع النّعم هو الله ، كما في دعاء الصّحيفة : وانت من دونهم وليّ الاعطاء فيرجع الحمد كلّه الى الله .

وامّا ما ورد من ترجيح شكر المنعم من النّاس ، فلكونه واسطة ومظهراً لنعمة المنعم تعالى ، فلاينا في انحصار حقيقة الحمد في الله ، فظهر انّ وجود المظهر ، والصّورة منتسب الى من ظهر وتصوّر فيه ، فكذلك محموديّته وجميع شئونه الثّبوتيّة منتسبة اليه اوّلا وحقيقة ، ثمّ الى المظهر ثانياً ومجازاً ، فمن عرف ذلك ، ورأى الخير كلّه من الله لا يطمع في غيره ، ويخلّص من رعونات الرّياء والسّمعة والنّفاق ، ويخلص عباداته من هذه الجهة ، وهكذا يخلص من اكثر الاخلاق الرّذيلة التي منشئها الرّغبة والرّهبة من النّاس ، وبالجملة حال الحمد معرفة النّعمة ، وإظهارها ، والرّضا من المنعم ، فمن صدق قلبه وعمله حمده باللسان فهو الحامد ومن لم يصدّق قلبه عمله ولسانه ، فهو منافق ومدلّس :

« برزبان الحمدو إكراه از درون از زبان تلبيس باشد يا فسون »

ثمّ إنّما قلناه من كون الحمد هو الثّناء باللّسان ، انّما يعمّ لسان الحال والقال ، والاّ وما من شيء الاّ يسبّح بحمده ، كما نطق به القرآن .

رب العالمين : اي مبلغ كلّشيء من العقل الاوّل الى مرتبة الجمادات ، بجميع اجزائها وجزئيّاتها ، وافرادها وجهاتها الى كماله الّذي حكم به حكمته ، واقتضته اسمائه بتدبير اموره ، وتغذيته ، وتنميته وحفظه وامساكه ، وجميع لوازمه ، فان الربّ صفة مشبّهة بمعنى اسم الفاعل ،

والتّربية يتبع المربّي في كماله ، والعالمين جمع العالم ، والربّ مضاف الى الجمع المحلّى باللاّم ، فيفيدأنّ ربوبيّته تعالى شاملة لكلّ ما في الوجود بجميع جهاتها ، وهو متوحّد في هذه الرّبوبيّة ، ووجه الشّمول انّ لفظ العالم إنّما يطلق على جملة ما سوى الله ، وعلى كلّ نوع من أنواعها، فكأنه اعتبر في اطلاقه اجتماع امور مع نحو اتّحاد بينها، مثلاً يقال: عالم الافلاك عالم الملكوت، ويجمع ويقال عوالم الافلاك، وعوالم الملكوت من جهة انّ الافلاك ، وكذا الملكوت مشتملة على عدّة امور مجتمعات بين افراد كلّ منها متحد في جهة ، ويقال : عالم العقول ، عالم الأرواح ، عالم الانسان ، وعالم زيد ، بل يقال عوالم زيد ، لان كلّ فرد من افراد الانسان كانّه نسخة مختصرة من العوالم كلّها بالقوّة ، فباعتبار هذه القوّة ، هو مركّب من العوالم الغير المحصورة .

وبالجملة العوالم كثيرة جدّاً ، وفي بعض الأخبار إنّ في عالم المثال ثمانية عشر الف عالماً .

وروى الصّدوق في آخر الخصال عن الباقر (ع) ، انّ الله خلق الف الف عالم ، والف الف آدم ، ونحن في آخر العوالم ، وآخر الآدميّين .

وبالجملة انّ الله بحكم هذه الآية ، ربّ جميع هذه العوالم حتّى الجنّة والشّياطين كما صرحّ بذلك في دعاء ليلة العرفة ، بقوله : وربّ الشّياطين ، وما أضلّت .

وبالجملة مفيض وجود جميع الاشياء الى ابد الآباد ، بعد إيجادها اوّلا ، إنّما هو الله ربّ العالمين ، فجميع العوالم مع اجزائها وجهاتها ، قائمة بتربيته ، وربوبيّته ، فمن امعن نظره في العالم ، رأى العوالم كلّها قائمة بالربّ تعالى ، ورأى إنّ ربوبيّته تعالى ، وتربيته ليس كتربية الملاّك للأملاك ، ولا كتربية الآباء للاولاد ، ولا كتربية النّفس للاعضاء ، ولا كتربية النّفس للقوي ، ولكن تربية النّفس للقوي اشبه بتربيته تعالى من

غيرها ، من حيث انّها محصّلة للقوي ومقـوّية لهـا ، وحافـظة ، ومبلّغة لهـا الى كمالاتها الاوّليّة ، والثّانويّة .

وبـالجملة العوالم كثيـرة بعضهـا محيط بـالبعض ، كـاحـاطـة المـاء بالأرض ، والهواء بـالماء ، وهكـذا الافلاك البـاقية ، حتّى ينتهي الى فلك الافـلاك ، ومحدّد الجهـات الّذي هـو منتهى الاشـارات الحسيّـة المحيـطة بجميع الاجسام ، وهو اصفاها ، والطفها بحيث يشبه طـرفه الاعلى بعـوالم المثـال ، وهي محيطة بـه ، وبما دونـه احـاطـة لـطيفـة لا يسـاوق احـاطـة الاجسـام الماديّـة بعضهـا ببعض ، وهي عـوالم كثيـرة بعضهـا فـوق بعض ومحيط بـه ، حتّى ينتهي الى الطف عـوالمهـا الّـذي يشبـه في اللّطف الى عوالم النّفوس المجـرّدة ، عن المادّة والمقـدار ، وهكذا الى ان ينتهي الى العقـل الأوّل ، والنّور الأوّل ، وهـو اقرب الخـلايق كلّها من الله الجليـل ، ومحيط بـالكلّ احـاطة عقليّـة ، والمحيط به هـو الله ، ولكن باحـاطـة غيـر مساوقة لاحاطة غيره من المراتب ، نعم احاطة العقـل الاوّل اشبه بـاحاطتـه من احاطة غيره بما دونه .

ويـــدلّ على هــذا التّــرتيب الكلّي اجمـالا ، كلمــات المعصــومين (ع) ، لا يحافي مطاوي بعض الادعيّة والخطب .

ومن جملة ذلـك ، قـول امير المؤمنين في خـطبتــه الّتي قـال ثقــة الإسـلام : انّها من مشهـورات خطبـه عند ذكـر العوالم ، وكـلّ شيء منهـا لشيء محيط ، والمحيط بمـا احاط منهـا الله الـواحـد الأحـد ، بـل الّـذي يقوله اهـل التّحقيق : انّ كلّما في هـذا العالم عـالمنا الحسي من الجـواهر والاعراض ، فله حقيقة في عالم المثال ، ولكن صفاته وآثـاره انّما ينـاسب بعـالمه ، بـل لكلّ محسـوس وجود في كـلّ عـالم من عـوالم المثـال على حده ، ولكلّ شيء فيها حقايق في العـوالم الّتي فوقهـا ، ولكن يختلف آثار تلك الحقـايق وصفاتهـا ، وصورهـا بـاختـلاف العـوالم ، ففي كـلّ عـالم لحقيقة واحدة آثار وصفات على حدة ، تناسبها مثلا حقيقـة العلم في عالمنـا

هذا كما نرى ، وفي بعض عوالم المثال له صورة كصورة اللّبن .

ومن الأخبار الّتي يمكن الاستدلال ، والاستيناس لما ذكرنا ، ما دلّ على انّ الاشياء تنزل من السّماء الى الارض ، وتعرج منها الى الله في يوم مقداره خمسين الف سنة .

وفي القرآن المجيد : وان من شيء الاّ وعندنا خزائنه ، وما ننزّله الاّ بقدر .

وفيه : وفي السّماء رزقكم وما توعدون .

وفي الأخبار انّ الله خلق ملكاً في صورة الإنسان ، يسترزق للادميين وملكاً في صورة الثّور ، يسترزق للبهائم ، وهكذا .

وفيها : خلق جوهراً فخلق منه الماء ، وخلق من زبد الماء الارض ، ومن دخانه السّموات ، وخلق من التراب الإنسان .

وفيها : كما مر خلق من اسمه المكنون ، اثنى عشر اسماً ، وخلق من كلّ منها ثلثين اسماً ، فعلا منسوباً اليها .

وفيها : انّ الله تعالى خلق الف الف عالم ، والف الف آدم .

وعن امير المؤمنين (ع) : قد دورتم دورتم دورات ، وكورّتم كورات .

وهذا محمول على ما دلّ على التنزّلات الوجوديّة ، ويمكن ان يستدلّ لذلك بكلّ ما دلّ على انّ الملائكة وسايط فيض الاله في العالم ، لانّ عوالم الملائكة مختلفة ، بعضهم من عوالم المثال ، وبعضهم من عوالم النّفوس ، وبعضهم من عوالم العقول .

وبالجملة كما انّ العوالم في قوس النّزول مترتّبة ، فكذلك في قوس الصّعود .

وممّا يدلّ على ذلك في قوس الصّعود ، الاخبار الّتي دلّت على

تجسّم الاعمال في البرزخ ، والقيامة واختلاف صور الآدميّين في البرزخ ، والقيامة ، حتّى في بعضها انّ الاعمال والاوقات يجيء يوم القيامة مجتمعة في وقت واحد ، ويجيء يوم الجمعة كالعروس ! والصّلوة يجيء في صورة شابّ حسن الوجه ، بل وفي بعضها انّ حقايق الجمادات ايضاً في الآخرة ذوات حياة ، ونطق وشعور ، وانّ عالم الاخرة هي دار الحيوان ، وكلشيء فيها حيّ ناطق شاعر ، وللاعراض فيها احكام جواهر هذا العالم ، ويفهم منها انّ الله تعالى انّما جعل الصّورة الانسانيّة انموذجاً لكل ما في جميع العوالم ، ونسخة مختصرة من اللّوح المحفوظ .

كما يشير اليه الابيات المنسوبة الى امير المؤمنين : اتزعم انّك جرم صغير آه .

وقوله (ص) : اوّل ما خلق الله نوري .

وقولهم : وخلق من نورنا انوار شيعتنا ، قبل ان يخلق الملائكة ، فسبّحنا ، وسبّحت شيعتنا ، وسبّحت الملائكة ويدلّ عليه تعالى قوله تعالى : وعلّم آدم الاسماء كلّها ـ اه .

وبالجملة كلمة اهل التّحقيق من علمائنا مجتمعة على انّ الصّورة الانسانيّة صورة جامعة لجميع ما في العوالم كلّها بالقوّة ، فكما انّ الله تعالى اودع فيها من جميع انواع ما في هذا العالم الحسّي ، من جواهره واعراضه ، فكذلك جعلها معجوناً مركّباً من جميع ما في العوالم العالية فوق هذا العالم ولكن بالقوّة ، وفي معراج السّعادة ، عن الصّادق (ع) : الصّورة الانسانية اكبر حجّة الله على خلقه ، وهو الكتاب الّذي كتبه بيده ، وهو الهيكل الّذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من العلوم في اللّوح المحفوظ ، وهي الشّاهد على كلّ غائب ، والحجّة على كلّ جاحد وهي الطّريق المستقيم على كلّ خير ،

وهي الصّراط الممدود بين الجنّة والنّار .

اقول : فعلى هذا ما يمنع العاقل ان يتدبّر في كتاب نفسه ، ليظهر منه ما خفي عليه من اسرار عالم الكون ، بكلمات نفسه ، وحروفها ، اما سمعت ما في ابيات امير المؤمنين (ع) : باحرفه يظهر المضمر ، والله تعالى يقول : سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم ، وكيف كان يجب على العبد بحكم العقل بعد التّفطّن بانّ ربّه يربيه في جميع عوالمه من جميع جهاته الّتي لا يحصيها هو نفسه في جميع آفاته ، بل لا يشعر منها الّا الاقل ، ان يحب هذا الربّ الودود ، ويخدمه بما يمكنه من عباداته ، ويخلص في عباداته ، ويوحّده في ربوبيّته ، ويترقّى عن مراقبة غيره في حركاته وسكناته كلها فضلاً عن عباداته ويستحي منه عن قصوره وغفلته عنه مع فقره اليه من وجوه غير محصورة ، وذكره تعالى له مع غناه عنه في جميع هذه الجهات ، وغيرها .

ثمّ انّ توحيد الربّ تعالى في ربوبيّة عزيز المنال ، علماً واعتقاداً صعب الاشكال حالا وعملا ! والمتخلّق بهذا العلم والحال والعمل هم العارفون الكاملون ، المتخلّصون من اكثر رعونات العامّة في اعمالهم واحوالهم وافعالهم لا سيّما هموم الدّنيا والرّياء في العبادات ، ومراقبات العباد في الحركات والسّكنات ، لا سيّما اذا صارت هذه الاوصاف ملكة للعبد ، فيورث له تعظيم الربّ تعالى والانكسار ، والحياء والخشوع والاخبات ، والانقطاع والوقوف على حدود الفقر الاتم ، والاحتراز عن ارتداء شيء من مراتب جلال الربوبيّة فان انكشف له حقيقة معنى ربوبيّته ، ورأى جميع اجزاء العوالم من جهات كثيرة تحت تربيته تعالى ، وتحت مراقبته ورأى نفسه بجميع عوالمه مستغرقةً في نعمه في افاضة وجوده ، وحفظه ورزقه واصلاحه ، وتدبير اموره وتبليغه الى كماله اللّايق به ، يفيض عليه بجوده ، ويرزقه من فضله ، ويحفظه في كنفه ، ويحميه في ظلّ عنايته ، ويصلح جميع شؤونه بمنّه حتى يبلغه كماله في جميع

هـذه الصّفات والشّؤون ، على اتمّ الـوجـوه ، واكمـل السّعـادات و انّـه لا يـرضى لـه في ذلـك بنعمـة دون اخـرى ، حتّى يتمّ لـه جميـع النّعم ، وصنـوف المنن بحيث لا يهمل لـه تصفية لـونه ، وتـزيين صـورتـه وتـرتيب جفـونه وتمـريض عينيه ، وتقـويس حاجبـه ، وتأمّـل في مراقبتـه تعـالى في مـراتب حفـظه من اصنـاف هـذه المهلكـات ، والمـوذيـات والمـولمـات ومنغّصات العيش والسّعادة ، والكمال في جزء جزء من اجزاء بـدنه واجـزاء عوالم خياله وساير قواه وقلبـه وروحه ، وسـرّه في جميع تقلّبـاتها فيـذعن لا محالة ان يشكر له لبعض هذه النعم بقدر الامكان ، ولا يعارضـه لا محالـة بالتعرّض لمراسم كبريائه في حـدود عوالم الـرّبوبيّـة ، فان حكم المـربوب المـطلق من جميع الـوجوه ، بـالنّسبة الى الـربّ المطلق من كـلّ الجهـات ليس الّا الاخلاص الصّادق في جميع حدود العبوديّة .

والمخلص كما عن مصباح الشّريعة ذائب روحـه ، وباذل بهجتـه في تقـويم ما بـه العلم والعمـل ، والعـالم والمعمـول بـالعمـل ، وهـو تصفيـة معاني التّنزيه في التّوحيد .

اقول : من جملة لوازم هذا التّوحيـد ، ان لا يرى غيـره تعالى ضارّاً ولا نافعاً ، بل ولا مؤثّراً في الوجود ، والعمل على ذلك مـع ما يتـراءى في هذا العالم بمقتضى كونه دار غـرور من وجود الأسبـاب ، وتخيّل تـأثيراتهـا صعب المنـال لا ينال الّا بمعـرفـة كـاملة ، وكشف عـوالم الغيب ، وغلبـة السرّ ، ولعلّ العمل على ذلك هو المراد بالاستقامـة الّتي في قولـه تعالى : واستقم كمـا امـرت ، في سـورة هـود الّتي ، قـال رسـول الله (ص) فيهـا شيبتني سورة هود ، وقيـل قاله : لمكـان هذه الايـة ، ولا يذهب عليـك انّ في تصـوّر ربوبيّتـه تعـالى بجميـع هـذه العـوالم ، بعـد تشـريـح جـزء من اجـزائها مـا يبهـر العقـول ، مثـلا اذا عقـل الانسـان انّ نسبـة هـذا العـالم المحسـوس ، الى عـوالم الجبـروت مـاذا ، لانّهـا او بعضهـا عــوالم غيـر متنـاهية ، ونسبـة المتناهي الى غيـر المتنـاهي معلوم ، ثمّ يتفكّـر في هـذا

العالم المحسوس الّذي فرضنا انّه اصغر العوالم ، واضيقها ، واحقرها ، وراجع تارة الى علم الهيئة وقدر في نفسه ما ثبت في هذا العلم ، من وجود الافلاك ، ونجومها وكواكبها مثلا ، ذكروا ان للكواكب الثّابته كلّها شمس كشمسنا هذه في فضاء غير متناه ، ولكلّ منها اراضي ، وذكروا في سعة مقدار هذا الشّمس ، انّها تزيد على كبر ارضنا هذه باثني عشر الف مليون ، فانظر انت ايها الانسان الحسّي ، بعين حسّك نسبة كبرها الى الفلك الرّابع ، الذي هي فيها ، كيف نسبتها اليه في الكبر والصّغر ، ثمّ تفكّر فيما ورد انّ الفلك الرّابع ، بالنسبة الى الخامس ، كحلقة في فلاة ، وهكذا الى الفلك السّابع ، والى الكرسي ، والى العرش ، ثمّ راجع الى ارضنا هذه ، وتأمل في سعتها ، وانسب سعة جثّتك الى تمامها ، ثمّ اترك الكلّ ، وخذ من بدنك هذا ما في عينك من الاجزاء ، والخواص ، والتّدابير ، وشرايط الصّحة ، وراجع عكوس تشريح طبقاتها ، واستارها ، وعروقها ، وتقدير غذائها ، والتّدابير الّتي استعملت لكلّ واحد من اجزائها ، واندفاع ما بقي من فضلة غذائها ، والتّدابير الّتي استعملت في اشكال استارها والوانها ، ورقّتها وسخنها ، والتّدابير الّتي استعملت في وضع كلّ واحد منها على ترتيبها وتفكّر في آفاتها واسقامها وأدويتها ، وما استعمل في خواص ادويتها ، وعلوم علاجها ، وراجع الى اطبّائها ، ومعالجتها ، فانّ عمر انسان واحد لا يكفي لتحصيل تكميل علوم علاجها ، ثمّ انظر ماذا ترى من عظمة امر الرّبوبيّة بالنّسبة الى جميع بدنك ، ثمّ الى ابدان جميع الاناسي ، ثمّ ساير الحيوانات ، ثم عوالم النّبات وجمادات هذه الارض ، ثمّ ثمّ ثمّ ثمّ ، حتّى ينتهي الى آخر ذرّات المحسوسات من الافلاك والكواكب والكرات ، ومخلوقاتها ، ثمّ في عوالم المجرّدات من المادّة ، من عوالم المثال ، ثمّ في عوالم النّفوس والارواح ، ثمّ في عوالم العقول وقل عن حقيقة قلبك وسرّك ، وروحك وشراشر وجودك : سبحان ربّي العظيم وبحمده ، حتّى تؤدّى حقّ ادب ربّك العظيم ، وتصير اهلا لقربه ، والفناء بفناء ربك الاعلى .

﴿الرحمن الرحيم﴾ قـد مضى الاشارة الى تفسيـرهـا ، ولكن يلزم في المقام الاشارة الى وجه تكرار هذين الاسمين في سورة الفـاتحة ، في خبـر المعراج ، فقال : الحمـد لله ربّ العالمين ، وقـال النبيّ (ص) في نفسه : شكراً : فقال الله : يـا محمّد (ص) قـطعت حمدي ، فسمّ بـاسمي ، فمن اجـل ذلـك جعـل الـرّحمن الـرّحيم في الحمـد ، وفي بسم الله الـرّحمن الرّحيم مرّتين ، ولعلّ المراد انّ قـوله (ص) شكـراً في نفسه ، من جهـة انّه ليس بعنوان قرائة كلام ربّـه قطع لقـرائة الحمـد الّذي هـو كلام الله وحمـد الله لنفسه ، فلزم لابتدائه ثانياً ذكر اسمه تعالى ، فـذكره بـالرّحمن الرحيم، لانّ المقام مقام الحمـد ، فاقتضى ذكـر الرحمن الـرّحيم ، او لانّ اسم الله قد تكرّر فاختيارهما للتّسوية في التّكرار بين هذه الاسماء .

وقيل : اصل التّكـرار من جهة انّ الاوّل اشـارة الى توصيف اسم الله بهمـا ، والثاني اشـارة الى توصيف الـذّات ، وتقـديم الأوّل على الثّـاني ، لعلّه للتنبيـه على مقام العبـد القاري ، فيكـون مقامـه اوّلا النـظر الى مقـام الاسماء ثمّ الى مقام الذّات .

وقيـل : يحتمـل ان يكـون المـراد من ذكـرهمـا في التسمية ، نفس الصّفتين من حيث انفسهمـا ، وفي مقـام الحمـد من حيث ظهـورهمـا في العالم .

﴿مالك يوم الدين﴾ وقرء ملك ، وغيرهما ، والاصل فيهما واحد ، وهـو الاستيلاء والقدرة ، والافتـراق من الصيغ ، وكيف كـان ليس مالكيّتـه تعالى كمالكيّة الملاّك لاملاكهم ، ولا كمالكية الملوك لممـالكهم ، ولا كمالكيّـة النّفوس ، للاعضاء ، ولا كمالكيّتها للقوى والصّـور العلميّة ، بـل هي اجلّ واعلى من هذه كلّها ، إلاّ انّ مالكيّة النّفوس للصّور العلميّـة اشبه لمـالكيّته تعالى من غيرها ، لقيامها بالنّفوس ، وايجادهـا بمجرّد الالتفـات ، وافنائهـا مجرّد الاعراض .

يـوم الدّين : يـوم الحساب والجـزاء ، او الشّرع وكلّهـا منطبقـة ليوم

القيمـة ، لها اسمـاء كثيرة منتزعـة من صفـاتهـا ، ووقـايعهـا كيـوم الحشـر والنّشر ، ويوم الندامة ، ويوم الحسرة ، ويوم الطّامّة ، وغيرهـا ممّا عبّـر بها في كلمـات المعصومين ، اخبـارهم وادعيتهم ، وطولـه على ما في القـرآن خمسـون الف سنـة ، فعن النبيّ (ص) انّــه تلى يـوم يقــوم النّـاس لــربّ العالمين .

ثم قــال : كيف بكم اذا جمعكم الله ، كمــا يـجمـع النـبــل فـي الكنـانـة ، خمسين الف سنـة ، لا ينـظر اليكم ، وقــال تعـالى في جــزاء الاعمـال والمظالم ﴿ ولا تحسبنّ الله غـافلا عمّـا يعمـل الـظّالمـون ﴾ انّمـا يؤخـرهم ليوم تشخص فيه الابصار ، مهـطعين مقنعي رؤوسهم ، لا يرتـدّ اليهم طرفهم وافئدتهم هواء .

روي في الكـافي باسنـاده ، عن سيّد العـابـدين (ع) قـال : حـدّثني ابي (ع) انّـه سمـع ابـاه اميـر المؤمنين (ع) ، يحـدث النّـاس ، قـال : اذا كـان يوم القيمـة ، بعث الله النّاس من حفـرهم بهما جـرداً مرداً في صعيـد واحـد ، ليسوقهم النـور ، ويجمعهم الـظّلمـة ، حتّى يقفـوا على عقبـة في المحشـر ، فيـركب بعضهم بعضــاً فيـزدحمــوا ، دونهـا ، فيمنعـون من المضي ، فيشتدّ انفاسهم ، وبكثر عروقهم ويضيق بهم أمورهم ، ويشتد ضـجيجهم ، ويرتفع اصواتهم ، فقـال ، هو اوّل هـول من اهـوال القيمة ، قـال : فيشـرف الجبـار تعـالى عليهم من فـوق عـرشـه في ظلال من الملائكـة ، فيأمـر ملكاً من المـلائكة ، فينـادي فيهم : يا معشـر الخلايق انصتوا ، واستمعوا منادي الجبّار ، قال فيسمـع آخرهم كمـا يسمع اوّلهم ، قــال : فيسكن اصــواتهم عنــد ذلــك ، وتخشــع ابصــارهم ، وتضـطرب فـرائصهم ، وتفـزع قلوبهم ، ويـرفعـون رؤوسهم الى نـاحيــة الصوت ، مهطعين الى الدّاعي، قال : فعند ذلك يقـول الكافـر ، هذا يـوم عسير ، قال ، فيشرف الجبّار تعـالى ذكره الحكم العـدل عليهم ، فيقول : انـا الله الّذي لا إلـه الاّ انا الحكم العـدل . الّذي لا يجـور اليـوم ، احكم

بينكم بعدلي ، وقسطي ، ولا يظلم اليوم عندي احد ، اليوم آخذ للضّعيف من القوي حقّه ، ولصاحب المظلمة بالمظلمة ، بالقصاص من الحسنات والسيّئات وانتسب على الهبات ، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ، ولاحد عليه مظلمة الاّ مظلمة وهبها صاحبها ، وانتسبه عليها ، واخذله بها عند الحساب تلازموا ايّها الخلايق ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدّنيا ، وانا شاهد لكم بها عليهم ، وكفى بالله شهيدا قال : فيتعارفون ، ويتلازمون ، فلا يبقى احد له عند احد مظلمة او حقّ الاّ لزمه بها ، فيمكثون ما شاء الله ، فيشتدّ حالهم ، ويتكثّر عرقهم ، ويرتفع اصواتهم بضجيج شديد ، فيتمنّون المخلص منه بترك مظالمهم لاهلها ، قال : فيطّلع الله تعالى على جهدهم ، فينادي مناد من عند الله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع اوّلهم : يامعشر الخلايق انصتوا لداعي الله ، واسمعوا ان الله تعالى يقول : انا الوهّاب ان احببتم ان تواهبوا فتواهبوا ، وان لم تواهبوا اخذت لكم بمظالمكم ، قال : فيفرحون بذلك لشدّة جهدهم ، وضيق مسلكهم ، وتزاحمهم ، قال : فيهب بعضهم مظالمهم رجاء ان يتخلّصوا ممّا هم فيه ، ويبقى بعضهم فيقول : ربّنا مظالمنا اعظم من ان نهبها ، قال فينادي مناد من تلقاء العرش : اين رضوان خازن الجنان ، جنان الفردوس ، فيأمره الله تعالى ان يطلع من الفردوس قصراً من فضّة بما فيه من الانية والخدّام ، قال : فيطلعه عليهم في حفّافة القصر الوصايف والخدام ، قال : فينادي مناد من عند الله تعالى : يا معشر الخلايق ارفعوا رؤوسكم ، فانظروا الى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤوسهم ، فكلّهم يتمنّاه ، قال : فينادي مناد من عند الله هذا لكلّ من عفى عن مؤمن ، فيعفون كلّهم الاّ القليل ، قال : فيقول تعالى لا يجوز جنّتي اليوم ظالم ، ولا يجوز الى ناري اليوم الاّ ظالم ، ولا احد من المسلمين عنده مظلمة ، حتّى يأخذها منه عند الحساب ، ايّها الخلايق استعدوا للحساب ، قال : ثمّ يخلّى سبيلهم ، فينطلقون الى العقبة ، فينكرون بعضهم بعضاً ، حتّى ينتهوا الى العرصة ، والجبّار

تعالى على العرش قال قد نشرت الدّواوين ، ونصبت الموازين ، واحضر النّبيّون ، والشهداء ، وهم الائمّة ، يشهد كلّ امام على اهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بامر الله تعالى ، ودعاهم الى سبيل الله .

اقول : في اهوال القيمة واحوالها ، وشدايدها وكيفيّاتها تفاصيل كثيرة في الاخبار ، تركناها لعدم احتمال المقام كلّها ، وانّما ذكرنا هذه الرّواية لما فيها من الاشارة الى بعض الجهات الّتي ترد على اهل الايمان في اهمّ الحقوق ، من الرّفق ، واللّطف ، بعثاً للقلوب للرّجاء والحياء ، ثمّ انّ لهذه الاسماء الخمسة تأثيراً لاصحاب اليمين من المتّقين في استجلاب بعض الصّفات الحسنة لقلب القارى من الخضوع ، والتّذلل لله تعالى ومن الحياء والخدمة والذكر الدائم ، وقطع الطّمع عن غير الله ، فما يرغب ويرهب الاّ لربّ العالمين ، والرّجاء الى رحمة الرّحمن الرّحيم ، والطّلب من فضله ، والاطمينان بمواعيده ، وعدم الالتفات الى خير الغير وشرّه ثمّ الخوف من عقوبة يوم الدّين وشدايده واهواله ، وحياء العرض على مالكه ، فانّ ذلك امر عظيم كما سمعته فيما نقلناه عن مصباح الشّريعة ، والافتضاح على رؤوس الاشهاد ، هذه كلّها لاصحاب اليمين ، وامّا العارفون فلهم عنذ كرها تأثرات ، وتنقّلات فاخرة عند انكشاف حقيقة هذه الاسماء ، وتجلّيها على اسرارهم وارواحهم ، وقلوبهم بالتّرقّي عن علم اليقين الى عين اليقين ، وعنه الى حقّ اليقين .

ومن ذلك ما روي من غشوة الصّادق (ع) ، عند تكرار مالك يوم الدّين .

وما روي عن السجّاد انّه اذا قرئه يكرّره ، حتى يكاد ان يموت ، وبالجملة للعارفين عند ذكر اسماء الله الحسنى حالات سنيّة ولذّات فاخرة ، وتفرّجات عالية في متنزّهات دار الجلال ، وتانّسات ناعمة من تجلّيات انوار صفات الجمال في دار الوصال .

وبالجملة يسير في هذه الاسماء في جميع العوالم من مبدئها الى

منتهيها ، بل يرى المبدء والعـالم ، والمنتهى ، ويتفرج بـالتدبّـر في الاسم الاخير ، في تفاصيل عوالم القيمـة ، كما صـرّح به في خبـر المعراج ، ثمّ انّ ترتيب هذه الاسماء بهذا المنوال انّما هو مطابق للتـرّتيب الواقعي ، فـانّ مقـام لفظ الجلال مقـدّم على مقام الـرّبوبيّـة ، ومقام الـرّبوبيّـة مقـدّم على الرّحمة الرّحمانيّـة وهو مقـدّم على مقام الـرّحيميّة ، ومقـام الرّحيميّـة مقدّم على مقام الاسم الاخير ، لانّ الرّحمة الرّحيميّة ظهـورها التفصيليّ انّمـا هو يوم الجزاء ، ويـوم الجزاء اصله الـرّحمة ومـا تظهـر فيه من العقـوبة والنّـار انّمـا مبناه ايضـاً على الـرّحمـة على المـظلوم ، واهـل الـدّين لانّ الغضب عرضيّ خلق ايضاً للرّحمة .

ثمّ انّ اضـافة الملك الى يـوم الدّين من اضـافة الصّفـة المشبّهة الى غير معمولها ، كقولك : ملك الزّمـان ، فيكون منعـوته وإضـافة مـالك اليـه باجراء الظّرف مجرى المظروف مجازاً ، او يجعـل اليوم عبـارة عن النشـأة الآخـرة ، وعلى ايّ حـال تخصيص المـالكيّـة او الملك ، ليـوم الـدّين من جهـة اختصاص ظهـورهما التّـامّ التّمام لـذلك اليـوم ، فانّ ذلـك اليـوم اي النشـأة الدّنياويّة من جهة كونها دار غـرور قد يتـراى فيها مـالك غيـره تعالى من عبـاده ، ولكنّ يوم القيمـة يوم لمن الملك اليـوم ، فيـظهـر فيـه سلطان الله ، ويضمحـلّ فيه سلطان العبـاد ، وملكهم من رأسه ، وينكشف تـوحيد الحقّ في مالكيّته بجميـع العالمين ، بخـلاف دار الدّنيـا فانّ تـوحيد هـاتين الصّفتين ، وكذا ساير الصفات فيهـا غير ظـاهرة على العـامّة وغيب بـالنسّبة اليهم ، وان كـان منكشفـاً على اهـل المعـرفـة ، ولكنّـه من جهـة نـدرتـه لاحكم لـه فاختص ظهـور اختصاص المـالكيّة بيـوم الـدين ثمّ انّ في ذكـر الاسماء الخمسة في المقـام اشعاراً بـانحصار جهـات الحمد فيهـا ، فكانّـه يقال للعبد: ان كان حمدك لاحد لكماله وجمالـه ، وجلالـه ، فيجب ، ان ينحصـر في الله ، لانّ ذلك كلّه لـه ، ولا كمال لاحـد الاّ وهـو منـه ، ولـه وبـه ، وان كان لكـونه محسنـا : فجميع الاحسـان من ربّ العالمين ، وان

كان لرجاء فضل ، ونعمة ورحمة دينيّ او دنيويّ ، فمالك جميع النّعم ، ومعطيها الرّحمن الرّحيم وان كان لخوف من سطوة سلطان فالسّلطان القاهر انّما هو مالك يوم الدّين فلا ينبغي الحمد الاّ لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم مالك يوم الدّين .

﴿اياك نعبد وإياك نستعين﴾ اي لا نعبد سواك ، ولا نخضع لغيرك ، او لا نريد من عبادتنا مطلوباً غيرك ، كما ورد كلاهما في الاخبار ، والحصر يعرف من تقديم ايّاك ، ولا سيّما بملاحظة انفصال الضّمير . مع امكان اتّصاله ، هذا انّما هو في المعنى الاوّل ، وامّا المعنى الثّاني ، فبتقريب انّ التشريك في المطلوبيّة انّما ينافي توحيده في كون الخير منه ، وانّ الكمال والجمال له ، وانّ الوجود الحقيقي له ، فيكون حقّ العبوديّة ان لا يرى غيره شريكا له في ذلك كلّه ، فينحصر المطلوبيّة ايضاً فيه ، وايضاً انّ من استحق لحصر جميع وجوه العبودية له ، استحقّ جميع وجوه المطلوبية .

قال بعض المحققّين : يمكن ان يكون في تقديم الضّمير على الفعل ايضاً اشارة لطيفة الى ذلك ، فكانّه بتقديمه يشير الى انّ المعبود احقّ بالتقدّيم في كلّ اللّحظات ، فيجب ان يكون نظر العبد في جميع تقلّباته اوّلا اليه ، ثمّ به الى غيره من حيث نسبته اليه ، لا من حيث نفسه ، فيكون في لحاظ المطلوبيّة ايضاً كذلك ، بل لا يمكن التّوحيد الكامل في العبادة ، الا بأن لا يكون للعبد هوى في غيره لان النفس لا بدَّ له من الخضوع والميل الى ما يهواه ، فلا يخلص التّوحيد في العبادة .

ثمّ ان في ايراد الفعل بصيغة المتكلّم مع الغير ، تأدّباً عن عدّ نفسه لايقاً لمقام العبوديّة صفة مشتركة في جميع ما سواه ، فلا وجه للانفراد والاختصاص ، وتشرّفاً بضّم عبادته بعبادة عباد الله الصّالحين واستعطافا بذكرهم مع نفسه ، واحترازاً عن الدعوى الكاذبة ، بطريق

تغليب عبادات المخلصين على عبادته في دعوى الاخلاص ، فيكون في دعوى الاخلاص من جهة عبادتهم صادقا .

ثمّ ان الالتفات في هذه الاية من الغيبة الى الخطاب ، فكأنّه اشارة الى انّه ينبغي للقاري ان يكون بذكر هذه الاسماء مترقّيا من عالم البعد الى القرب ، ومن الغيبة الى الحضور ، فكأنّه يرى بقلبه الله جل جلاله ، ويخاطبه عن حضور بقوله : إياك نعبدوإياك نستعين .

في الحديث القدسي : انا جليس من ذكرني .

ثم انّ للعبوديّة ظهوراً في جميع عوالم العبد ، وشؤونه من عالم عقله ، وروحه ونفسه وقلبه واجزاء بدنه من رأسه الى قدمه ، وفي حركاته وسكناته كلّها والى بعض مراتبها اشير في حديث[1] عنوان البصري ، وهو ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكا ، لان العبيد لا يكون لهم ملك ، بل يرون المال مال الله ، يضعونه حيث امر الله ، وان لا يدّبر لنفسه ، وان يكون جملة اشتغاله بما امره الله تعالى ونهاه عنه ، فاذا لم ير العبد فيما خوّله الله ملكا ، هان عليه الانفاق ، واذا فوّض العبد تدبير نفسه الى مدبّرها ، هانت عليه مصائب الدّنيا ، واذا اشتغل العبد فيما امره الله ونهاه ، لا يتفرّغ منهما الى المراء والمباهات فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاث، هانت عليه الدّنيا والرّياسة والخلق ، ولا يطلب الدّنيا تفاخراً ولا تكاثراً ، ولا يطلب عند النّاس عزّا وعلوّاً ولا يدع ايّامه باطلة ، فهذا اوّل درجة المتقين ،

أقول: القول الجامع في مراتب العبودية ان يرى العبد نفسه ، وجميع العالمين من جميع الجهات ، فقراء الى الله الغني عن الكلّ من كلّ الجهات والمغنى لكلّ غنيّ كذلك ويعمل بمقتضى ذلك ، والنّاس في ذلك على مراتب لا تحصى ، فالكامل في العبودية التّامّة من جميع

---

(١) رواه شيخنا البهائي «ره» في الكشكول عن الشهيد .

الوجوه في جميع الانات ان وجد فهو اعرف الخلايق كلّهم ، واقربهم الى الله ، وهو سيّد الانبياء ، خاتم النّبيّين ، وخلفائه الاثنى عشر المتّحدين معه في المعرفة ، وهم الكاملون في مراتب التّوحيد في جميع وجوهه ومراتبه ، وبعدهم الاعرف فالاعرف ، وهكذا الى ان ينتهي الى آخر عوالم اصحاب اليمين ، وادنى مراتب المسلمين الموحّدين ، وهو الّذي يوحّد الله في الخالقيّة ، ولا يستكبر بتشريكه في نصب النّبوّة والخليفة ، وهذا ينفعه توحيده بالاخرة في انجائه من الخلود في العذاب الدائم ، ويكون عاقبة امره الى رحمة الله والجنّة ، ولو بعد حين ، والمراتب الثّلاث المذكورة في الرّواية ، منشأها توحيده تعالى في المالكيّة ، والرّبوبيّة والمعبوديّة الّتي هي من شؤون الالوهيّة ، فانّ العبد اذا رأى الملك كلّه لله ، لا يرى لنفسه ولا لغيره ملكا ، واذا رأى انّ الله هو الرّبّ المطلق ، اي لم ير لاحد تأثيراً في التّربيّة والايصال الى الكمال في شيء من الامور ، يرى التّدبير كلّه لله ، وانّ غيره لا يقدرون لانفسهم نفعا ولا ضرّا ، ولا موتاً ولا حيوةً ، ولا نشوراً ، واذا رأى ان لا اله الاّ الله ، وانّه لا يستحقّ احد شيئاً من وجوه المعبوديّة ، اشتغل بالعبوديّة والطّاعة في جميع شؤونه وحالاته ، فلا يتفرّغ الى شيء عن ذلك .

﴿**وإياك نستعين**﴾ على طاعتك ، وعبادتك ، وعلى دفع شرور اعداءك ، وردّ مكائدهم ، والقيام على ما امرت .

والظّاهر انّ المراد من دفع شرور الاعداء ، ومكائدهم ما يكون من جهة مناقضتها لاصل العبادة او تكميلها لتكون الاستعانة خالصة في مراتب العبادة ورجّح بعض المحقّقين ارادة الاطلاق في متعلّق الاستعانة ، من جهة حذف المتعلّق ، لانّ مناسبة المقام قرينة الاختصاص ، وببالي انّ في الاخبار ايضاً نهياً عن الاستعانة في غير جهة العبادة .

وبالجملة حصر الاستعانة من فروع توحيد الرّبوبيّة ، فمن اعتقد ان

لا ربّ الاّ الله ، يرى النّفع والضّرّ كلّه منه ، فلا يرجو الاّ خيره ، وذلك لا يلايم الاستعانة بالغير ، فلا يستعين ، ولا يستغيث ، ولا يفزع ، ولا يلتجى الاّ به ، وهذا التّوحيد امر صعب علماً وحالا وعملا ، فمن وفّق له فله حظ من عوالم العبوديّة ، بل من مراتب المعرفة ، بل من درجات القرب ، رزقنا الله وجميع الطّالبين التّرقّي الى مدارج مراتب المعرفة والزلفى .

ثمّ انّ ما اخترناه من الاستعانة في الاية انّما هي في العبادة بعين وجه التّرتيب بينهما ، لانّ القارى بعد ذكر الآيات الثلاثة ، يفزع الى عرض الاخلاص في العبودية ، بعد الاظهار ، تعيّن له اظهار انّ العبادة لا يمكن لنا الا بعونك .

وقيل انّ الاية بشطريها ينفي الجبر والتّفويض بنسبة العبادة الى العباد ، ولكن بعون الله ، فالله تعالى معين له لا قاهر له بغير ارادته ، بل موجد لافعاله بعد ارادته ، كما انّه خالق لارادته ايضاً على ما يقتضيه ذاته ، فلا جبر لكون الفعل بارادته ، ولا تفويض لكون ارادته موجوداً بارادة الله .

وبالجملة اراد ان يوجد الاشياء بارادة العبد واختياره ، فالعبد من جهة كونه مختاراً في افعاله ، لم يجبر على الفعل ، ومن جهة كونه مجبوراً في مختاريّته ، لم يفوّض اليه الامر ، فلا جبر ولا تفويض .

ثمّ انّ كمال الاستعانة لا يتمّ الاّ بعلوم ، من جهة المستعين والمستعان منه ، العلم بفقر نفسه ، وعلى عدم قدرته على انجاح مطلبه ، والعلم بغناء المستعان ، وقدرته على اعانته وعنايته على المستعين ، وعدم بخله عن اجراء عنايته وعلمه بحال المستعين من فقره ، وكونه صلاحاً له ، فاذا تمّ للعبد هذه العلوم من احوال نفسه وربّه تمّ له حال يقتضي الاستعانة ، ويستدعيه لسان حاله قبل لسان قاله ، وكلّما كمّل اعتقاد هذه الصّفات في نفس المستعين وفي المستعان منه ،

كمل حال الاستعانة ، واذا كمل ذلك ثارت فيوض الرّبّ للاعانة والاجابة ، مثلا اذا انكشف للعبد حقيقة فقره ذاتاً ، ووجوداً وصفةً وفعلاً من جميع الوجوه في جميع الاوقات والاحوال ، ورأى نفسه محتاجاً بل احتياجاً وفقراً في كلّ أن من آناته من جميع الجهات ، حتّى انّه لا يكفيه ايجاده في الآن السّابق لوجوده في الحال ، بل يحتاج في وجوده الفعلي الى ايجاد آخر جديد على ما هو الحق في احتياج الاكوان في الان الثّاني الى علّة محدثة ، وكذا في وجود صفاته يحتاج في كلّ آن الى فيض جديد وايجاد آخر .

وبالجملة رأى نفسه وصفاته وجميع ما يحتاج اليه في جميع آناته فقيراً من جميع وجوه الحيثيات الى ربّه ، ورأى ربّه غنيّاً مطلقاً في جميع هذه الوجوه ، ومنعماً عليه في كلّما هو واجده من وجوه النّعم ، اي لا يحيط بها علمه ، ولا يقدر على احصائها انعم الله عليه بذلك كلّه قبل وجوده ، ووجود فقره ، ومع جهله لوجوه نعمه ، وهو موجود بايجاده ، وحيّ باحيائه ومرزوق برزقه ، وساكن في ملكه ، يتقلب بقوّته في معصيته ، وهو لا يأخذه بمعصيته ، ويؤاخذ من يغترّ بمعصيته ، من دون ان يسئله شيئاً من ذلك ، فكمل عند ذلك رجاءه بعنايته ، ويقوي حال الاستعانة في قلبه ، فاذا استعان بعد هذا الحال فيما لا يضرّه ، فدعائه مستجاب ، وحاجته بالباب ، وان كان دعائه دعاء الشّر بدعاء الخير ، يعطيه الخير بدل ما دعاه من الشّرّ في الدّنيا او الاخرة ، وما في الاخرة خير وابقى ، فالاولى للدّاعي ان يستثنى في دعائه غير الاصلح ، او يشترط الصّلاح والعافية ، اذا لم يكن ممّن يرضي ببلاء الدّنيا مع خير الاخرة .

ولا يذهب عليك انّ ما ذكرنا من شرايط كمال الاستعانة من العقايد في صفات الحقّ تعالى كلّها من لوازم الاسماء الخمسة ، بل كلّ ذلك مندرجة في لفظ الجلالة اجمالا ، وفي الباقي تفصيلا .

﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ عن تفسير الامام (ع) ، وعن المعاني يعني ارشدنا للزوم الطّريق الموديّ لمحبّتك ، والمبلّغ الى جنّتك ، والمانع من ان نتبع اهوائنا فنعطب او ان نتّخذ بآرائنا فنهلك .

وفي بعض الاخبار ، انّه الطّريق الى معرفة الله ، وفيها انّه صراطان : صراط في الدّنيا ، وصراط في الآخرة ، امّا الصّراط في الدّنيا ، فهو الامام المفترض الطّاعة من عرفه في الدّنيا ، واقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الاخرة ، ومن لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة ، فتردي في نار جهنّم .

وفيها انّ الصّراط امير المؤمنين (ع) .

وفيها انّه معرفة الامام .

وفيها نحن الصّراط المستقيم .

وفيها انّه امير المؤمنين (ع) ، ومعرفته ، والدّليل على انّه امير المؤمنين (ع) ، قوله تعالى : **وانّه لدنيا لعلّي حكيم** ، وهو امير المؤمنين (ع) في امّ الكتاب ، في قوله : **الصّراط المستقيم** .

وفيها انه (ص) وصف الصّراط ، فقال : الف سنة صعود ، والف سنة هبوط ، والف سنة خذال .

وفيها انه ادقّ من الشّعر ، واحدّ من السّيف فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق ، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً ، ومنهم من يمرّ عليه حبواً ، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً ، فتأخذ النّار منه شيئاً وتترك شيئاً .

وفيها انّه مظلم يسعى النّاس عليه بقدر انوارهم .

أقول: هذه الاخبار غير متناقضة ، بل كلّها مؤتلفة في بيان معنى الصّراط ، وكلّ منها ناظر الى فرد من افراده ، لانّ الصّراط وكذلك ساير

المعاني له حقيقة ، وروح ، وله صورة وقالب ، وقد يتعدّد الصّور ، والقوالب لحقيقة واحدة ، بل لا يكاد يوجد حقيقة الاّ ويتعدّد صورتها ، وانّما وضعت الالفاظ للارواح والحقايق ، ولوجودهما في القوالب يستعمل الالفاظ على الحقيقة لاتّحاد ما بينهما ، مثلا لفظ القلم روحه عبارة عن آلة نقش الصّور في الالواح ، من دون ان يعتبر فيها كونها من قصب او حديد ، او غير ذلك ، بل ولا ان يكون جسماً ، ولا كون النقش محسوساً ، وهكذا لفظ الصّراط وضع لحقيقة يؤدّي سلوكه الى المقصود ، وهذا روح لفظ الصّراط ، وله قوالب : منها الطّرق في البوادي والبلاد المعدّة للسّلوك من بعضها الى بعض ، وكذا طرق ساير المقاصد ومن هذه الافراد الطّريق الى معرفة الله ، وقربه وجواره في الجنّة ، وهو العمل بالدين والشريعة ، ومعرفة الامام وطاعته ، ومعرفة خصوص امير المؤمنين ، والصّورة الانسانيّة اي اوصافه ، واخلاقه وحدوده في الدّنيا ، ومنها جسر جهنّم ، فمن الطرق الموصلة الى ذلك في الدّنيا ، ما هو مستقيم ، وهو الطّريق الّذي لا يتصوّر ان يوجد بين مقام القاصد والمقصد طريق اقرب منه ، ومنها ما ليس كذلك ، والاوّل واحد ، والثّاني يتعدّد الى ما شاء الله من الطّرق المعوجة ، بحسب انفاس الخلايق غير الاكمل منهم ، ولكن بعض هذه قريب من الاستقامة وبعضها اقرب ، وهكذا بعضها بعيد وبعضها ابعد ، حتّى ينتهي الى طريق ابغض الخلايق ، وابعدهم من الله ، وهو ابليس واخوانه في المبغوضيّة ، والاكمل طريقه الى الله اقرب من الكلّ ، وهو الّذي يكون معرفته بالله تعالى وباسمائه وصفاته وافعاله ، اكمل المعارف ، واخلاقه احسن الأخلاق ، ومزاجه اعدل الامزجة ، هذا بالنّسبة الى الأقرب الواقعي من بين الطّرق كلّها ، وامّا بالنّسبة الى كل فرد فرد فأقرب طرقه يلاحظ الى حاله الفعلي ، وتفصيل هذا الاجال : انّ كلّ انسان له قوس نزول من عالم الغيب الى هذا العالم ، وقوس صعود منه الى عالم الغيب ، والانسان من حين تولّده ، بل من اوّل خلق نطفته ، بل تربته

في هذا العالم ، ساير الى عالم الغيب ، نعم ما دام لم يلج فيه الرّوح ، فسيره في هذا العالم ، ومن بعد ما ولج فيه الرّوح ، سيره في عوالم الغيب بروحه ، امّا سير تربته الى عالم الغيب من جهة ترقّيه من عالم الجماد الى النّبات ، حتّى يصير غذاء للانسان ، فيصير الغذاء جزء بدن انسان ثمّ يصير نطفة ، ثمّ علقة ، ثمّ عظماً ، **فكسونا العظام لحماً** ، **فخلقناه خلقاً آخر** ، **فتبارك الله احسن الخالقين** ، وهكذا يترقّى بعد ولادته بكمال شعوره حتّى يصل الى اوان البلوغ ، وعند ذلك يكمل عقله ، بحيث يشرف بتشريف التّكليف ، وعند ذلك يتعين له ان يختار السّير في عوالم الغيب الى طريق السّعادة . والقرب والمعرفة والجنّة ، او الى طريق الشّقاوة والبعد ، والجهل ومَهوى دركات السّجين ، بارادته لانه يكشف له بطريق العقل والشّرع عن النّجدين ، اي طريقي السعادة والشّقاوة ، والجنّة والنّار ، والقرب والبعد ، فيختار السّعادة بتحصيل اخلاق الرّوحانيّين ، وتكميل ملكات المقرّبين ، ومعارف اهل اليقين من الايمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر حتّى يلحق بالعليّين ، او الشّقاوة بالاشتغال بالشّهوات ، وسلوك طريقة الشّياطين في اعمال الحيل ، والخداع في تحصيل اسباب الالتذاذ ، والانهماك في شهوات هذه الدّنيا الدّنيّة وزخارفها بالكفر بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وجحده ، والخلود الى الأرض حتّى يلحق بحزب الشّياطين ، في مهوى دركات السّجين ، وكلّ حركاته الاختياريّة ، مؤثرة في روحه ، وحقيقته ، وقلبه اثراً مقرّباً له من الله ، ومن الرّوحانيّة ، او مبعداً حتّى المباحات ، وكلّ اثر يحصل في الرّوح والقلب بمنزلة قدم في السّير الى الجنّة او النّار ، فان كانت هذه الحركة ازيد الحركات المفروضة في هذا الان له في حصول القرب ، والرّوحانيّة ، واسرع في الايصال ، فهو سير في اقرب الطّرق ، والاّ فبقدر نقص الحركة في حصول القرب ، وبطئه ، يكون الطّريق بعيداً ، ومن الحكمة الالهيّة انّه جعل لكلّ عمل مؤثّر في القلب قرباً ، او بعداً تأثيراً في التّوفيق ،

والخذلان ، فانّ عمل الخير يجعل القلب صالحاً ، ومستعدّاً لانتشاء اعمال الخير ويسمى ذلك توفيقاً وعمل الشر يجعله يستعد لانتشاء اعمال الشر ويسمّى خذلاناً ، وعند التّوفيق يظهر غلبة الملائكة الموكّلين لالهام الخير في القلب ، على الشيّاطين الموسوسة فيه بالشرّ ، وعند الخذلان يظهر غلبتهم على الملائكة ، فقلب المؤمن دائماً بين اصبعي الرّحمن ، يقلبها على طبق اثرات اعمالها الماضية ، ويحصل من هذه التّقلّبات السّير ، امّا الى جنّة او نار ، فالسائر هو الرّوح الانساني ، وسيره حركاته المائلة الى الخير ، او الشرّ في نفسه ، يضع قدمه على رأسه ، ورأسه على قدمه ، وحاصل سيره حصول الاوصاف الرّوحانيّة او الطّبيعيّة ، واثر الحاصل حصول القرب ، او البعد ، ثمّ انّ منشأ هذه الحركات المؤثّرة في القلب ، ايضاً صفات القلب السّابقة على الحركات ، من مراتب المعرفة ، والعلم ، والكفر ، والجهل اللّازمة لا لاوصاف الذاتيّة المقتضية لها ، وبعبارة اخرى الصّفات الّتي اقتضتها ذات الانسان ، وتعيّن لها بحكم الحكيم تعالى عند تعيّن انيّته ، وايجاد ماهيّته في الخارج ، فانّ لسان حال كلّ ماهيّة ، سائل من الجواد الحكيم ، ان يهب له ما يناسبها من الصّفات ، وسؤال لسان الحال لا يردّ ابداً ، وهذه الصّفات الذّاتيّة ، اقتضت صفات اخرى مؤثّرة في اعمال الجوارح المؤثّرة ايضاً في تقلّب القلب ، وتأثيره بالأثرات النّوريّة الرّوحيّة او الظّلمانيّة الطبيعيّة ، وكلّ اعمال الجوارح انّما يوجد بحكم الحكيم تعالى بواسطة أرادة العامل ، والاوصاف المؤثّرة في ارادة الخير والشرّ ، وانّما هي مسألة انيّته ، وما هيتّه عن الجواد الحكيم ، ان يهبها له فهو باقتضاء ماهيّته سئل ربّه ان يؤتيه توفيق سلوك طريق السّعادة ، والجنّة والقرب والزلّفى ، او خذلان سلوك طريق الشّقاء والنّار والبعد ، وهذا احد وجوه قولهم : لا جبر ولا تفويض ، بل امر بين الأمرين ، وجه نسبة الخير الى الله والشرّ الى العبد ، ونسبة خلقهما معاً الى الله ، واذا تمهّدت هذه المقدّمات ، تبيّن منها صحّة اطلاق الصّراط على الصّورة الانسانيّة ، اي

صفاتها ، واطلاقه على الامام ، وعلى هداه ، وعلى الشّريعة ، وعلى جسر جهنّم ، فانّ كلّها طريق الى الجنّة ، والى عالم النّور والزلّفى ، ثمّ انّ الطّريق المستقيم المطلق ، ليس الاّ لمن كان معارفه بالله ، وباسمائه وصفاته ، وافعاله ، وملائكته وكتبه ورسله وشرايعه ، حتّى علم كلّ حركة وسكون مطابقاً لما في الواقع ، ممّا حكم به وبكمّه وكيفه ، حكمة الحكيم تعالى ، واخلاقه كلّها معتدلة بين الافراط والتّفريط ، لا تميل عن الاعتدال مقدار ذرّة الى الطّرفين ، ومزاجه اعدل الامزجة ، لانّ للمزاج ايضاً تأثيراً في الافعال والأعمال ، نظير تأثير الاخلاق فيها ، ومع ذلك يساعده التّوفيق والعصمة من الله ، حتى يكون سلوكه في اقرب الطرق حقيقة ، وانّما شرطنا مع ما ذكر التّوفيق والعصمة ، لانّ للحوادث الكونية ايضاً تأثيراً في ذلك ، وهو لا يستقيم الاّ بهما ، ولذلك ايّد الله المعصومين بالرّوح القدس ، بل تولّى الله بلطفه رياضة قلوبهم بالخوف والرّجاء ، كما اشير اليه في بعض الزّيارات والطّريق المستقيم لكلّ مكلّف هو اقرب ما يمكن له بلحاظ خصوص صفاته الذّاتيّة من الطّرق المؤدّية الى مقام قربه الممكن له في حقّه ، وهو ان يكون جميع حركاته الاختياريّة انفع له في مرتبته من ايصاله الى رضا ربه ، حتّى انّه لو فرض انّ اشتغاله بصلاة ليالي رجب ، انفع له من اشتغاله بمطالعة الكتب العلميّة ، او بالعكس ، او افطاره مع قوّة العبادات انفع له من صومه ، من جهة الضعف ، كان اقرب طرقه الانفع ، بل ويمكن ان يكون في بعض الاحيان له ترك الأعمال الخيريّة انفع ، كما ورد في ذلك ، انّ العبد قد يحرم ليلة او ليلتين من التّهجد ، لئلاّ يدخله العجب ، بل وروى انّه قد يبتلى باللّمم لحفظه من العجب الّذي هو اخسر منه ، وبالجملة الصّراط المستقيم لكلّ نفس في كلّ يوم ، بل في كل نفس وحركة وسكون ما يكون انفع له بالنسبة الى حاله الحاضر وما بعده في سلوك طريق الخير والسعادة ، فمن وفقّ لذلك : فهداية خاصّة من الله تعالى والاّ فهذه العلوم الاكتسابية لا يحيط بجهات هذا المراد ، ولعلّ لذلك

ورد أنه: ادقّ من الشّعر ، ولصعوبة العمل بعد الهداية ، وردانه احدّ من السّيف ، ثمّ انّ الّذي في رواية امير المؤمنين (ع) انّ المراد في طلب الهداية في هذه السّورة ، انّما هو الثّبات على الهداية السابقة ، واذا يمكن ان يكون المقصود من الصّراط ، الايمان كما يشير اليه بعض الرّوايات ، او يكون هذا المراد مختصّاً به ، وبامثاله من المعصومين فانّهم لا يتفاوت احوالهم في الهداية بانواعها ، وجهاتها ، فيكون مطلوبهم ، ومسئولهم ان يهديهم الله في اللاحق مثل ما يهديهم في السّابق ، وهذا معنى الثّبات ، وامّا امثالنا فالمطلوب ان يزيدنا ربّنا هدايتنا في الاتية على السّالفة ، حتى نهتدي الى السّير في حظائر القدس . والسّلوك في مقامات الانس بانطماس آثار العلايق الجسمانيّة والطّبيعيّة ، وظهور انوار التجلّيات الالهيّة الجماليّة والجلاليّة ، وانكشاف الاسرار الغيبيّة .

هذا ولا يذهب عليك ، انّ كلّ جماد ونبات ، وحيوان ما لم يصل الى حدّ الانسان المكلّف ، انّما سيره وحركته من اوّل تكوّنه بحركته الكميّة والكيفيّة ، بل الصّور الجوهريّة على صراط مستقيم ، بمعنى خروجه تدريجاً من القوّة الى الفعل ، حتّى ينتهي الى كماله اللاّيق بنوعه ، وشخصه في الفعليّات اللاّيقة به ، ان لم يمنعه مانع وامّا الانسان بعد الوصول الى اوان الاختيار المعتبر في التّكليف ، فقد يخرج في سيره النّفساني من القوى الى الفعليّات اللاّيقة بنوع الانسان ، من دون تخلّل فعليّة مخالفة لنوعه ، بين تلك الفعليّات حتّى يصل الى اقصى درجات المراتب من الفعليّة اللاّيقة بالانسان الكامل ، وهذا نادر ، وهذا هو السّائر في الصراط المستقيم الانساني والاغلب انّما يخرج بعد وجود الحركة الاختياريّة فيه من القوى الى الفعليّات ، مع تخلّل الفعليّات الغير اللاّيقة ، فيكون سيره لا على الصّراط المستقيم الانساني ، بل قد يكون سيره بسوء اختياره في الاعوجاج ، بحيث ينتهي به الى اخسّ مراتب من

الفعليّات اللاّيقة للبهايم والسّباع ، بل الشّياطين ، وقد يقف فيمسخ بصورته الفعليّة الّتي هو عليها ، نعوذ بالله من خزى الدّنيا والاخرة ، ثمّ انّك سمعت في الاخبار ، انّ الصّورة الانسانيّة هو الصّراط المستقيم الى كلّ خير ، وذلك انّ حركة الانسان نحو كمالاته الّتي فيها كلّ خير وسعادة ، انّما هو بالحركة الكيفيّة والحركة الجوهرية ، فالطريق في ذلك هي مراتب الكيف والصّور المتعاقبة على الجوهر الانساني من الملكات الشريفة ، وانوار المعارف الرّبّانية ، فالسّالك جوهر الانسان ، والمقصد كماله ، والطريق تحصيل هذه الملكات ، وانوار المعارف والعلوم ، ففي هذه الحركة يوجد الطريق بنفس السّير ، لا قبله ولا بعده ، ثمّ انّ نور المعرفة عبارة عن ظهور مراتب النفس والرّوح ، والعقل ، فالنّور بلحاظ طريق، وبلحاظ مقصد ، وبلحاظ سالك ، ثمّ انّ حقيقة علي (ع) وحقيقة الائمة (ع) من جهة انّها نور الانوار ، واصل كلّ نور ، وهو نور الله في العالمين ، فهو في الحقيقة صراط الله المستقيم ، بلا تجوّز ، وهو وجه الله الّذي اليه يتوجّه الاولياء وهو جنب الله الّذي اليه مصير العباد ، كما في الزّيارة الجامعة واياب الخلق اليكم .

﴿**صراط الذين انعمت عليهم**﴾ هذا تفصيل للمراد من الصراط المستقيم وهم شيعة امير المؤمنين من الامّة وصراطهم بعينه اخلاقهم ، واوصافهم واعمالهم الّتي اشار الى جملتها هو (ع) حين سئله الهمّام عن ذلك ، فقال : هم العارفون بالله ، العاملون بامر الله ، اهل الفضايل ، النّاطقون بالصّواب مأكلهم القوت وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، ثمّ انّ وصف الصراط المستقيم بذلك ، يمكن ان يكون للارشاد الى حقيقته الّذي هو عبارة عمّا بين الافراط والتفريط في حقّ الولي وما بين الغالي والقالي ، والاقتصاد في الاخلاق او في حقّ الغير لدفع توهّم ان يراد به صراط كلّ نفس الى كماله اللاّيق بشخصه الّذي يقتضيه ذاته ، ولوازم ذاته بحكم اقتضاء اسماء الله تعالى له ، مثلاً الصّراط المستقيم

ليس من جهة ماهيّته وصفاته الذّاتيّة وما يوصله الى اسفل الدّركات ، فكانّه يقول : اهدنا الصّراط المستقيم الّذي استقامته واقعيّة ، موصلة الى رضاك وجوارك ، وهو صراط الّذين انعمت عليهم ، من شيعة امير المؤمنين ، لا الى صراطي الّذي استقامته موصلة الى ما يقتضيه ذاتي وصفاتي ، وبعبارة اخرى اهدني الى الصّراط الّذي يقتضيه فضلك ، وانعامك لا الى ما يقتضيه عدلك ، وهو صراط الّذين انعمت عليهم بولاية امير المؤمنين .

﴿**غير المغضوب عليهم**﴾ من الضالّين والمنكرين .

﴿**ولا الضالين**﴾ فيه بالغلو ، ثمّ انّ تغيير الاسلوب في غير المغضوب عليهم ولا الضالّين ، مع ما قبلها حيث ، قال في الاوّل : **الّذين انعمت عليهم** ، ولم يقل في الثّاني : غير الذين غضبت عليهم ، لعلّه للاشارة الى انّ النعمة نسبتها اليه تعالى اصليّ ابتدائي والغضب تبعيّ من جهة اقتضاء صفات العبد ذلك ، كما اليه الاشارة في قوله تعالى : **ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيّئة فمن نفسك** . هذا

وفي ثواب الاعمال باسناده عن ابي عبد الله (ع) انّه قال : اسم الله الاعظم ، يقطع في ام الكتاب .

عن العياشي عن النبيّ (ص) انّ امّ الكتاب افضل سورة انزلها الله في كتابه ، وهي شفاء من كلّ داء الاّ السّام اي الموت .

اقول : اطلاق امّ الكتاب لعلّه لاشتماله لكلّ ما في الكتاب ، كما ورد التّصريح ، به فيما روى عن امير المؤمنين (ع) انّه قال : كلّ ما في القرآن في الحمد ، وكلّ ما في الحمد في البسملة ، وكلّ ما في البسملة في الباء ، وكلّ ما في الباء في النقطة ، وانا النقطة تحت الباء .

وروي ايضاً بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميّز العابد من المعبود .

اقول : مقام العبوديّة المطلقة ، مقام الولاية ، لانّه درجة الفقر

المطلق وبعدها مقام الالوهيّة .

كما روي عن النبيّ (ص) الفقر فخري ، ولعلّه المراد من قول القائل : اذا تمّ الفقر ، فهو الله ، بلحاظ دلالة الفاء على التعقيب ، بل لعلّه المراد من قول الصّادق (ع) في مصباح الشّريعة : العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة .

وهذا كلّه من شؤون ما ذكرناه سابقاً عند ذكرنا لهذا الخبر انّه يعرف من بعض الاخبار :

انّ الله تعالى خلق عالم الحروف في قبال ساير العوالم ، فالالف كما في بعضها للاشارة الى مقام الالوهيّة ، والباء اشارة الى مرتبة المخلوق الاوّل ، والنقطة اشارة الى جهة انيّته وماهيّته .

وعن العيون عن الصّادق (ع) عن آبائه عن امير المؤمنين (ع) ، قال : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله عزّ وجل : فاتحة الكتاب بيني ، وبين عبدي فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل اذا قال العبد ، بسم الله الرّحمن الرّحيم ، قال جلّ جلاله : بدء عبدي باسمي وحقّ عليّ ان اتمّم اموره ، وابارك له في احواله ، واذا قال : الحمد لله ربّ العالمين ، قال جلّ جلاله : حمدني عبدي ، وعلم انّ النعم الّتي له من عندي ، وانّ البلايا الّتي اندفعت عنه فبتطوّلي ، اشهدكم انّي اضيف له الى نعم الدّنيا نعم الآخرة ، وأدفع عنه بلايا الآخرة ، كما دفعت عنه بلايا الدنيا وإذا قال : الرّحمن الرحيم قال جلّ جلاله : شهد بأنّي الرَّحمن الرَّحيم اشهدكم لأوفرنَّ من نعمتي حظَّه ، ولأجزلنَّ من عطائي نصيبه ، فاذا قال : مالك يوم الدِّين :

قال الله تعالى : اشهدكم كما اعترف بانّي الملك يوم الدّين ، لاسهّلنّ يوم الحساب حسابه ، ولاقبلنّ حسناته ، ولاجاوزنّ عن سيّئاته فاذا قال العبد : ايّاك نعبد ، قال الله : صدق عبدي ايّاي يعبد ، اشهدكم

لاثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي ، فاذا قال : وايّاك نستعين ، قال الله تعالى : بي استعان ، والىّ التجأ ، اشهدكم لاعيننّه على امره ، ولاغيثنّه في شدايده ، ولآخذّن بيده يوم نوائبه ، فاذا قال : اهدنا الصّراط المستقيم ، الى آخر السّورة ، قال الله : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، فقد استجبت لعبدي ، واعطيته ما امّل ، وامنته ممّا منه وجل .

اقول: سبحانه من كريم ، ما اكرمه ، اين الغافلون ، اين العالمون ، ليقدروا موقع هذا الكرم ، ويوحدّوه سبحانه في هذه الجهة من عطيّة كرمه ايضا ، كما وحّدوه في ساير صفاته العليا ، ويحكموا عقولهم فيما يجب عليهم في شكر هذه الكرامة العظمى ، ويعترفوا بانّهم لو صرفوا تمام عمرهم في شكرها لمّا ادّوا شيئاً من حقّه الواجب ، كيف والهنا جلّ جلاله من لطفه وعنايته اوجب لعبيده هؤلاء الاذلاء ، الصّلوة ، واذن لهم في ذكره وعبادته ، وجعل عبادتهم سبباً لمغفرة ذنوبهم ، واصلاح عيوبهم ، وترقّياتهم الى الدّرجات العلى ، وشرّفهم في تكليفهم بالصّلوة ، بهذا التّشريف ، ثمّ يرضى لهم ان يناجوه في صلوتهم ، ويترك جوابهم ، ويقنع بجزائهم عن جوابهم ، بل ولا يرضى جوابهم بمقدار سؤالهم ، ويزيد في اكرامهم بالجواب عن المساوات .

وفي بعض الأخبار ان الله تبارك وتعالى يقول بعد القرائة : انّ له بكلّ حرف درجة من فلان وفلان ، يعدّ الجواهر ، ودرجة من نورى على ما ببالي من لفظ الخبر .

﴿**قل هو الله احد**﴾ عن الباقر (ع) :

قل ، اي[1] اظهر ما اوحينا اليك ، وبعثناك به بتأليف الحروف الّتي قرأناها لك ، ليهتدي بها من القى السّمع وهو شهيد ، وهو اسم

(١) رواه في تفسير البرهان .

مكنّى مشاربه الى الغايب ، فالهاء تنبيه على معنى ثابت ، والواو إشارة الى الغائب عن الحواس «الخ » .

اقول: لفظة : هو اسم للذّات في مرتبة غيب الغيوب ، ولفظة الجلالة ايضاً اسم للّذات ، ولكن من حيث جامعيّته لجميع الصّفات الكماليّة .

الاحد : اي الفرد المتفرّد الّذي ، لا ينبعث من شيء ، اي احديّ المعنى ، لا ينقسم في عقل ، ولا وهم ، ولا وجود .

الله الصمد : اي السّيّد المصمود اليه ، والّذي لا جوف له ، والّذي لا يأكل ولا يشرب ، والّذي لا ينام ، والدّائم الّذي لم يزل ولا يزال ، والفرد بالهيّته ، المتعالى عن صفات الخلق .

وعن الصّادق (ع) ، عن ابيه انّه كتب اهل البصرة الى الحسين (ع) ابن علي (ع) ، يسئلونه عن الصّمد ، فقال : كتب اليهم : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، امّا بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلّموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول من قال في القرآن بغير علم ، فليتبوّ مقعده من النّار ، وان الله فسّر الصّمد ، فقال : **قل هو الله احد ، الله الصّمد** ، ثمّ فسّره ، فقال : **لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد** .

لم يلد : لم يخرج منه شيء كثيف كالولد ، وساير الاشياء الكثيفة الّتي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنّفس ، ولا تنشعب منه البدوات كالسنة والنّوم ، والخطرة ، والهمّ والحزن ، والضّحك ، والبكاء ، والخوف ، والرّجاء ، والرّغبة ، والسّامة ، والجوع ، والشّبع ، تعالى عن ان يخرج منه شيء ، وان يتولّد منه شيء ، كثيف او لطيف .

ولم يولد : لم يتولّد من شيء ، ولم يخرج من شيء كما يخرج الاشياء ، الكثيفة من عناصرها ، كالشيء من الشيء ، والدّابّة من

الـدّابّة ، والنّبـات من الأرض ، والماء من اليـنـابيع ، والثّمـار من الاشجـار ولا كما يخرج الاشياء اللّطيفة من مـراكزهـا ، كالبصـر من العين ، والسّمع من الاذن ، والشّم من الانف ، والـذوق من الفم ، والكـلام من اللسـان ، والمعرفة والتّمييـز من القلب ، وكالنّـار من الحجر ، لا بـل هو الله الصّمـد الّــذي لا من شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، مـبـدع الاشيـاء ، وخـالقها ، ومنشىء الأشيـاء بقـدرتـه ، يتـلاشى مـا خلق للفنـاء بمشيّتـه ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذالكم الله الصّمـد ، الّذي لم يلد ولم يـولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

﴿ **ولم يكن له كفـواً احـد** ﴾ عن الصّـادق (ع) انّـه ورد وفـد من فلسطين على الباقـر (ع) ، فسئلوه عن مسائـل ، فاجـابهم ، ثم سئلوه عن تفسير الصّمد :

فقـال : في الصّمد خمسـة احـرف فـالالف دليـل على انيّتـه ، وهـو قـوله : **شهـد الله انّه لا الـه الاّ هو** ، وذلـك تنبيـه واشـارة الى الغـائب عن درك الحواس

واللاّم دليل على الهيّته ، بانّه هو الله ، والالف والـلاّم يدغمـان ،ولا يـظهران على الحـواس ، ولا يقعان في السّمـع ، ويظهـران في الكتـابـة ، دليـلان على انّ الهيّته بلطفـه ، خافيـة لا تـدرك بـالحـواس ، ولا يقـع في لسـان واصف ، ولا في اذن سامـع لانّ تفسير الالـه ، هو الّـذي اله الخلق عن درك مـاهيتـه ، وكيفيتـه بحسّ او بـوهم ، لا بـل هـو مبدع الاوهـام ، وخـالق الحواس ، وانّمـا يظهـر ذلك عنـد الكتابـة ، فهو دليـل على انّ الله أظهـر ربوبيّتـه في ابداع الخلق ، وتـركيب ارواحهم اللطيفة في اجسـادهم الكثيفة ، فاذا نظر العبد الى نفسـه ، لم ير روحـه ، كما انّ لام الصّمـد لا يتبيّن ، ولا يـدخل في حـاسّة من حـواسه الخمس ، فـاذا نظر الى الكتـابة ظهر له ما خفى ، ولطف، فمتى تفكّر العبـد في ماهيّـة الباري ، وكيفيّتـه ، الـه فيه ، وتحيّـر ، ولم تحط فكرتـه بشيء يتصوّر لـه لانّه عـزّ وجلّ خـالق

الصّـور ، فاذا نـظر الى خلقه ثبت لـه انّه خـالقهم ، ومـركّب ارواحهم في اجسادهم .

وامّا الصّاد : فدليل على انّه عزّ وجلّ صادق ، وقـوله صـدق وكلامـه صـدق ودعى عبـاده على اتبـاع الصّدق بـالصّـدق ، ووعـد بـالصّـدق دار الصّدق .

وامّـا الميم : فدليـل على دوام ملكه ، وانّـه عزّ وجـلّ دائم تعـالى عن الكـون والزّوال ، بـل هو عـزّ وجلّ مكـوّن الكائنـات الّـذي كـان بتكـوينـه كائن .

ثمّ قـال (ع) قـال : لـو وجـدت لعلمي الّـذي اتـاني الله عـزّ وجـلّ حملة ، لنشـرت التـوحيـد والاسـلام والايمـان ، والـدّين والشّـرايـع من الصّمـد ، وكيف لي بذلـك ، ولم يجد جـدّي امير المؤمنين عليـه السّـلام حملة لعلمه ، حتّى كان يتنفّس الصّعـداء ، ويقول ، على المنبـر : سلوني قبل ان تفقدوني ، فـانّ بين الجوانـح مني لعلماً جمّـاً آه آه ، الا لا أجد من يحمله ، وانّي عليكم من الله الحجّة البالغة .

اقـول : هـذه جملة مـا تيسّـر لي الى الان من اخبـارهم في تفسير السّـورة ، ولعلّ مـا لم اذكر ازيـد ممّـا ذكـرت ولكن في ذلـك كفـايـة لمن عقـل ، وتفكّـر فيهـا بنـور من الله ، فلفـظة هـو اشـارة الى مـرتبـة غيث الغيوب ، ولفظة الله الى مرتبة ظهـور الاسماء اجمـالا ، ولفظة الاحـد الى تفرّده ، واصالته ، وانّ مبدئيّته للاشيـاء ليس كمبدئيـة سايـر الاشياء بعضهـا لبعض ، وانّ الـوجود الحقيقي مختصّ بـه ، والاشياء كلّهـا قائمـة بقيّوميّتـه وقـدرته وليست احـاطته لـلأشيـاء كـاحـاطـة بعضهـا ببعض ، حتّى العقـل بالمعقولات ، فانّ احاطة كلّ منها الى غيره يشبه باحـاطة المجـوّف لما في جوفه الّا الله المحيط الصّمـد الّذي ، لم يلد ، ولم يـولد ولم يكن لـه كفواً احد ، هذا .

والأخبار في فضلها ، وفضل قرائتها كثيرة .

وفيها ، انّ من قرئها ثلاث مـرات ، فكانّه قرء القرآن كلّه .

وفيهـا انّ من مضت عليه جمعـة ، ولم يقرء بقـل هـو الله احـد ، ثمّ مات مات على دين ابي لهب .

وفيها : انّ من اصابه مرض ، او شـدّة فلم يقرء في مـرضه او شـدّته بقل هو الله احـد ، ثمّ مات في مـرضه وفي تلك الشـدّة الّتي نزلت بـه فهو من اهل النّار .

وفيهـا انّـه جـاء رجـل الى النّبيّ (ص) فشكى اليـه الفقـر ، وضيق المعـاش فقـال لـه رسـول الله (ص) اذا دخلت بيتـك فسلّم ان كـان فيـه احـد ، وان لم يكن فيه احـد فسلّم ، واقرء قـل هو الله احـد مرّة واحـدة ، ففعل الرّجل فافاض الله عليه رزقا ، حتّى افاض على جيرانه .

وفيهـا انّ من يؤمن بـالله واليـوم الاخـر ، فـلا يـدع ان يقـرء في دبـر الفريضة بقل هو الله احد ، فانّـه من قرئهـا جمع لـه خير الـدّنيا والاخـرة ، وغفر الله له ، ولوالديه وما ولدا .

اقول: اجمـال مـا دلّت عليـه هـذه الاخبـار من معـاني الفـاظ هـذه السّورة ، ان هو اشارة الى الذّات الغـائبة عن الحـواس والاوهام ، والله اي المعبود المفزع الّذي تحيّر الخلق عن درك ماهيّته .

الاحـد اي الفرد الحقيقيّ الـواقعي معنى وخارجـاً ، الاحدي المعنى لا ينقسم في وهم ، ولا عقـل ولا وجـود ، الصّمـد اي السيـد المصمـود الّـذي لا جـوف لـه ، والّـذي لم يخـرج من شيء ، ولا يخـرج منـه شيء منشىء الاشياء ، وخالقها .

ولـم يكن له كفواً احد ، هذا كفى للقرائة .

وامّـا تكبير الـرّكوع ، ولعـلّ المناسب ان يقصـد به تكبيـره تعالى من تجويز ان يقدر احد ان يقوم بعبادته ، ويـكون قصده من رفـع اليد ايضـاً ،

التبرّي من هذا الاعتقـاد ، فينحطّ عن حال القيـام للرّكوع ، والتـواضع عن قوتّه وقـدرته ، وارادتـه ويتأدب لله بهـذا الخضوع ، ويـذكر ذكـر الرّكـوع ، ويريد من تسبيحه تنزيه ربّه عن الشّريك في الارادة .

ثمّ انَّ تسبيحه تعالى انّما هو قضية صفاته الجلالية السلبيّة وأصل صفاتـه الجـلالية السلبيـة راجـع الى سلب الحـدود، وسلب الحـدود راجـع الى سلب السّلوب، ومصداق سلب السّلوب فيه تعالى ليس الا سعة الـوجـود، هـذا بخلاف تنزيه الممكنات ، فإنّ السّلوب الرّاجعة اليهـا، انّما هـو بسلب الوجـودات التي هي منتزعة من حدود وجوداتها ، لا من وجوداتهـا ، فتسبيحه تعـالى ، انّما هـو بما يحمـد به ، فلذلـك يقـرن تسبيحـه في الاغلب بحمـده ، كمـا في تسبيـح الرّكـوع والسّجود ، ومن ذلـك قولـه تعالى : **فسبّح بحمد ربّك** ، هذا وحقيقة تنزيهه تعـالى ان يعتقد العبـد بسلب النقايص بجميـع وجوههـا عن الله جلّ جلاله ، بقلبه ويعمـل بمقتضى ذلك بجـوارحه ، وهـو يقتضي كمـال اغلب الصّفـات الحسنـة في العبـد ، من الاخــلاص ، والصـدّق ، والتّـوكّل ، والتّسليم ، والـرّضا ، والتّـوحيـد ، لانّ العبـد اذا اعتقـد كمـاله تعالى من جميع الوجوه ، لا بـدّ ان يعتقد كمـال قدرتـه ، وعنايتـه وعلمه ، وتـوحيـده تعـالى في ذلـك كلّه ، فــلا منـاص لــه الاّ من هـذه الصّفــات المـذكـورة ، لانّـه ان لم يعتقـد الضّـر والنفـع من غيــره ، لا يـراقبــه في اعمـاله ، وافعـاله ابـداً ، وذلك يتمّ بـه الاخلاص ، والصّـدق ، واذا عرف علمـه تعالى بصـلاح نفسه وكمـال عنـايتـه في حقّـه وقـدرتـه الكـاملة على اصـلاحـه ، يتمّ لـه الثلاثة الاخيـرة ، واذا اعتقـد كمـالـه من حيث انتفــاء الشـرّيـك ، ومن حيث انتفـاء الانقسـام والتّجــزيـة في الــوهم ، والعقـل والوجود لتمّ له التوحيـد بمعنييه اللذين ، يجوزان عليـه تعالى ، كمـا وجد في كـلام امير المؤمنين ، وسيّـد الموحّـدين (ع) في تفسير الـوحدة ، الّتي تجـوز على الله ، واجمـالـه انّ مـا يليق ان يــراد من معنى الـواحـد عليـه تعالى ، اثنان .

احدهما انّه لا شريك له .

وثانيهما انّـه احديّ المعنى ، وكـلا المعنيين قضيّة سلب النقـايص ، الّتي هي اضـداد الكمـال ، فحـال التّسبيـح في العبـد ، ان يكـون قلبـه معتقداً في ربّه الكمال من جميع الوجوه ، ويكون جميع حـركاتـه وسكناتـه ناشئة من هذه المعرفـة ، هذا في التّسبيـح الكامـل المطلق ، وامـا التّسبيح المقيّد ، فهو ايضـاً بحسب القيود ، مثـلا التّسبيح الـرّكوعي يشبـه ان يكون تنزيهاً من نقص الشّركة في الحول ، والقوّة والارادة ، كما يشعر بذلك :

مـا في مصباح الشّـريعة ، قـال الصّادق (ع) لا يـركع عبـد لله تعالى ركـوعاً على الحقيقـة ، الاّ زيّنه الله بنـور بهائـه واظلّه في ظلال كبـريائـه ، وكسـاه كسوة اصفيـائـه ، والـرّكـوع اوّل والسّجـود ثـان ، ومن اتى بـالاوّل صلح للثّـاني ، وفي الـرّكـوع ادب ، وفي السّجـود قـرب ، ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب ، فاركع ركوع خاضع لله عـزّ وجلّ بقلبـه ، متذلّـل وجل تحت سلطانه ، خـافض لله بجوارحـه ، خفض خائف حـزين على ما يفوته من فوائد الرّاكعين .

وحكي انّ ربيـع بن خثيم كـان يسهـر بـاللّيـل الى الفجـر في ركـوع واحـد ، فاذا اصبـح يزفـر ، فيقول : اوّه سبق المخلصـون ، وقـطع بنـا ، واستوف ركوعك باستواء ظهرك ، وانحطّ عن همتّـك في القيام بخـدمته ، الاّ بعونه وفرّ بالقلب عن وسـوسة الشّيـطان ، وخدايعـه ومكايـده ، فانّ الله رفع عباده بقدر تواضعهم لـه ، ويهديهم الى اصـول التّواضـع ، والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرايرهم ـ انتهى .

اقول : تأمّـل في هذه الكلمـات ، وتحقّق بما فيهـا يكفيك في هـذا المقـام فان تـأمّلت في قولـه الرّكـوع اوّل ، والسّجود ثـان ، وفي الـرّكـوع ادب ، وفي السّجـود قرب ، عـرفت وجه مـا ذكرتـه من الاستشعـار ، فـانّ التّبـري عن الحول والقـوّة والتوكـل والتسليم ، التي هي قضيـة التنـزيـه عن الشـريـك في الحـول والقـوة والارادة من الادب، ومقـام الفنـاء الـذي لازمـه

القرب ، الّذي هو عبارة عن التنزيه السّجودي من القرب ، وايضاً قوله : وانحطّ عن همتك في القيام بخدمته الاّ بعونه ، كالصّريح في انّ المراد من الرّكوع هو الاشارة بالتّبري عمّا ذكر ، وتنزيه الرّب عن الشّريك فيها ، وايضاً الجزاء الّذي ذكر اولا لمن اتى بحقيقة الرّكوع ، انّما يناسب ما ذكرنا من التّبري ، لانّه المناسب بنور البهاء ، والاستظلال في ظلال الكبرياء .

وبالجملة فمن كان مراعياً للاسباب وناظراً في الامور بتدبيره وحوله وقوّته ، ومعتمداً عليها فهو لم يركع بحقيقة الرّكوع ، ولم ينزّه الله بتنزيه الرّكوعي ، وان اطال الرّكوع وسبّح مائة مرّة .

وبالجملة حقيقة الرّكوع وروحه ان يكون قلب العبد على صفة التّوكّل وعمله عمل المتوكّلين ، ولا يرى مدبرا ، بل ولا فاعلا بالاستقلال الا الله ، ويتبرّى عن الحول والقوّة ، ويكون كسبه وتشبّثه للاسباب من جهة الامر ، ولا يمكن لمثل هذا ان يكون في كسبه حريصاً ، ولا اخذاً للحرام ولا الشبّهات بل ولا يمسك ولا ينفق الاّ لله ، وبامر الله ، بل يكون الانفاق والامساك عنده على السّواء ، بل ويسوى عنده الوجود والعدم ، والفقر والغنا ، وعند ذلك يتولّى الله تدبير اموراته بنفسه ، ولا يكله الى غيره .

وامّا القيام عن الرّكوع فليكن النيّة فيه الارتفاع بالله على اعدائه بعد التواضع له .

وبرفع اليد لتكبيره التبرّيّ عن التواضع لاعدائه ثمّ انّه يستحبّ الاستيفاء بالرّكوع باستواء الظّهر ، وان يمدّ عنقه ، ناوياً بانّي آمنت لك ، وان ضربت عنقي ، ثمّ برفع راسك راجيا لقبول خضوعك ، وتسبيحك وحمدك ، وناوياً الارتفاع على اعدائه بحوله وقوّته ، ومؤكّداً لرجائك ، بقول سمع الله لمن حمده ، اي أجاب الله لمن حمده ، من دفاً ذلك بالحمد

والشكر بقول الحمد لله ربّ العالمين ، ثمَّ تزيد في الخشوع والتذلّل الى ربِّك بعد الارتفاع على اعدائه بقول اهل الكبرياء والعظمة ، والجود والجبروت ، كانّك بعدما قمت للعبوديّة ، اقتضى ذلك ، ان تتبرّى من حولك وقوتك ، في القيام بعبوديّته بالرّكوع ، وتنزّهه تعالى عن الشّريك في الحول والقوّة ، واقتضى ذلك ان تظهر انّك مع ذلك ترتفع على اعدائه ، واعداء اوليائه بحوله وقوّته ، واقتضى ذلك ايضاً ان تذكر بعد الارتفاع ذلك ، وكبريائه وعظمته في ذلك الارتفاع ، فيتمّ لك آداب العبوديّة علماً وعملاً ، ثمّ تترقّى عن رؤية اداء حق ادب العبودية ، فتشرف بمقام القرب ، فكبّر ربّك عن الشّريك ، فكانّه اذا حصل لك القرب ، تجلّى لك انوار جمال الاحديّة ، واضمحّلت عنده وجودات جميع الخلايق ، فكبّرت ربّك عن ان يكون له شريك في الكمال وخررت ساجداً لعظمته ، محتجبا عن جميع الاشياء ، ومنزّها له عن كلّ ما يتوهمّ من النّقايص المضادّة للكمال ، حتّى الشّريك في الوجود الحقيقي ، فكانّك لا ترى في الوجود الاّ الله ، وانّ وجودات جميع الممكنات كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء ، وترى انّ وجود العالم كانّه وجود خيالي ، والوجود الحقيقيّ العينيّ الخارجي هو وجوده تعالى ، بل ولا تلتفت الى غيره ابدا .

في مصباح الشّريعة قال الصادق (ع) : ما خسر والله تعالى قط من اتى بحقيقة السّجود ، ولو كان في العمر مرّة واحدة ، وما افلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبّهاً بمخادع نفسه ، غافل لاه عن ما اعدّ الله للساجدين ، من البشر « الانس خ ل » العاجل ، وراحة الاجل ، ولا بعد عن الله ابداً من احسن تقربّه في السجود ولا قرب اليه ابداً من اساء ادبه ، وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده ، فاسجد سجود متواضع لله ، ذليل علم انه خلق من تراب يطؤه الخلق ، وانّه ركّب من نطفة يستقذرها كلّ احد ، وقد جعل الله معنى السّجود سبب التقرّب اليه

بـالقلب ، والسّـر والـرّوح ، فمن قـرب منـه بعـد عن غيـره ، الا تـرى في الظّاهر ، انّـه لا يستوي حـال السّجود ، الاّ بـالتّواري عن جميـع الاشياء ، والاحتجاب عن كل مـا تراه العيـون ، كذلـك امر البـاطن ، فمن كان قلبـه متعلّقـا في صلوته بشيء دون الله فهـو قريب من ذلـك الشيء ، بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته ، قـال الله : **ما جعـل الله لرجـل من قلبين في جـوفه** ، وقـال رسـول الله (ص) : لا اطّلع على قلب عبـدي ، فـاعلم فيـه حبّ الاخـلاص لـطاعتي لـوجهي ، وابتغـاء مـرضـاتي ، الاّ تـولّيت تقويمه ، وسياسته وتقـربت منه ، ومن اشتغـل في صلوته بغيـري ، فهو من المستهزئين بنفسه ، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين انتهى .

اقول: تأمّل في الفاظ الـرّواية ، لعلك تجـدها دالّـة على ما ذكـرنا من معنى حقيقـة السّجود ، فـانّ المعنى الّذي من اتى بـه ، ولو في عمـره مرّة واحـدة لم يخسر ، لا ينـاسب الاّ بما ذكـرنا كمـا يشير اليـه قـولـه من انس العـاجل ، والانس لا يكـون الا بتجلّي المطلوب ووصـاله ، وكـذا قولـه : خـلا بربّـه ، وكذا قـوله : وقـد جعل الله معنى السّجـود سبب التّقرّب اليـه بـالقلب ، والسرّ والـروح وليس في غير مـا ذكرنـا من المعنى هذه الخـاصة فـان التقرّب بـالسرّ والـرّوح ، لا يكـون الاّ بمـا ذكـرنـا ، وان كـان ظـاهـر قـوله : ممّن كـان قلبه متعلّقـا في صلوته بشي دون الله ، فهـو قريب بـذلك الشيء اهـ ، انّ المـراد حضـور القلب الّـذي يلزم في جـميـع احـوال الصلوة ، من افعـالها واقـوالها ولكن الّـذي يعـطيـه حقّ التّـأمّـل ، انّ هـذا الّـذي ذكر اخيـراً ، كانّـه صيغ لبيـان امر عـام لجميع اجـزاء الصّلوة ، وهو الحضـور ، وذلك ايضـاً يقتضي ان يكون حـال السّجود كمـا ذكـرنـا ، لانّ حضـور القلب في القيـام مثـلا يقتضي الالتفـات الى مقـام العبـوديّـة والـرّبوبيّـة ، وفي الـرّكـوع يقتضي الالتفـات الى الغيـر ، والى انّ الحـول والقوّة الحقيقيّة منفيّة عنهم ، والحضور المناسب للسّجود ، هو بالغنـاء عن الكلّ ، والحضور عند الرّبّ تعالى ، وهذا عين ما ذكرنا من المعنى .

وبـالجملة التّواري ، والاحتجـاب عن الكـلّ بـالبـدن بهيئـة السّجـود الظّاهريّة ، والتّواري بالقلب والسرّ والرّوح ، لا يكون الاّ بما ذكرنا .

هـذا ولا يـذهب عليـك ، مـا في الـرّوايـة الاخيــرة ، من وعـد الله لمحبّ الاخــلاص ، فضــلا عن المخلصين ، وان كنت تعجــز عن نفس الاخلاص ، فاحذر لا محالـة عن التّواني من حبّ الاخـلاص ، فتحرم من كـرامـة تـولّي الله جـلّ جـلالـه تـدبيـر امــورك ، فتكـون في صلوتــك من المستهزئين بنفسك ، وتلحق بالخاسرين .

ثمّ انّ السّجود من افضل الاعمال البدنيّة واجابها للنّور .

كما روي عن الصّادق (ع) : وجدت النّور في البكاء والسّجدة .

وروي ايضـاً انّـه اقـرب حـالات العبـد الى الله ، لا سيمـا اذا كــان جايعاً وباكيا .

وورد فيه فضايل جمّة .

منها انّه سئـل جماعـة عن رسول الله (ص) ان يضمن لهم على ربّـه الجنّه ، فقال : على ان تعينـوني بطول السّجـود ، قالـوا : نعم فضمن لهم الجنّة .

ومنها ما روي ، انّـه قيل للصّـادق (ع) : لـم اتخذ الله ابـراهيم خليلا قال : لكثرة سجوده على الأرض .

وروي ايضـاً في الصّحيـح ، انّ العبــد اذا صلّى ثمّ سجـد سجــدة الشكّر ، فتح الرّب تعالى الحجاب بين العبد ، وبين المـلائكة ، فيقـول : يـا ملائكتي انـظروا الى عبدي ، ادّى فـريضتي ، واتمّ عهدي ، ثمّ سجـد لي شكـراً على مـا انعمت بـه عليـه ، مـلائكتي مـاذا لــه قـال : فيقــول المـلائكة : يـا ربّنا رحمتـك ، ثمّ يقول الـرّب تبـارك وتعـالى : ثم مـاذا ؟ فيقول الملائكة كفاية مهمّاتـه ، فيقول الـرّبّ ثمّ ماذا ؟ قـال : فلا يبقى من

الخير شيء الاّ قالته الملائكة ، فيقول الله تبارك وتعالى : ثمّ ماذا ؟ فيقول الملائكة : يا ربّنا لا علم لنا ، قال : فيقول الله تبارك وتعالى : اشكر له كما شكر لي ، واقبل اليه واريه وجهي .

اقول : في هذه الرّواية كفاية لمن كان له قلب ، او القى السّمع وهو شهيد .

اقول : روي عن اصحاب الائمة من طول السّجود ، امر عظيم هنيئاً لهم ، ولمن تبعهم .

مثل ما روي عن الكشّي انّه وجد في كتاب ابي عبد الله الشّاذاني بخطّه ، سمعت ابا محمّد الفضل بن شاذان يقول : دخلت العراق فرأيت واحدا يعاتب صاحبه ، ويقول له : انت رجل عليك عيال ، تحتاج ان تكتسب عليهم ، وما آمن ان يذهب عيناك من طول السّجود ، قال : فلمّا اكثر عليه ، قال : اكثرت عليّ ويحك لو ذهب عين احد من طول السّجود ، لذهبت عين ابن ابي عمير ، ما ظنّك برجل سجد سجدة الشكّر بعد صلاة الفجر ، فما رفع رأسه الاّ عند الزّوال .

وروي ايضاً عنه .

قال : وذكر ابو القاسم نضر بن الصّباح عن الفضل بن شاذان ، قال : دخلت على محمّد بن ابي عمير ، وهو ساجد فاطال السّجود ، فلمّا رفع رأسه ، وذكر له طول سجوده ، قال : كيف لو رأيت جميل بن درّاج ، ثم حدّثه انه دخل على جميل بن درّاج فوجده ساجداً فاطال السّجود جدّا ، فلمّا رفع رأسه ، قال له محمّد بن ابي عمير : اطلت السّجود ، فقال : كيف لو رأيت معروف بن خرّبوز .

هذا وطول سجود السجّاد ، والكاظم معروف .

اقول : كان لي شيخ جليل عامل عارف كامل قدّس الله تربته ، ما

رايت لـه نظيـراً في المراتب المـذكورة ، سئلتـه عن عمل مجـرّب يؤثّر في اصـلاح القلب ، وجلب المعارف ، فقـال قـدّس سـرّه العـزيـز ، مـا رأيت عمـلا مؤثّراً في ذلـك مثل المـداومة على سجـدة طويلة في كـلّ يـوم وليلة مـرّة واحـدة ، يقـال فيهـا : لا إلـه الاّ انت سبحـانـك انّي كنـت من الـظّالمين ، يقول : وهـو يرى نفسـه مسجونـة في سجن الطبيعـة ، ومقيّدة بقيود الاخلاق الرّذيلة ، مقرّاً بانّك لم تفعـل ذلك بي ، ولـم تـظلمني ، وانا الّـذي ظلمت نفسي واوقعتها في هـذا الحال ، وقـرائة سـورة القدر في ليلة الجمعة ، وفي عصرها مائة مرّة ، وكان اصحابه عاملين بـذلك ، كـلّ منهم على حسب مجاهدته .

وسمع عن بعضهم ، انّه كان يقوله : ثلاثة الاف مرّة .

وبالجملة هذه السّجدة ، وبركاتها معروفة عنـد العاملين بهـا ، ولكن بشـرط المـداومـة وكيف كـان سئـل اميـر المؤمنين (ع) عن معنى السّجـدة الاولى ، قـال : تـأويلهـا اللّهمّ انّـك منهـا خلقتنـا ، يعني من الأرض ، وتأويل رفع رأسك ، ومنهـا اخرجتنـا ، والسّجدة الثّـانيّة ، واليهـا تعيدنـا ، ورفع راسك ، ومنها تخرجنا تارة اخرى .

اقول : والّذي يفهم من تفسيـر الامام ، انّ النيّـة من رفع الـرّأس في السجدة الاولى ، قصد الارتفاع على اعداء الله ، واعداء اوليائه .

ويمكن الجمـع ، بانّ الاوّل اشـارة الى مطلق الخـروج الى الدّنيـا ، والثّاني اشارة الى حكمه ، وهو الايمان بالله ، وباوليائه .

ثمّ انّ السّجـود من جهة انّـه صورة مقـام الفنـاء ، الّـذي هـو اقصى درجـات الاستكانـة ، ولذا نـاسب ان يوضـع فيـه اعـزّ الاعضـاء على ارذل الأشياء ، ووجب ان يذكر الله عند تسبيحه باسمـه الاعلى ، فاذا اتى العبـد بـذلـك ، فـرق قلبـه ، وطهـر لبّـه بـردّ الفـرع على اصله ، ووضـع نفسـه مـوضعه ، شملتـه العنايـة الرّبـانيّة لانّ عنـايته تتسـارع الى مواضـع الذّلّ ،

ومـراكز الاضـطرار ، وايّ ذّل اذلّ من مقام الفنـاء ، وايّ اضطرار اشـدّ من اضطرار وجه العبوديّة ، ثمّ انّه اذا اتمّ سنن العبوديّـة بالفنـاء عن نفسه ، ثمّ الارتفاع بربّه ، كبرّ وسأل ربّه مغفرة ذنوبـه ، وتقصيره وقصـوره في درجات احوال الارتفاع ، فانّه غامض علماً وعمـلا ، لكونـه موافقـاً لهوى النّفس ، ثم يؤكّد ذلّه بعد الارتفاع بالسّجدة الثّـانية ، وتسبيـح ربّه الأعلى بحمـده ، فكانّه اتمّ فنائه عن نفسه ، بالفناء عن جميع آثـاره ، فاستحقّ بـذلك اقصى مقامات العبوديّة ، ومقـام الشّهود ، والبقـاء الابدي ، فيـرفع رأسـه ، تأدّبـاً للقيام بالعبـوديّة ، والبقـاء بالله في مقـام الشّهود ، فيتشهّـد فيه بـالتّوحيـد ، ويقرنه بالشّهادة بالرّسـالة ، فيصلّي على النّبيّ وآلـه ، شكر النّعمـة هدايتهم بـذلك المقـام الاسنى ، او يقصـد بهـا التّحيـة بحضّـار مجلس الحضـرة ، فيخصّ بها مقرّبي ملك الحضرة .

ثمّ يقوم للرّكعة الثّانيّة ، ويزيد فيها القنوت بعد السّورة ، ويـطيل فيـه جدّا ، ويختار من الـدّعوات الـواردة فيه ، وفي غيـره الزمهـا واجلّها ، ومـا يؤثـر في رقّة القلب ، ويـراعي في ذلك شـرائط الـدّعـاء مـا يمكنـه ، فمن اطال قنوته ، واحسن دعائه فيه ، فقد احرز حـظّه من كل السّعـادات ، فانّ الدّعاء من اوسع ابواب الرّحمة ، وهو طريق مستقلّ قبال طـرق الخير كلّهـا الى جميـع السّعادات ، وانـا اخترت لقنـوت الصّبح والمغـرب دعـوات من ادعيّة ائمتنا (ع) ، ولو في غير القنوت ، ولا بأس به .

واذا جلست للتّشهـد بعد هـذه الافعال الـدقيقة ، والاسـرار العميقـة المشتملة على الاخـطار الجسيمـة ، فـاستشعـر الخـوف التّـامّ ، والـرّهبـة والحيـاء ، والوجـل ، من ان يكون جميـع مـا سلف منـك غيـر واقـع على وجهـه ، فاجعـل يدكـ صفـراً من فوائـدهـا ، الاّ ان يتـدارك الله بـرحمتـه ، ويقبـل عملك النّاقص بفضله ، وارجـع الى مبدء الامـر ، واصـل الـدّين ، واستمسك بكلمة التّـوحيد ، وحصن الله الّـذي من دخله كان آمنـاً ، ان لم يكن حصـل في يدك غيـره ، واشهـد لـه بـالـوحـدانيّـة ، واحضـر رسـولـه

الكريم ، ونبيّه العظيم ببالك ، واشهد له بالعبوديّة ، والرّسالـة ، وصلّ عليـه وعلى آله مجدّداً عهـد الله باعـادة كلمتي الشّهادة ، متعـرّضاً بهـا لتـأسيس مراتب العبادة ، فأنّها اوّل الـوسائـل ، واساس الفـواضل ، متـرقّبا لاجـابته (ع) بصلاتك عشراً من صلاته ، اذا قسمت بحقيقة صـلاتك عليـه ، الّتي لو وصل اليك واحد منها ، افلحت ابداً .

وفي مصبـاح الشّـريعـة ، التّشهـد ثنـاء على الله ، فكن عبداً لله في السّر ، خاضعـاً له في الفعـل ، كما انّـك عبد لـه في القول ، والـدّعوى ، واوصل صدق لسـانك بصفـاء صدر سـرّك ، فانّـه خلقك عبـداً ، وامرك ان تعبده بقلبك ، ولسانك وجوارحك ، وأن تحققّ عبـوديّتك لـه ، بربـوبّيته ، وتعلم أنّ نـواصي الخلق بيده ، فليس لهم نفس ، ولا لحـظة إلاّ بقدرتـه ، ومشيّتـه ، وأنّهم عـاجـزون عن اتيـان اقـلّ شيء في مملكتـه ، إلاّ بـإذنـه وارادته .

اقول : ولا تغفل عمّا في هذه الكلمـات الشريفـة من الاشارات ، لا سيّما قوله وتحقق عبوديّتـك له بـربوبّيتـه ، فان تحققّ العبـودّية بـالربـوبية ، انّمـا يتمّ بالتّفـويض الكـامل ، والتّسليم المـطلق من جميـع الجهـات ، ولا يتحققّ ذلـك إلاّ بـأن يعلم العبـد ان لا نفس ، ولا لحـظة إلاّ بقـدرتـه ، ومشيّتـه وإذا علم ذلك ، واعتقـد به اعتقـاداً مباشـراً لقلبه ، وعلمـاً صادقـاً مؤثـراً في افعـالـه وأعمـالـه ، لا يـرى في الـوجـود مؤثّـراً إلاّ الله ، ولا في الكون فاعـلا غيره ، وحينئذٍ ينقطع إلى ربّـه ، ويقطع طمعه عن النّاس ، وعن حـولـه وقـوّتـه ، فيتمّ لـه التّـوحيـد العلمي ، فيكـون في شهـادتـه بـالتّوحيـد صـادقـاً ، وأمـا من لا يـرى الخيـر إلاّ في المـال مثلا ولا يـرى معطياً ، ولا مانعاً إلاّ النّاس ، فهو مضـادّ لتوحيـد الله ، ومنافق في شهـادته بـأن لا اله إلاّ الله ، والله يشهـد انّ المنافقين لكـاذبون ، فـانّا لله وانّـا اليـه راجعون ، مصيبة عظم رزئها ، وجلّ عقابها .

أقول : ومن هذا الباب :

ما روى عن أمير المؤمنين (ع) ، انّه لا يجد عبد طعم الايمان ، حتّى يعلم أن الضار والنّافع هو الله ، ومثل هذا العبد لا يكون بما في يده اوثق منه بما عند الله ، ويسوّى عنده الوجود والعدم ، والغنى والفقر ، وامّا من يرى الاسباب ، ولم ير مسبّب الاسباب ، ولا يطمئنّ على ضمان الله ، فهو حقيق بان يعد عابداً لها ، لالله اللّهمّ إلاّ ان يكون إيمانه اعتقاداً جازما ، ويكون عدم تأثير إيمانه في عمله من جهة مرض قلبه ، وضعفه ، واستيلاء الجبن عليه ، وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه ، فانّ القلب قد ينزعج تبعاً للوهم ، وطاعة له من غير نقصان في الاعتقاد ، كانز عليه من ان يبيت مع ميّت في بيت ، أو في قبر مع قطعه بانّ الميّت مثل ساير الجمادات ، لا يقدر على شيء هذا ، ولا تغفل عمّا اشير اليه في امر الصلاة ، وهي امور : منها انّ صلاتك للنبيّ (ص) من قبيل صلاتك لله ، كما يفهم ذلك ، من قوله : أوصل ـ اه .

وهذا كذلك ، لانّ الصلاة خدمة ، وعبوديّة ، وميل ورغبة من العبد إلى الله ، وذلك بالنسّبة إلى الله ، انّما هو بالصّلاة ، وهكذا صلاة النّبيّ (ص) خدمة ، وتواضع ، وميل ورغبة الى حضرة رسول الله (ص) ، وصورة ذلك كلّه واحدة ، انّما هو بالصّلاة المسنونة له من الله .

ومنها لزوم وصل صلاته بصلاة الله ، وطاعته بطاعته ، لأنّه بعد الله جلّ جلاله وليّ نعم الله على عباده وواسطة فيضه الاقدس ، وخليفة الله ، وجنب الله وبابه ، ووجهه الّذي يتوجّه إليه الاولياء ، وبعده خلفائه المعصومون : أمير المؤمنين ، والاحد عشر من اولاده .

ومنها انّ في معرفة حرمته بركات ، وفوائد ، وانّ من لم يعرفه فاته فوائد صلاته، فانّ معرفتهم (ع) من مهمّات الأمور .

وقد روى في ذلك اخبار جليلة ، فارجع إلى ما روى في معرفتهم بالنورانّية ، بل صحّ قول من قال : انّ الخير كلّه في كمال معرفتهم لانّه لا سبيل الى معرفة كنه الذّات عزّ وجل فالمعرفة الممكنة في حقّنا الّتي

هي اسعد السّعادات، وأفضل مقامات الدين كلّها، بل لا فضيلة مثلها انّما هي معرفة الاسماء، وهم اسماء الله الحسنى، بل الاسم الاعظم ليس إلّا حقيقتهم، فمن عرف حقيقتهم بالمعرفة الشّخصيّة، فقد فازو نال، ولمّ ذلك: انّ المعرفة انّما هي بالوصول إلى المعروف، والقرب منه، وهذا هو المقصد الاسنى والكرامة العظمى، الّتي لا مرتقى فوقها، لا في الدُّنيا، ولا في الاخرة.

ثمّ انّ في فضيلة صلاته صلّى الله عليه وآله، وردت أخبار متواترة، ويكفي منها خبر واحد مستفيض، وهو انّه (ص) وعد لمن صلّى عليه واحداً أن يصلّي عليه عشراً، بل في رواية الكافي، باسناده عن أبي عبد الله (ص)، قال: إذا ذكر النّبيّ (ص) فأكثر الصلاة عليه، فانّه من صلّى على النّبيّ صلاة واحدة، صلّى الله عليه الف صلاة، في الف صفّ من الملاءكة، ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلّا صلّى على العبد، لصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا، فهو جاهل مغرور، فقد برء الله منه، ورسوله، وأهل بيته.

وروى فيه في حديث، عن رسول الله (ص) من ذكرت عنده، فلم يصلّ علي فدخل النّار فأبعده الله.

أقول: من كان مصليّاً على رسول الله (ص)، ويسلّم لا محالة، يراقب ان لا يضادّ في ذلك بعمله، فانّ روح الصلاة التحيّة والاكرام، وروح السّلام ما يحكى لك في مصباح الشّريعة، وهذان المعنيان انّما يخالفان بالايذاء والشّقاق، وإذا صّليت عليه وآله، وسلمت بلسانك فراقب، ان لا تؤذيه بعملك، فيخالف قولك في لسانك، لعملك بلسانك، وغيره من جوارحك، فانّ الأخبار وردت بعرض اعمالك على رسول الله (ص) والائمّة (ع)، فما ظنّك بهم، إذا راوا منك القبائح والمعصية، وإذا رأوا في عملك الظلم على شيعتهم، وعترتهم، أما يرييهم سبيل ذلك؟ وليس مضادّاً ومخالفاً مع الصلاة والسّلام عليهم، وإذا

كـان لسانـك مخالفاً لعملك ، وقلبك ، كـان نفاقـاً نستجيـر من ذلـك إلى الله .

وقـد حكى من بعض أهل المـراقبة : انّـه كـان يـدعـو لجمـاعـة من اخوانه المؤمنين مـدّة ، واتّفق له أنّـه مات ابـوه فورث منـه مالا ، قـال : أما كنت اواسي أخواني بالدّعاء بالنّعم الباقيـة : كيف ابخل عنهم من عـروض الدُّنيا الفانية ، فقسم ارثه من أبيه بين من كان يدعو لهم .

أقول : من يحسد اخـاه ببعض زخارف هـذه الدُّنيـا ، كيف يمكن له ان يرغب ان يعطيـه الله كرامـات عوالـم الاخـرة ، ومن لا يقدر ان يـرى في أخيــه شيئــاً من النّعم الخسيســة ، كيف يـشتــاق الـى ان يصـــل إلـيـــه النعم الجليلة الفاخـرة ؟ وهل يكـون هذا إلاّ خلفـا ، والّذي يتراى من بذل النّـاس الدّعـاء بالجنّـة ، وبخلهم وحسدهم في غيـر ذلـك ، إمّـا من جهـة عـدم اعتقادهم في تـأْثير دعـائهم ، وإمّا من جهـة عدم اطمئنانهـم بـوجـود النّعم الاخرويّة .

وكيف كـان في مصباح الشّـريعة : معنى التّسليم في دبـر كـلّ صلاة معني الامـان ، اي من اتى بـأمـر الله تعـالى ، وسنّـة نبيّـه خـاضعـاً لـــه ، وخـاشعاً فيـه ، فله الامان من بـلاء الدُّنيـا ، والبرائـة من عذاب الآخـرة ، والسّــلام اسم من اسمـاء الله تعـــالى ، أودعـه خلقـــه ليستعملوا معنـاه في المعاملات ، والأمانات ، والألصـاقات ، وتصـديق مصاحبتهم ومجـالستهم فيمـا بينهم ، وصحّة معـاشرتهم ، فـأن اردت أن تضع السّـلام مـوضعـه ، وتؤدي معناه ، فاتّق الله وليسلم منـك دينك ، وقلبـك وعقلك ، لا تدنّسهـا بـظلم المعاصي ، ولتسلم منـك حفـظتـك ، لا تبـرمهم ، ولا تملّهم ، ولا توحشّهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثمّ مع صديقك ، ثم مـع عدوّك فـانّ من لم يسلم منـــه من هـو أقـــرب اليـه ، فـــالابعـد اولى ، ومن لا يضــع السّلام . وضعه هذا ، فلا سلام ولا تسليم ، وكان كـاذباً في سـلامه ، وان افشاه في خلقه .

أقول : تفطن يا عاقل من هذه الكلمات بحكم تسليمك على النّاس ، وقلبك لا يحب له سلامة جميع النّعم ، او بعضها ، هل هذا الانفاق ؟ وهل للمسلم ان يتوقّع لمثل هذا السّلام ، ما اعدّ الله للمسلم من الكرامات ، وهكذا تقول في لسانك : السّلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وتؤذيه بعملك وفعلك فتفطّن من ذلك على موقع سلامك لنبّيك ، وائمّتك (ع) في صلاتك ، او في زيارتك ، فانّ من ظلم النّاس وشيعتهم وذرّيّتهم ، واخذ منهم مالا ، وزارهم بذلك المال ، لا سيّما اذا كان ملابساً بعين هذا المال ، عند التسليم ، او بقوّته لاداء التّسليم ، فما حكم سلامه ، لاسّيما اذا كان مع مخالفته في الباطن ، مخالفاً لرضاه في الزّي والهيّئة أيضا ، بأن يكون لبس لباس اعدائه ، وتشبّه باعدائه في اللّباس والهيئة ، وروّج بذلك اعداء الدّين ، وخلاف احكام الله ، فهل سلامه في هذا الحال سلام وتحيّة ، او هو مستهزىء بنفسه ؟ بل يمكن ان يكون بعض هذه التّسليمات ، والزّيارات بمثابة السّهام على قلوبهم الزّكيّة ، والعياذ بالله ، واللجاء اليه من امثال هذه الفضائح في الزّيارات ، الّتي هي من أفضل القربات ، قل : **هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدُّنيا ، وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعا** .

هذا ولا تقنع في تشهّدك بقدر الواجب تبعاً للمتعارف ، واعمل فيه لا محالة بعض فقرات التشهّد الكبير ، وكذا لا تدع في سلامك التسليم على الائمّة ، بما ورد ، وعلى الانبياء والملاءكة ، فان تبعية السّلف صارداء عضالا لا ينجو منها إلاّ الأوحدى ، واتّسع مجراها حتّى في العبادات ، والقربات ، مثلا ارى الشّيعة مولعين لذكر الشّهادة بالولاية في اذانهم ، مع اعتقادهم انّه لم يرد به رواية ، وان كان هذا الاعتقاد باطلا ويتركون السّلام على الأئمّة في صلاتهم ، مع اعتقادهم باستحبابه ، وهل هذا إلاّ من جهة التّعارف ، وعدمه .

هـذا وقد لـزمني بعد مـا سطرت هـذه الجملة ، ان اذكر مـا ورد في هذا المعنى من الرّوايات ، في تفسير الامـام (ع) قال إذا تـوجّه المؤمن في مصـلاه ليصلّي ، قال الله عـز وجلّ لمـلاءكته : يـا ملائكتي امـا تـرون الى عبـدي هذا ، قـد انقطع عن جميـع الخلائق إليّ ، وامّـل رحمتي وجـودي ورأفتي ، اشهـدكم انّي اخصّـه بـرحمتي ، وكـراماتي ، وإذا رفـع يـده ، وقال : الله اكبر ، أثنى على الله ، قال الله لملاءكتـه : يا عبـادي اما تـرونه كيف كبرّني ، وعظّمني ، ونزّهني عن ان يكون لي شـريك ، او شبيـه ، او نظير ، ورفع يده ، وتبرء عمّا يقـوله اعـدائي . من الاشراك بي ؟ أشهـدكم اني سـاكبّره واعـظّمه في دار جـلالي ، وأنزهـه في تنزّهـات دار كـرامتي ، وأبرئه من آثـامه ومن ذنـوبه ، ومن عـذاب جهنّم ومن نيرانهـا ، وإذا قال : بسم الله الـرّحمن الـرّحيم ، وقـرء فـاتحـة الكتـاب وسـورة ، قـال الله لملاءكته : اما ترون عبدى ؟ كيف تلذّذ بقرائـة كلامى أشهـدكم ملاءكتي ، لاقـولنّ له يـوم القيامة أقـرّ في جنـاني ، وارق درجـاتي ، ولا يـزال يقـرء ويـرقى بعدد كـلّ حرف درجـة من ذهـب ، ودرجـة من فضّـة ، ودرجـة من لؤلؤ ، ودرجـة من جوهـر ، ودرجة من زبـرجـد اخضـر ، ودرجـة من زمـرّد أخضر ، ودرجة من نور ربّ العزّة ، فاذا ركع قال الله تعالى لمـلاءكته ، يـا ملاءكتي كيف تواضع لجلال عظمتي ؟ أشهدكم لاعـظمنّه في دار كبـريائي وجـلالي ، فاذا رفـع رأسـه من الـرّكـوع ، قـال الله تعـالى لمـلاءكتـه : يـا ملاءكتي اما ترون كيف يقول ؟ ارتفع من أعدائك كما اتـواضع لأوليـاءك ، وأنتصب لخـدمتك ، اشهـدكم يـا مـلاءكتي لأجعلن جميـل العـاقبـة لـه ، ولاصيرنّه إلى جنـاني ، فاذا سجـد قال الله تعـالى لملاءكتـه : يا مـلاءكتي أمـا ترون كيف تـواضع بعـد ارتفاعـه ، وقال انّي ، وان كنت جليـلا مكينـاً في دنياك ، فانا ذليل عنـد الحقّ إذا ظهر لي ، سـوف ارفعه ، ومـا دفع بـه البـاطل ، فـاذا رفع رأسـه من السّجدة الأولى ، قـال الله تعالى يـا ملاءكتي امّـا ترونـه كيف قال : انّي وان تـواضعت لك فسـوف اخلط الانتصـاب في طاعتك بالذّلّ بين يديك ، فإذا سجد ثانية ، قال الله تعالى لمـلاءكته : أمـا

تـرون عبدي ؟ هـذا كيف اعاد التـواضع ، لي لاعيـدّن اليه رحمتي ، فـاذا رفـع رأسه قـائماً ، قـال الله تعالى : يـا ملاءكتي لارفعنّـه بتواضعـه ، كمـا ارتفـع إلي صلاته ، ثمّ لا يـزال يقول الله تعـالى لمـلاءكتـه هكـذا في كـلّ ركعـة ، حتّى إذا قعـد في التشهّـد الأول ، والتشهّـد الثّـاني ، قـال الله تعـالى : يـا مـلاءكتي ، قـد قضى خـدمتي وعبـادتي ، وقعـد يثني عليّ ويصلّي على محَمـد نبيّي ، لأثنينّ عليـه في ملكـوت السّمـوات والأرض ، ولاصلّين على روحـه في الارواح ، فـاذا صلّى على أميـر المؤمنـين فـي صـلاته ، قـال الله : يـا عبـدى لاصلّينّ عليـك ، كمـا صلّيت عليـه ، ولاجعلنّـه شفيعك ، كمـا استشفعت به ، فـاذا سلّم من صلاته ، سلّم الله عليه وملاءكته .

أقـول : سبحـان هـذا الـربّ الـودود ، العـطوف الـرّحيم الرّؤوف ، وسبحانه من كريم ما الطفه ، ومن لطيف ما أكرمه .

ومنهـا ما في كتـاب اللّئالي ، فقـد روى انّه سئـل ما الحكمـة في انّه جعـل للصّلوات الاذان ، ولم يكن لسائر العبـادات أذان ولا اقـامـة ؟ قـال (ع) : لانّ الصّلاة شبيهـة بأحـوال يوم القيامة ، لانّ الاذان شبيـه بـالنفخـة الاولى لمـوت الخلائق ، والاقـامة شبيـه بـالنّفخـة الثّـانيـة ، كمـا قـال الله تعـالى : **واستمع يـوم ينادى المنـادى من مكان قـريب** والقيـام الى الصـلاة شبيه بقيام الخلائق ، كما قال الله :

يوم يقوم النّاس لربّ العالمين ، ورفع الايدي والتّكبيرة الاولى شبيـه بـرفـع الايدي لأخـذ الكتـاب يـوم القيامة ، وقـرائـة الكتب بين يـدي ربّ العالمين .

كما قال تعالى :

أقـرء كتـابـك كفى بنفسـك اليـوم عليـك حسيبـاً ، والـرّكـوع شبيـه بخضوع الخلائق لربّ العالمين ، كما قال تعالى :

وعنت الوجوه للحيّ القيّوم ، والسّجود شبيه بالسّجود لرب العالمين ، كما قال عزّ ذكره .

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السّجود ، والتّشهد شبيه بالجثوبين يدى ربّ العالمين ، كما قال تعالى :

فريق في الجنة وفريق في السعير .

ومنها ما في اخبار المعراج ، من كون كيفيّة معراجه (ص) منطبقة مع كيفيّة الصّلاة ، من الاذان ، والوضوء إلى آخر الصّلوة ، وفيما رواه في الكافي ، بعد ذكر تشريع الاذان والاقامة باجزائهما إلى السّماء الرّابعة ، ثمّ قيل لي : ارفع رأسك يا محمّد ، فرفعت رأسي ، فإذا اطباق السّماء قد خرقت ، والحجب قد رفعت ، ثمّ قال لي : طأطأ رأسك أنظر ماذا ترى ؟ فطأطأت راسي فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا ، وحرم مثل حرم هذا البيت ، لو القيت شيئاً من يدي لم يقع الا عليه ، فقيل : يا محمّد هذا الحرم ، وانت الحرام ولكلّ مثل مثال ، ثمّ أوحى الله إليّ : يا محمّد ادن من صاد، واغسل مساجدك وطهّرها، وصل لربّك، فدنى رسول الله (ص) من صاد ، وهو ماء يسيل من ساق العرش الايمن ، فتلقّى رسول الله الماء بيده اليمنى ، ومن اجل ذلك صار الوضوء باليمين،ثمَّ اوحى الله اليه ان اغسل وجهك ، فانّك تنظر الى عظمتي ، ثمَّ اغسل ذراعيك اليمنى واليسرى،فانَّك تلقّي بيدك كلامي ، ثمّ امسح رأسك بفضل ما بقى في يدك من الماء ، ورجليك إلى كعبيك ، فانّي ابار ك عليك واوطئك موطئاً لم يطائه احد غيرك ، فهذا علّة الاذان والوضوء ، ثمّ اوحى الله تعالى إليه : يا محمّد استقبل الحجر الاسود ، وكبّر على عدد حجبي ، فمن أجل ذلك صار التّكبير سبعاً ، لأن الحجب سبع فافتتح عند افتتاح الحجب ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح ستة ، والحجب متطابقة بينهنّ بحار النّور ، وذلك النور النّور الّذي أنزله الله تعالى على محمّد (ص)

فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلث مرّات ، لافتتاح الحجب ثلاث مرّات ، فصار التّكبير سبعاً ، والافتتاح ثلاثاً ، فلمّا فرغ من التّكبير والافتتاح ، اوحى الله إليه سمّ باسمي ، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرّحمن الرّحيم في اوّل السورة ، ثمّ اوحى الله إليه ان أحمدني ، فلمّا قال : الحمد لله ربّ العالمين ، قال النّبيّ في نفسه شكراً ، فاوحى الله إليه : قطعت ذكرى فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمدلله الرّحمن الرّحيم مرّتين فلمّا بلغ ولاالضّالّين ، قال : الحمد لله رب العالمين شكراً ، فاوحى الله إليه قطعت ذكري ، فسمّ باسمي ، فمن اجل ذلك جعل بسم الله الرّحمن الرّحيم ، ثمّ اوحى الله إلية ان اقرء يا محمّد ، انّ الله تعالى هو الله احد ، الله الصّمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ثمّ امسك عنه فقال رسول الله (ص) كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربّنا ، فلمّا قال : ذلك أوحى الله إليه اركع لربّك يا محمّد (ص) ، فركع فاوحى الله إليه وهو راكع ، قل : سبحان ربّي العظيم وبحمده ، ففعل ذلك ثلثاً ، ثمّ اوحى الله اليه ان ارفع رأسك يا محمّد (ص) ، ففعل رسول الله (ص) ، وقام منتصباً ، فاوحى الله عزّ وجلّ إليه ان اسجد لربّك يا محمَّد فخرّ رسول الله «ص» ساجداً فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه قل سبحان ربِّ الاعلى وبحمده، يفعل ذلك ثلاثاً، ثم اوحى الله اليه استو جالساً يا محمَّد ، ففعل ، فلمّا رفع رأسه من السّجود ، واستوى جالساً نظر إلى عظمته تجلّت له ، فخرّ ساجداً من تلقاء نفسه ، لا لامر امر به ، فسبّح ايضاً ثلاثاً ، ثمّ اوحى الله إليه ارفع رأسك ، انتصب قائماً ففعل فلم ير ما كان من العظمة إلى ان قال بعد الرّكعة الثّانية : ارفع رأسك يا محمّد ثبتّك ربُّك ، فلمّا ذهب ليقوم ، قيل : اجلس ، فجلس ، فاوحى الله إليه : يا محمّد اذا ما انعمت عليك ، فسمّ باسمي ، فالهم بان قال ، بسم الله ، وبالله ، ولا إله إلا الله ، والأسماء الحسنى كلّها لله تعالى ، ثمّ اوحى الله إليه ، يا محمّد

صلّ على نفسك ، وعلى أهل بيتك ، فقال ، صلّى الله عليّ وعلى اهل بيتي ، ثمّ التفت ، فإذا بصفوف من الملاءكة والمرسلين ، فقيل : يا محمّد سلّم عليهم ، فقال : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فاوحى الله إليه : انّما السلام والتحيّة ، والرّحمة والبركات لك ولذريّتك .

أقول : كفى بهذه الاخبار للعاقل في الاطمينان ، بانّ تشريع الصّلاة انّما هو لامر عظيم ، وهو حقيقة معراج المؤمن ، ومطابق لاحوال يوم القيمة ، بل مطابق لأحوال المبدء .

كما بدءكم تعودون ، وإذا عرف العبد ذلك ، فله ان يعظم امرها غاية جدّه ، ويتشمرّ في تكميلها بكل ميسوره ، ويلتجأ في ذلك إلى الله تعالى حقّ الالتجاء ، ويقطع بعجزه وقصوره ، وتقصيره واضطراره إلى عنايته : فإنه تعالى قادر على ما يشاء من الفضل ، والعدل معه وبه ، فان طالبه باستحقاق الصدق والاخلاص حجبه ، وردّ صلاته ، وان عطف عليه بفضله ورحمته قبل منه عمله ، وان كان قليلا ناقصا ، واجزل عليه ثواباً عظيما ، وان علم الله من قلبه صدق الالتجاء اكرمه ، بتوفيقه وتاييده ، واعانه في توفية مراده ، فانّه كريم يحبّ الكرامة لعباده المضطّرين إليه ، المحترفين إلى بابه ، وقد قال في كتابه :

أمّن يجيب المضطّر إذا دعاه .

فصل : في التعقيب وهو من المهمّات ، ومن مكمّلات الصّلاة ، وقد ورد فيه اشياء كثيرة ، من القرآن والاذكار ، والادعية والصّلاة ، وقد تعرض لجمعها جماعة من علمائنا ، وتصانيفهم في ذلك كثيرة معمولة ، ولكنيّ انتخبت من ذلك بعضها لأهل العلم ، الّذين اوقاتهم مشغولة للعلم ، افادة واستفادة ، بعضها واردة بخصوص التّعقيب ، وبعضها لا خصوصّية لها بذلك .

منها : الصّلوات بعد التكبيرات الثلاث ، وصورتها : اللّهم صلّ

على محمّد وآل محمّد ، حتّى لا يبقى من صلاتك شيء ، وارحم على محمّد وآل محمّد ، حتّى لا يبقى من رحمتك شيء ، وبارك على محمّد وآل محمّد ، حتّى لا يبقى من البركات شيء وسلّم على محمّد وآل محمّد ، حتّى لا يبقى من السّلام شيء .

والدّعاء على حجّة الله ، امام الزّمان عجل الله تعالى فرجه وصورته : وعجلّ لوليّك الفرج ، وارنا فيه ، وفي اهل بيته وشيعته ، ورعيّته ، وعامّته ، وخاصّته ، ما يأمل ، وفي اعداءه ما يحذر .

واتبعته بدعاء شيخي ووالدي ، وجماعة من خاصتي من الارحام واخوان الصّفا ، وعموم المؤمنين .

ثمّ بما ورد عن الباقر (ع) : اللّهمّ انّي اسألك من كل خير احاط به علمك ، وأعوذ بك من كلّ سوء احاط به علمك ، اللّهمّ انّي اسألك عافيتك في اموري كلّها ، واعوذ بك من خزى الدُّنيا وعذاب الآخرة .

واتبعته بما ورد من قولهم : اللّهمّ انّي اسألك الجنّة ، والحور العين ، برحمتك يا أرحم الرّاحمين .

فاتبعته بما ورد : اللهمَّ اهدنى من عندك وافض عليّ من فضلك ، وانشر عليّ من رحمتك ، وأنزل عليّ من بركاتك . وكرّره ثلاثاً .

ثمّ تسبيح الزّهراء (ع) ، والاخبار الواردة في فضله كثيرة ، لا بأس بالاشارة إلى خبر واحد ، وهو ما روى عن الصّادق (ع) قال : تسبيح فاطمة في كل يوم في دبر كلّ صلاة ، احبّ الى الله من صلاة الف ركعة في كلّ يوم .

واتبعته بقرائة الفاتحة ، وآية الكرسي ، وآية شهدالله ، وآية الملك إلى قوله بغير حساب فعن [١] النّبيّ (ص) انّه قال : لمّا اراد الله ان ينزل

(١) رواه في الكافي باختلاف كثير .

فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وشهدالله ، وقل اللّهمّ مالك الملك إلى قوله بغير حساب ، تعلّقن بالعرش ، ليس بينهنّ وبين الله حجاب ، فقلن يا ربّ تهبطنا إلى دار الذّنوب ، وإلى من يعصيك ، ونحن متعلّقات بالطّهور والقدس ، فقال سبحانه : وعزّتي وجلالي ما من عبد قرءكنّ في دبر كلّ صلوة إلاّ اسكنته حظيرة القدس ، على ما كان فيه ، وإلاّ نظرت إليه بعينى المكنونة في كلّ يوم سبعين مرّة وإلاّ قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة ، ادناها المغفرة ، وإلاّ اعذته من كلّ عدُو ، ونصرته عليه ، ولا يمنعه من دخول الجّنة إلاّ الموت .

ثمّ اتبعتها بقول : سبحان الله كلمّا سبّح الله شيء وكما يحبّ الله ان يسبح ، وكما هو اهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والحمد لله كلّما حمدالله شيء ، وكما يحبّ الله ان يحمد ، وكما هو اهله ، وكما ينبغى لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، ولا إله إلاّ الله كلّما هلل الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يهلّل ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والله أكبر كلّما كبّر الله شيء ، وكما يحبّ الله ان يكبّر ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، سبحان الله ، والحمدلله ، ولا اله إلاّ الله ، والله أكبر ، على كلّ نعمة انعم بها عليّ ، وعلى كلّ احد ممّن كان أو يكون إلى يوم القيمة ، اللّهمّ انّي اسألك ان تصلّي على محمّد وآل محمّد ، واسألك خير ما ارجو ، وخير ما لا ارجو ، واعوذ بك من شرّ ما احذر ومن شرّ ما لا احذر .

واتبعته بقرائة سورة التّوحيد ، ثلاث مرّات ، هدية إلى صاحب الزّمان (ع) .

واتبعتها بقول اللّهمّ عرفّني نفسك ، فانّك أن لم تعرّفني نفسك لم اعرف رسولك ، اللّهمّ عرّفني رسولك ، فانّك ان لم تعرّفني رسولك لم اعرف حجتّك ، اللّهمّ عرّفني حُجّتك ، فانّك إن لم تعرّفني حجتّك ضللت عن ديني .

وهذا التّفصيل اخترته من جملة ما ورد خصوصاً ، وعموماً لتعقيب الصّلوات الخمس ، وقد وردت في الاخبار لها فضل عظيم ، طوينا تفصيلها للإختصار .

ولكن لصلاة الصّبح زيادة في المرويّ ، والمختار .

وهو دعاء العهد ، وعشر مرات اشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، الهاً واحداً أحداً فرداً صمداً ، لم يتخّذ صاحبة ولا ولداً .

وعشر مرّات ، اللّهمّ ما اصبحت لي من نعمة او عافية في دين او دنيا ، فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ، ولك الشكّر بها عليّ يا ربّ حتّى ترضى ، وبعد الرّضا .

واثنى عشر مرةً ، سورة التّوحيد ، وسبع مرّات بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيّم ، وابتدء كلّ يوم بين يدي عجلتي ونسياني بسم الله وبالله ، ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله .

وعشر مرّات سبحان الله العظيم وبحمده ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

وثلث مرّات ، سبحان الله ملأ الميزان ، ومنتهى العلم ، ومبلغ الرّضا، وزنة العرش .

وثلث مرّات اللّهمّ أنت ربّي لا شريك لك ، اصبحنا واصبح الملك لله سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم ، واستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم ، ذو الجلال والاكرام ، واسئله ان يصلّي على محمّد وآل محمّد ، وان يتوب علي توبة عبد ذليل خائف فقير ، بائس مسكين مستكين مستجير ، لا يملك لنفسه نفعاً ، ولا ضرّاً ، ولا موتاً ، ولا حياتاً ولا نشوراً .

واستغفر الله الّذي لا إلـه إلاّ هو الـرّحمن الرّحيم ، بـديع السّمـوات والارض من جميع جرمي وظلمي ، واسرافي على نفسي واتوب اليه .

وسبعون مرّة ، استغفر الله ربّي ، واتوب اليه .

وعشـر مرّات أعـوذ بـالله السّميـع العليم ، من همـزات الشّيـاطين ، واعوذ بك ربّ انّ يحضرون ، انّ الله هو السّميع العليم .

ومائة مرة ، لا إله إلاّ الله ، وازيد عليها عشراً .

واتبعتها بدعاء الصّباح المروي عن أمير المؤمنين(ع) .

وهذه كلّها في الادعية ، والاذكار .

وأفضل منها التّفكّـر ، لا سيّما بعـد صلاة الصّبح ، والمغـرب ، وهو على وجوه .

منهـا الفكر في محـاسبة النّفس ، فيمـا سبق من تقصيراتـه ، وترتيب وظائف يومـه الحاضـر ، والتّدبيـر لدفـع الصّوارف ، والعوائق الشّاغلة عن الخيـر ، واحضار النيّـات الصالحة في أعمـال يومـه ، في نفسه ، ومعـاملته للمسلمين ، والتّفكّـر في نعم الله ، وآلائـه الـظاهـرة ، والبـاطنـة ، لتـزيـد معرفته بها ، وشكره عليها وفي عقوباته ونقمـاته لتـزيد معـرفته بقـدرة الله ، وخـوفه من التّعـرُّض لموجبـاتها ، والفكـر في الموت على التّفصيـل الّـذي اشير إليه في محلّه ، او معـرفة النّفس ، واسـرار الكون ، وفي صفـات الله واسمـائه ، ان كـان من اهل هـذا التّفكّر ، وانّ التّفكّـر في هذه الأُمـور لـه شعب كثيرة ، ولكلّ أهل مخصوص به .

وفي الخبر تفكّر ساعة خير من عبادة سنة .

وفيـه خير من عبـادة سبعين سنة ، ولعـل اختلاف المثـوبـة من جهـة اختلاف انواعه ، والسّرّ في كونه خيراً من العبادة بـالاعمال ، انّ فيـه معنى الذّكر ، وحقيقته مع زيادة أمرين اعـظمين وهما زيـادة المعرفـة والمحبّة اذ

الفكر مفتاح المعرفة وهو سبب انكشاف المعروف وشهوده ، وهو موجب للمحبّة إذ لا يحبّ القلب إلّا من يعتقد جماله وجلاله ، وخيره ، ولا يمكن ذلك الا بمعرفة صفاته الجميلة والجليلة ، ومفتاحها الفكر ، والذّكر أيضا يورث المحبّة ، ولكن فرق ما بين الحبّين فرق الخبر والعيان فانّ الفكر مفتاح الكشف والشّهود ، ولا يتأتى من الذّكر ذلك ، وان كان يورث حبّ الانس بكثرة الذكر ومن المهمات بعد التعقيب ، سجدة الشكر لتوفيق اداء الصلاة ، وورد فيها من الفضل العظيم ما مضى .

ومن المهمّات أيضاً النّوافل ، وبها يتمّ ما نقص في الفرض من الاقبال ، وقد ورد فيها تأكيد شديد ، وينبغى ان لا يتركها ، ولو كان بأقلّ ما يحبّ من الاجزاء ولو كان في حال المشي إلى الحوائج ، ووقت نوافل الظّهرين تمام اليوم على الاقوى .

وبالجملة ورد الحثّ الاكيد للنوافل حتّى عبرّ في بعضها عن تركها بالمعصية ، وفي بعضها عدّ فعلها من علائم الشّيعة ، وللعبد المراقب لمراسم العبودّيةفي حقّ النّوافل جدّ عظيم ، لسّر لطيف ، وهو انّ اداء الحقوق الواجبة من جهة انّ في تركها عقاباً كانّه طاعة اجبارية ، واداء النّوافل كانّه طاعة اختياريّة ، وهي في نظر المراقب اهمّ من هذه الجهة بل المواظبة ، والاهتمام على النّوافل يكشف عن كمال نيّة العبد في الواجبات أيضاً ، فكأنّ المواظب على النّوافل ليشهد حاله بانّه انّما قصد باداء الواجبات امتثال الامر ، ووجه الرّبّ تعالى ، ولم يفعلها بمجرّد خوف العقوبة .

ومن النّوافل المؤكدّة ، صلاة اللّيل ، وما ادريك ما صلاة اللّيل ، وهي نور من الظلمة ، وانس من الوحشة ، وخلة من الكثرة .

وعن الصّادق (ع) انها مرضات للرّبّ ، وحبّ الملائكة ، وسنّة الانبياء ، ونور المعرفة ، واصل الايمان ، وراحة الابدان ، وكراهة

الشّيطان وسلاح على الاعداء واجابة الدّعاء وقبول الاعمال ، وبركة في الرّزق ، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت ، وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب على منكر ونكير ، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة ، وإذا كان يوم القيامة كان ظلا فوقه ، وتاجاً على رأسه ، ولباساً على بدنه ، ونوراً يسعى بين يديه . وستراً بينه وبين النّار ، وحجّة بينه وبين الله تعالى ، وثقلا في الميزان ، وجوازاً على الصّراط ، ومفتاحاً للجنّة .

وفي رواية انّ الله تعالى اوحى إلى بعض الصّدّيقين ، انّ لي عباداً من عبادى يحبوّني ، فاحبّهم ، ويشتاقون اليّ فاشتاق إليهم ، ويذكروني وأذكرهم ، وينظرون اليّ ، وأنظر إليهم ، فان حذوت طريقتهم احببتك ، وان عدلت عنهم مقتّك ، قال : يا ربّ وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظّلال بالنّهار ، كما يراعى الراعي الشّفيق غنمه ، ويحنّون الى غروب الشّمس ، كما يحنّ الطّير إلى وكره عند الغروب فاذا جنّهم اللّيل ، واختلط الظّلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الاسرّة وخلىّ كلّ حبيب مع حبيبه ، ونصبوا إلىّ اقدامهم ، وفرشوا وجوههم . وناجوني بكلامي ، وتملّقوا إليّ بأنعامي ، فبين صارخ وباك ، ومتأوّه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وراكع وساجد ، بعيني ما يتحمّلون من اجلى ، وبسمعي ما يشتكون من حبّي ، اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم ، فيخبرون عنّي ، كما أخبر عنهم ، والثّانية لو كانت السّموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم .

والثّالثة أقبل بوجهي اليهم ، افيرى من اقبلت بوجهي عليه ، يعلم احد ما اريد ان اعطيه .

وفيها ان البيوت الّتي يصلّي فيها باللّيل ، ويتلى فيها القرآن تضيء لأهل السّماء ، كما تضيء الكواكب لأهل الأرض .

وقال رسول الله (ص) في وصّيته لأمير المؤمنين (ع) : وعليك

بصلاة اللّيل ، وعليك بصلاة اللّيل ، وعليك بصلاة اللّيل .

وقـال : الا تـرون إلى المصلّين بـاللّيـل ، فـأنّهم احسن النّـاس وجوهاً ، لانهم صلّوا باللّيل لله سبحانه ، فكساهم من نوره .

أقول: الأخبار في فضيلتها متواترة، سوى ما نزل فيها من الآيات .

ولو لم يكن منها إلاّ قـوله تعـالى :**ومن اللّيل فتهجّـد به نـافلة لك ، عسى ربّك ان يبعثك مقاماً محموداً** لكفى فسبحان الله مـا اعظم شـأنها وأجلّ خـطرها ، حيث جـزائها المقـام المحمود وانـا أكتفي من ذكر أخبـار فضيلتهـا بهذه الجملة ، ومن اراد التّفصيل فليراجع الى ما فصّلتها .

في كتاب السّير إلى الله .

وأشيـر ممّا ورد في خـزى من استخفّ بها وتـركها ، إلى مـا رواه في البلد الأمين من قـول الصّـادق (ع) : ليس من شيعتنـا من لم يصّـل صلاة اللّيـل ، وإلى مـا ورد عنـه (ع) قـولـه (ع) : ابغض الخلق إلى الله جيفـة باللّيل ، وبطّال بالنّهار .

ومـا ورد عن النّبيّ (ص) قـال : ومـا نـام احـدا اللّيـل كلّه الا بـال الشّيـطان في اذنه ، وجـاء يوم القيامة مفلسـاً ، ومـا من احـد الاّ ولـه ملك يـوقظه من نـومه كـلّ ليل مـرّتين ، يا عبـد الله اقعـد لتـذكّـر ربّـك ، ففي الثّالثة ان لم يتنبّه يبول الشّيطان في أُذنه .

أقول: لا تكن كافراً بهذه الأخبار وآمن بها وانّي اشهد الله :

انّي أعرف من المتهجّدين من كـان يسمع من يـوقظه ، وينـاديه وقت تهجده في اوائل أمره ، بلفظة آقا .

فيقوم لورده .

وان كان لك قلب ربّما استشعر بسائر مـا ورد في اثراتهـا ، وبالجملة

ان كنت مؤمناً بهذه الفضائل لصلاة اللّيل ، لا تتركها ، ولا تضيّعها قطعاً فانّ الانسان لحبّ الخير لشديد ، أما سمعت قوله في الحديث القدسي : ويحنّون إلى غروب الشّمس ، كما يحنّ الطّير إلى وكره وقت الغروب ، فانّ من آمن بصلاة اللّيل ببعض هذه الفضائل ، كيف لا يحنّ إلى مجيء وقتها ، اليس هذا الانسان من يبذل في التّقرّب إلى سلاطين الدُّنيا ، واشرافها ، والخلوة معهم ، ماله وأهله ، بل يتنافس في ذلك ببذل روحه ، وحياته .

والله تعالى يقول : والمؤمنون اشدّ حباً لله ، ولا تصغ الى من يعتذر عن تركها بغلبة النّوم ، وعدم الانتباه ، لأنَّ هذا العذر مردود بوجوه:

منها قول أمير المؤمنين (ع) لمن قال له : إنّي نمت البارحة من وردي قال (ص) : انت رجل قيّدتك ذنوبك .

ومنها: أنَّ النّوم عن مثل هذا الامر العظيم غير ممكن ، غالباً الا ترى هذا الخلق الطّالبين الى الدُّنيا ، لو دعى احدهم سلطان زمانه الى خلوته في جوف اللّيل ، لا ينام عن وقت دعوته ، بل لا ينام في اوَّل الوقت ايضاً ، ويشتغل بفكر مجلسه ، وصحبته مع السّلطان ، وأنت اذا تأمّلت في أحوال نفسك ، تقطع بأنّك اذا استيقنت بأنّه يأتيك في جوف الليل من يعطيك بألف دينار ، لا تقدر ان تنام من شوقك الى هذا المال ، ومن خوف فوته بنومك .

ومنها : أنّك قادر لا محالة على أن تنام عند من يوقظك ،الى ان تعتاد ذلك فلست بمعذور ، وبالجملة النّوم عن مثل هذا الخبر خزي ، لا يقاس به خزي في الدُّنيا ابداً .

والنّائمون عن صلاة الليل طوائف : طائفة منهم يشتغلون اوّل الليل الى قريب الانتصاف في مجالسهم ، بالخوض فيما لا يعنى ، بل الخوض فيما ينهى عنه ،بل الخوض باغتياب المسلمين،وبل وبل،ويأكلون،ويشربون حتى اذا بلغت الحلقوم ، ثمَّ ينامون في انعم فراش ، وأروح مكان ، وهذا النَّائم لا بدّ ان ينام

من صلاة الليل ، لأنَّه من أوَّل الليل انّما هيّأ اسباب النَّوم باختياره ، بل يمكن ان يقال انَّه لم ينم بعزم الانتباه . بل ولا برجائه ، لأنَّ زيادة الاكل والشرب ، يسير سبباً لبخار المعدة ، وسكر الدّماغ ، وذلك موجب لكثرة النَّوم ، والاستيقاظ في أوَّل الليل من أسباب النَّوم في آخره ، وهكذا معصية أوَّل الليل من أسباب النّوم في آخره ، وهكذا الفراش النّاعم ، والمكان المروح ، يورث زيادة النَّوم ، وثقل الانتباه ، ومثل هذا الشّخص اذا اعتذر بعدم الانتباه ، فعذره مردود .

مثله من شرب دواء يزيل عقله في وقت الصلاة ثم اعتذر بأنّي لم اعقل وقت الصّلاة .

نعم قد ينام من تهيّأ لا لانتباه بالتّخلّي من هذه الاسباب ، بل بالتّوسّل بما ورد في الأخبار في الاستيقاظ ، والانتباه لطفاً من الله اللّطيف عليه في سياسته أمر عبوديّته ، حفظاً له من العجب ، أو تعريضاً له بزيادة الاجر من كثرة اسف فوت التّهجّد ، وقضاء لما فات عنه وزيادة ، ولكن الّذي يستفاد من الاخبار ، انّ ذلك لا يكون إلاّ قليلاً ، ليلة او ليلتين .

أمّا من نام عنها لمرض ، او لعذر سماويّ ، فهو أيضاً على وجهين :

أحدهما : من جهة اللّطف الالهي كما مرّ ، فابتلاه بالمرض ، او غيره من الاعذار ، ونومه بهذا الحال ، والابتلاء أفضل عنده من صلاته وتهجّده .

وقد ورد في الاخبار انّ لمثل هذا العبد ، يكتب مثل الّذي كان يعمل سابقاً قبل إبتلائه به ، وفي بعضها انّ محرابه ومصلّاه ، وأبواب السّماء الّتي كان يرفع منها عمله ، إنّما تبكى عليه .

وثانيهما : من باب الخزى والنّكال بسبب كثرة ذنوبه الّتي صارت سبباً لسلب توفيقه .

ثمّ انّ من النّاس من اتاه الخبيث من جهة اليمين ، فغرّه بترك التهجّد بتخيل إن إشتغاله بالمطالعة في العلوم أفضل ، وربّما اشتغل من اوّل اللّيل إلى آخره ، ونام عن فريضة الصّبح متخيّلا إنّ مطالعته أفضل من صلوته ، والأغلب في ذلك الاغترار .

لانّ تحصيل العلوم ، وإن كان أفضل بمراتب من العبادات البدنيّة ، ولكن له شروط :

منها كونها من العلوم النّافعة .

ومنها كون التّحصيل على التّرتيب الشّرعي ، ولا يكون على خلافه كتحصيل العلم الّذي وجوبه كفائيّ ، وترك الّذي وجوبه عيني .

مثلا إذا امكن للانسان العلم بالمسائل بطريق التّقليد ، والعلم بتزكية النّفس ايضاً بطريق التّقليد ، او الاجتهاد ، ترك علم تزكية النّفس رأساً ، وأشتغل بتحصيل المسائل بطريق الاجتهاد ، فانّ ذلك غير جايز ، وهكذا إذا فرغ من تحصيل العلوم اللّازمة عيناً ، واراد الاشتغال بالعلوم الواجبة كفاية ، فليكن ما يشتغل به من ذلك اهمّها ، فان اشتغل بغير الاهمّ ، وترك الاهمّ ، لا سيّما إذا كان ذلك الاختيار من جهة الميل النّفساني ، لا يكون ذلك عبادة لله ، وايضاً قد يشتغل الانسان بعد ملاحظة هذه الوجوه في الاهمّ ، وليكن اكثر إشتغاله من مقدّمات هذا الاهم في غير الاهم منها ، بل في غير اللازم ممّا يعد عند العامّة من الفضائل .

ومنها كون تحصيلها قربة إلى الله ، وهذا من أشكل الشّرائط ، وأغمضها ، فيها هلك من هلك ، وبالجملة كون تحصيل العلوم مرضياً لله ، وعبادة خالصة لله لا يوجد في الخارج الا نادراً ، وظنّي انّه لا يوجد في مائة الف واحد وكان بعض اخواني المحصلين من الاتقياء ، يقول : انا بعدما امكنني ان اشرك الله جلّ جلاله في تحصيلي العلوم ، فضلا

عن ان يكون خالصاً لوجهه الكريم ، ولعمري انّ هذا حال اغلب المتّقين من المحصّلين ، وان لم يشعروا به ، وكيف لغير المتّقين الّذين لهم في تحصيل العلوم اغراض فاسدة ، من التمكّن والاستيلاء بالعلوم على الحكم في الاموال ، والاعراض ، والنّفوس بالاهواء ، والعياذ بالله ، واللّجاء إليه من هذه المهالك ، ثم الاغترار ، وخيال انّ هذا التحصيل أفضل من التهجّد ، وصلاة اللّيل ، كيف والمتّقون إنّما يعالجون تصحيح نيّاتهم في تحصيل علومهم بصلاة اللّيل ، والتهجّد ، والتّضرّع في جوف اللّيل ، ولعمري انّ هذا الطّريق في تصحيح النيّات الواجبة العينيّة لسدّ الطّرق ، وانّه العروة الوثقى الّتي لا انفصام لها .

وحكى لي شيخي وسنادي في العلوم الحقّة ، انّه ما وصل احد من طلابّ الآخرة إلى شيء من المقامات الدّينيّة ، إلاّ من المتهجدين وظنّي انّي بعد ما سمعته ، منه وجدته في رواية ايضا ، هذا وما رويناه عن الصّادق (ع) من قوله (ع) ، ليس من شيعتنا بل وفي غير هذه الرّواية ، ليس منّا من لم يصل بصلاة اللّيل ، كاف في دفع هذه الوسوسة ، ولقد اجاد شيخنا العلاّمة الانصاري (ره) في جواب من سئله عن ترجيح المطالعة، وصلاة اللّيل، قال في جوابه: يا هذا هل تشرب القرشة؟ قال نعم قال: صل صلاة الليل مكان قرشتين، هذا جواب متين فيه تعريض على فساد هذا التّخيّل ، وانّه من الغرور بوجه مليح ، فكأنّه قال : انّك إذا كنت بهذا المثابة من المراقبة في الأحوال ، والاخلاص في الاعمال ، حتّى استشكل عليك الامر في صلوة اللّيل من جهة انّها مرجوحة بالنّسبة إلى المطالعة ، وتحصيل العلوم ، كيف خفى عليك انّك تشتغل بشرب القرشة الّتي أختلفت الاقوال في انّه حرام ، او مكروه ، او مباح ، كيف لاحظت المعارضة بين المندوبين من جهة ضيق الوقت عنهما معا وانت مشتغل بما هو حرام ، او مكروه ، او مباح ، فيا لله من هذا الخطب الفظيع ، ان يدلس الخبيث على العلماء ، انّ اشتغاله بمطالعة هذه

العلوم المعلومة المرسومة ، الّتي اغلبها لا يمكن تصحيح قصد لها شرعي بوجه من الوجوه الصّحيحة ، أفضل من الاستغفار في الاسحار ، والخلوة مع العزيز الغفّار ، كيف والعلم الّذي لا يبعث الانسان على التهجّد ، هو علم لا نور فيه ، ولا ثمرة له ، ولا خير ، والعلم على ما قاله الصّادق (ع) ، ملازم مع الخشية ، وصاحب الخشية لا يمكنه ترك التهجّد ويفزع إليها من خشيته .

وايضا المؤمن انّما يرى صلاة اللّيل ازيد اثرا في تحصيل العلم من المطالعة وقد كان شيخنا (ره) اوصى لنا ان نلتجىء الى الله ، ونتضرّع إليه عند تحيّرنا في المطالب العلمية ، وقد جرّ بنا ذلك والسّر في كون التهجّد ، والدّعاء من أسباب تحصيل العلم ، انّ العلم كما صرّح به في بعض الروايات ، ليس بكثرة التعلّم ، بل نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، والتّهجّد انّما ينوّر القلب ، ويثبت النّور في قلب المؤمن ، وهكذا المناجات في اللّيل ، كما روى عن الصّادق (ع) انّه إذا تخلّى العبد بسيّده في جوف اللّيل المظلم ، وناجاه اثبت الله النّور في قلبه فاذا قال يا ربّ يا ربّ ناداه الجليل جلّ جلاله : لبّيك عبدي سلني اعطك وتوكّل عليّ اكفك الحديث ، وكيف كان من كان له تتبّع ما في أخبار أهل البيت (ع) وأحوال السلف من مشائخنا العظام (ره) لا يشكّ في انّ صلوة اللّيل ليس ضد تحصيل العلم ، بل من أسبابه القريبة القويّة ، وكثيراً ما عرفنا من المحصّلين ، من كان من المتهجّدين ، وصار ذلك سبباً لاستقامة فهمه ، وجودة ذهنه في الوصول إلى المطالب الحقّة في المسائل العلميّة ، وارتقى إلى المراتب العالية من العلم ، بخلاف الطّالبين منهم المجدّين في مطالعة الكتب العلميّة ، وقلّما خرج منهم صاحب ملكة مستقيمة ، نعم ربّما يوجد فيهم ايضاً مدقّق مشكك ، ولكن لا يكون محققاً ، ولا يكون في علمه بركة كاملة ، بل يقلّ خيره ونوره ، ولا يوفّق لفوائد العلم هذا .

وقد خرجنا في هذا المقام عمّا أردنا من الايجاز لعقدة كان في قلبي من قديم الايّام ، عفى الله عن القول بالاهواء ، وعن طغيان القلم .

ثمّ انّ المؤمن لا بدّ ان يكون في أوّل يومه واوّل ليله في فكر تهجّده وتهيّئة أسبابه بالنّوم في النّهار ، واوّل اللّيل ، وتهيّئة اسبابه من المكان المناسب ، وكتب الدّعوات ، وماء الوضوء والسّواك ، والسّراج وقرائة آية قل انّما انا بشر ـ ا ه .

أقول : هذا من المجرّبات عند المتهجّدين ، وورد ايضاً عن النبيّ (ص) من اراد قيام اللّيل ، واعدّ مضجعه فليقل اللّهمّ لاّ تؤمنيّ مكرك ، ولا تنسنى ذكرك ، ولا تجعلني من الغافلين ، اقوم ساعة كذا وكذا فانّه يوكّل الله به ملكاً ينبّهه في تلك السّاعة .

وبالجملة من جهة ان الحال في اوّل اللّيل ، مؤثرة في توفيق آخر اللّيل ، لا بدّ لطالب التهجّد الجدّ في القيام على وظائف آداب النّوم على مرضات الرّبّ تعالى ، ليوفّقه على مرضاته في آداب القيام والتهجّد ، ومن الوظائف المهمّة ان يحاسب نفسه عند نومه من أوّل قيامه في اللّيلة الماضية ، إلى حاله الحاضر محاسبة كاملة ، كما قرّر في محلّه ، ثم ليعلم ان النّوم اخ الموت ، وانّ عند النّوم يقبض الله روحه ، ويتوفّاه كما يتوفّى روح الميّت ، ويذكر بل ويقرء قوله تعالى : «الله يتوفى الانفس حين موتها ، والّتي لم تمت في منامها » فيأخذ عند النّوم عدّة الموت الصّغير ، ويعلم انّه ان لم يعد الله روحه إلى بدنه ، فهو ميّت لا يقوم أبداً ، وان اعاده فبفضل جديد ، فيقول عن قلبه ولسانه : ربّ ارجعون لعليّ اعمل صالحا ، ويتذكّر إنّ النّائمين كلّهم يقولون ذلك ، بلسان حالهم وكثيراً منهم يردّ عليه ، بقوله تعالى : كلا انّها كلمة هو قائلها ، ومن ورائه برزخ إلى يوم يبعثون ، وينام على طهارة وذكر ، ويعمل باهمّ ما ورد في هذا الحال ، من الادعية والاذكار مسلّماً روحه ،

ونفسه وقلبه وقالبه ، واموره كلّها لله ، ويقول بلسان حاله ، روح إلى الله .

وأمّا الوظائف المرويّة .

فمنها التّسمية في اوّل الدّخول إلى الفراش ، وقرائة آية آمن الرّسول أه ، عن ظهر القلب ، ملتفتاً إلى ما فيها من الاشارة إلى تفضّلاته جلّت آلاؤه إلى هذه الامّة بشفاعة رسول الله (ص) ، ومتشكّراً بقلبه نعمة ربّه وشفاعة نبيّه (ص) .

ثمّ تسبيح الزّهراء (ع)، ثمّ قرائة الفاتحة ، وقرائة سورة التّوحيد ثلاث مرّات ، او أحد عشر مرّة ، ويقول : يفعل الله ما يشاء بقدرته ، ويحكم ما يريد بعزّته ثلاث مرّات ، ثمّ يقرء آية الكرسي ، وآية شهدالله ، ثمّ يستغفر بما ورد ، ثمّ يقرء التّسبيحات الاربع ، ثمّ يصلّي على النبيّ (ص) وآله (ع) ، وعلى الانبياء الماضين صلوات الله عليهم اجمعين .

وقد ورد لذلك كلّه فضائل لا تحصى ، وينام على طرفه الايمن مستقبل القبلة ، كما ينام الميّت في قبره ، ويذكر الله بعد ذلك ، ويتوجّه إليه حتّى يغلب عليه النّوم في حال الذّكر ، وإذا نام هكذا فهو في عبادة ، بل روحه عندالله ، وفي كنفه ، وظلّ عطوفته ، بل هذا النّوم اعلى واشمخ من يقظة الغافلين ، وإذا نام هكذا يرجى ان يمنّ عليه جلّ جلاله ببعض الكرامات البشارات الخاصّة بالرّؤيا ، وغيرها كما ورد في الآية الشّريفة « ولهم البشرى في الحياة الدُّنيا ، وفي الآخرة » وفسرّت في الاخبار بالرّؤيا الصّالحة ، واشهد بالله انّي اعرف من زار بعض الائمّة (ع) في الرّؤيا ، وسئله عن بعض المعارف الجليلة ، والاسرار الخفيّة ، واجيب بما قرّت به عينه ، ومن انكشف له في الرّؤيا عن حقيقة نفسه . ورأى كأنه قد تلاشت العوالم ، وطلع مكانها روحه ونفسه ورأى كأنّ نفسه متّحدة بحقيقة ملك الموت . وانتبه من نومته ، وهو على هذا الحال ، ورأى بعد الانتباه أنّ روحه كانّها تجذب بدنها اليها ، وهاله

ذلـك ، ونادى ضجيعتـه : يا فـلانة يـا فلانـة حتّى ذهب عنه هـذا الحال ، وهذا الحال هو عبارة عن معـرفة النّفس الّتي هي طـريقة إلى معـرفة الـرّب كمـا في الاخبـار المستفيضـة ، وغيـر ذلـك من امثـالـه ، وبـالجملة يمكن للمجـاهـدان يكتسب في نـومـه مـالا يكتسب في اليقـظة من العـوالم الـرّوحانيّـة ، ثمّ انّه إذا نـام على ذلك فله ان يتـذكر كلّمـا انتبـه قبـل وقت قيامه ، بمـا ورد وغيره ويقـول عند تقلّبـه على فراشـه : التسبيحات الاربـع او الثّلاث باسقاط اوّلها

وعن البـاقر (ع) في قـوله تعـالى : وقليـلا من اللّيـل مـا يهجعـون ، قال : كان القوم ينامون ، ولكن كلّما انقلب احـدهم ، قال : الحمـد لله ، ولا الـه إلاّ الله ، والله اكبـر ، وإذا استيقظ للقيـام ، فله ان يتـذكّـر بـذلـك فضل الله عليه بحياة جديـدة ، ويخرّ قبـل ان يجلس ساجـداً ، ويقول في سجوده : بعض ما ورد ، وايسرها ان يقـول : الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي لاعبـده وأشكره او يقـوله : قبـل السّجدة بمجـرّد الانتباه على فـراشـه ، ثمّ يسجد ، ويقرء فيـه قولـه (ص) : الحمدلله الّـذي بعثني من مرقـدي هذا ، ولو شاء لجعله ساكناً الى يوم القيامة ، الحمـدلله الذي جعـل اللّيل والنّهـار خلفـة لمن أراد أن يذّكـر ، او اراد شكوراً ، الحمـدلله الّـذي جعـل اللّيـل لبـاسـا ، والنّـوم سـابتـاً ، وجعـل اللّيـل والنّهـار نشـوراً ، لا الـه إلاّ انت سبحانك انّي كنت من الـظّالمين ، الحمدلله الّـذي لا يخبؤ منـه النّجوم ، ولا تكنّ منـه السّتـور ، ولا يخفى عليـه مـا في الصّـدور ، ثمّ يجلس من السّجدة ، ويقول : حسبي الربّ من العباد ، حسبي الّـذي هو حسبي منـذ كنت حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، واذا التفت العبـد على نعمة هـذه الحيـاة الجـديـدة ، وحمـد الله عليهـا ، فليغتنم الفـرصـة ، ويكـون جـدّه ورجائه في ان يحصّل في حياتـه هذه حيـاتاً بـاقية ، لا مـوت بعدهـا ابداً ، وليعلم أن حياته هـذه بمنزلـة رأس مال اعـطاه الله تعالى ليتّجـر به ، وان امكنـه ان ينتفع بـه انفس الامتعة ، فعليـه ان لا يتسامـح في ذلك ، وليعلم

ايضـاً انّه ليس في الـوجـود ولا في الـوهم مـوجـود انفـع وانفس ، واكمـل وابهى واشرف واجود من الله ، ولا نظير لـه ، بل ولا نفـع ولا نفاسـة ، ولا جمـال ولا بهـاء ، ولا شـرف ، ولا جـود ، بـل ولا وجـود إلّا في الله ومن الله ، وبـالله ، فاذاً لا يليق للمـطلوبيّة بـالّذات عنـد العاقـل إلّا الله ، وكـلّ مـطلوب سواء مـطلوبيّته منـه ، سواء في الدّنيا ، او في الأخرة ، ولا شـرف ولا كمال ولا لذّة إلا منه وبه ، وألذ الاشياء ، وابهجهـا قربـه ، ومعرفتـه ، واذ لا يهتّم العاقل إلّا لطلبه ، ويتـرك غيره ، ويصـرف همّه ، وهمّتـه عن جميـع الاشيـاء اليـه ، ثمّ الى مـرضـاتـه ، قـل الله ثمّ ذرهم ، وبـالجملة يجعـل همّه الاهم ، بـل جميع همّـه في الله ، ولا يصرف عمـره في طلب شيء غيـره من المشتهيـات النّفسـانيـةوامـور المواشي ، امّـا الأولى ، فـلانّ الاشتغال بها من جهة كدرها ، وعدم بقـائها ومضـادّتها بـاللّذات الرّوحـانيّة الواقعيّة خسران عظيم ، وامّـا الثانيـة فلانّ همّهـا ، والشّغل بهـا مع مـا فيه من هلاك القلب ، وتفرّق الحـواس ، ومضادّتـه بالـذّكر ، والفكـر قذى في عين العبوديّة ، ونقيض للتوكّل ، لا فائدة فيـه ، لانّ المقدّر كـائن ، والهـمّ فضول وخسران ، وإذا عرف الانسان ذلك معـرفة شخصيّـة حقيقية ، وصـار وجدانيّاً لـه كما عـرف اهل الـدّنيا لـذاتها ، يكـون قلبه وروحـه وسرّه كلّهـا مستغـرقة في محبـة الله ، ويسرى ذلـك على اعضائـه وجوارحـه ، ويكـون جميـع ما سـواه عنـده احقـر ، وادون ممّـا يـطئـه بـرجله ، بـل قـد يكـون مستغـرق الهمّ ، والقلب في حضرتـه حتّى يتعطّل قلبـه عن ذكر مـا سواه ، وعن الالتفـات الى غيره ، وعقله عن التـدّبير في امـوره ، ويحصل لـه شبه الهيمـان كما روى ذلـك في بعض حالات اميـر المؤمنين (ع) ، واشير اليـه في حديث المعراج بقوله : واستغرقنّ عقله بمعرفتي ، ثمّ لأقومنَّ له مقـام عقله .

وبـالجملة مفتاح خيـر الخير ،واسعـد السّعد ، معـرفـة الله ، ومحبّـة الله ، والذّ اللّذات ، وابهج البهجات في الانس بالله .

هذا وقد خرجنا من وظيفة الكتاب بذكر هذه الجملة ، فلنعد على وظيفتنا .

ونقول : قد ورد في تفصيل كيفيّة صلاة اللّيل ، والتهجّد عن ائمّة الدّين ، آداب ووظائف مفصّلة ، وادعيَة ومناجات عالية المضامين مناسبة لشؤون الاحوال الحاضرة ، ملائمة لا حوال جميع السّالكين الى الله ، من ذوي المقامات المختلفة ، فمن ارادها فليراجع الى كتاب صلاة البحار .

ولنا في هذا المقام كلمة ، وهي ان يراقب العبد حاله ، ويختار ما يناسبه ويؤثر فيه من تلك الوظائف ، وقد كان السّلف من اهل الله يجدّون في تحصيل الرّقّة ، وسائر الاحوال السنيّة ببعض الحالات ، من لبس المسوح ، وشدّ الايدى الى الاعناق ، والتمرّغ في التّراب ، وتقريب انفسهم واعضاء بدنهم الى النّار ، وحثّ التّراب على رؤوسهم ، والدّخول في القبور ، ونداء الاموات والتكلّم مع انفسهم ، والخطاب لها بعتابات القرآن ، واختيار الدّعوات والمناجات المؤثّرة المحرقة للقلوب ، كلّ ذلك لاستجلاب الاحوال المطلوبة الّتي هي من اهمّ ما يجب مراعاته ، وان يحترز عن مخالفة الحال ، مع ما يناجي به الربّ تعالى ، والكذب في مثل هذا الوقت ، وذلك الحال ، مثلا اذا قرء بعض مناجات السّيد السجّاد (ع) ، وقرء فيه قد ترى يا الهي فيض دمعي من خيفتك ، ووجيب قلبي من خشيتك ، وانتقاض جوارحي من هيبتك ، كلّ ذلك حياء منّي لسوء عملي ، ولذلك خمد صوتي عن الجهر اليك اه .

وعينه جامدة من البكاء ، وقلبه ساكن من الخوف ، وخالٍ من الخشية وعار من الهيبة وجوارحه على ما كان من الاستقامة ، ولم يؤثر الحياء فيه شيئاً ولم يخمد صوته .

اليس هذا كذباً صريحا عن مشافهة وحضور الا يخاف العبدان يجيبه الله تعالى يا كاذب ؟ اما تستحيى من هذا الكذب الصّريح ؟ والدّعاوى

الباطلة اتتوّهم انّي لا ارى ظاهرك او خفى عليّ قلبك ، او ترى ان مخالفتي والكذب في حضوري ، يجوز عليك ؟ اما وجدت اهون عليك منّي ؟ اما كنت تستحيي من الناس ان يعلم كذبك عندهم ، وتخالف رضاهم في حضورهم ؟ ولا تحتشم عن مخالفتي والكذب في حضوري في مقام مناجاتي اتستهزئني ولا تهاب مني ، ولا تخاف قهري وبطشي واخذي ؟ وكيف بك اذا ظهر لك اثار قهري ، واخذي الّتي لا يقوم لها السّموات السّبع والارض ؟ وهكذا الى غير ذلك من مضامين المناجات والدّعوات الّتي ليس قلب الدّاعي متصّفا بما يصف فيها من نفسه حتّى :

لفظة استغفر الله .

روى عن أمير المؤمنين (ع) ، انه قال لقائل بحضرته استغفر الله : ثكلتك امّك اتدري ما الاستغفار ؟ انّ الاستغفار درجة العلّيين ، وهو اسم واقع على ستّة معان .

اوّلها النّدم على ما مضى .

والثاني العزم على ترك العود عليه ابدا .

والثالث ان تؤدّي الى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله املس ، ليس عليك تبعة .

والرابع ان تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدّي حقّها .

والخامس ان تعمد إلى اللّحم الذي نبت على السّحت ، فتذيب بالاحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد .

السّادس ان تذيق الجسم الم الطّاعة ، كما اذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله .

اقول : إذا كان الامر بهذه الدقّة ، فليعالج المناجي دعواته ، ومناجاته بقصد المعنى الّذي يناسب حاله ، وبالتّجوز ، أو بغيره بما يجوز

لـه قولـه ، مثـلاً إذا اراد في وتـره أن يقـول : استغفـر الله واتـوب إليـه ، يقصد من الاستغفار طلب المغفرة ، اي السّتر بالرّحمة ،

ومن التّـوبـة الـرّجـوع إلى الله ، اي إلى ذكـره وطلب مغفـرتـه من الغفلة ، ولا يقصد معنى التّوبة المطلقة ، ويفعل ذلـك في جميع اذكـاره ، ودعواته لانّ لكـلّ ذكر حقيقـة واقعية ، يجب ان يكـون قائله على صفتـه ، مثـلاً للتهليل والحمـد والتسبيح والتّكبـير ، وغـير ذلـك حقـائق يـوصف بهـا قائلها، مثـلاً مـوحداً حامداً مسبّحاً مكبّراً ، فـاذا خـالف حقيقـة قلب المهللّ التّوحيد المـطلق الكامـل وهكذا لم يكن بقلبـه ، وحقيقته حـامدا ، ومكّبرا ، ومسبّحا فليقصد عند ذكرها المعنى الخاص الّذي يناسب حالـه ، لا مطلقه الّذي لا يتّصف به ، وان كان لا ينطبق حـاله وصفتـه بما يقـوله ، إلّا بالتّجوّز مثـلا يقصد بتـوحيد الله مـا يقابـل قول المشـركين والكافـرين ، القـائلين بعبـادة الاوثـان ، واليـزدان والأهريمن ، لا التـوحيـد الّـذي ينقض التّـوكل ، مثـلا ، وهكذا يقصـد بتكبيره مـا يقابـل قول القـائلين بالجسم ، والقائلين بالتعطيل مثلا ، لا حقيقة التكبير العمليّ الّذي اشيـر اليه في روايـة مصباح الشرّيعة ، حتّى ينافيه عدم الالتذاذ بالمناجات ، فـانّ حقيقة التكبيـر انّما ينافي واقعاً مع عدم الالتذاذ بمناجاة الكبيـر ، لانّ الانسان مجبـول في نفسـه من الميـل والـرّغبـة الى الكبـراء ، والمعـاملة معهم ، ومجـالستهم ومناجاتهم وانسهم، فاذا كان الله في قلبه اكبر من كـلّ شيء ، او اكبر ممّـا يـوصف ، فـلا بـدّ ان يلتـذ بمنـاجـاتـه ، ويـرغب الى ذكـره ، والانس بـه والخلوة معـه ، وإذا لم يوجـد في قلبـه اللذة والـرّغبـة ، يكشف ذلـك عن عارض عن حقيقة تكبيره في قلبه ، وبالجملة :

قولك : اشهد ان لا اله الاّ الله ليس تـوحيداً حتّى يشهـد له قلبـك ، وإذا شهـد القلب بالتّـوحيد ، لا بـدّ ان يترشّـح من توحيـده على اعمـالـك واذا خـالف القلب اللسـان ، او العمـل القلب ، لا تعـدّ بهـذه الشّهـادة مـوّحدا ، بـل منافقـاً ، وان اتّصف قلبك ببعض مـراتب التّوحيـد ووجد في

عملك آثاره بقدره ، خرجت بذلك من النّفاق المطلق ، ولكن لا تكون بذلك موّحدا على الاطلاق ، فان ادّعيت ذلك بقصد منك على ذلك ، حين قولك : اشهد ان لا اله الاّ الله ، لا يقبل منك الدّعوى بلا حقيقة ، فتدخل بذلك في بعض مراتب النّفاق فالاولى ان تلتفت عند قولك ، ودعائك ، الى ما تقصد بها ممّا يناسب حالك ، ولا يكذبك في قصده قلبك وعملك ، ولو بنحو من التّجوّز والاتساع ، فالاولى للمتهجّد ان يكثر فكره في هذه المعارف ، ويحبس نفسه على التّفكّر عن الذّكر ، حتّى يلجاه الحال الى الذّكر والدّعاء ، وهذا يقلّ فيه مخالفة اللّسان مع القلب ، لا سيما اذا كان عارفاً بمداخل الكذب ، والنّفاق على اقواله وافعاله .

ثمّ انّ الّذي ذكرنا من استجلاب بعض الافعال ، الاحوال المرغوبة ، من شدّ الايدي الى الاعناق ، وغيره لا بدّ ان يراعى في ذلك ايضاً موافقته مع الحال ، فاذا خالف الحال الصّورة ، وذلك ايضاً من شعب النّفاق ، نعم لا يجب ان يكون الاقدام على هذه الافعال عند الابتداء بها عن حقيقة كاملة ، لمن يريد ان يعالج بها استكمال الحال ، واستجلاب الكمال ، ولكن لا بدّ ان يكون واجدة لبعض مراتب الحقيقة ، ومريداً بها كمال الحقيقة ، مثلا اذا قام عن نومته الّتي كانت على ما وصفناها من الوظائف ، وفعل عند انتباهه ما ذكرنا ، وتفكّر فيما ذكرناه ، لا بدّ ان تؤثر ذلك في قلبه من الحسرة ، والخشية ، والمذلّة ما تهيّئه للجلوس على التّراب ، وشدّ يديه الى عنقه مثلا ، حتّى يستجلب بذلك كمال هذه الاحوال ، والاّ فمن كان عند قيامه ايضاً نائماً ، بل ميتا عن روح ذكر الله ، ومستهتراً في ذكر الدنيا ، فلا ينبغي له ان يقدم على بعض الافعال النّاشية عن الاحوال السّنية ، ولا ينتفع مثل صاحب هذا القلب منها ، بل قد يتضرّر ، وقد يكون مضحكاً ايضا ، والاولى والافضل في ذلك ايضاً ان ينتشأ ذلك عن احوال القلب ، بعد كمالها ،

وبعد امساك مّا ، حتّى يغلبه الحال في الاقدام عليه ، ولا بأس ان يفعله عن حال مّا ، بقصد استكمال الحال به .

روى في الانوار عن ابي قدامة الشّامي ، حكاية شابّ استشهد في الجهاد ، وفيه انّ الشّابّ اوصى اليه حين اصيب ان يوصل خرجه الى امّه ، فمات واذا دفنوا جثّته ، رأوها وقد خرجت من القبر ، فاذا بطيور بيض ، وقعوا عند جنازته على الارض ، واكلوا لحمه ، وبقيت عظامه ، فدفنوها ، فاذا جاء ابو قدامة بخرجه الى امّه ، ليدفع اليها الخرج ، سألته عن خبره ، فاخبرها بقصّة الطّيور ، فحمدت الله ، ففتحت الخرج ، واخرجت منها مسحاً وغلاً من حديد ، وقالت كان ابني اذا جنّه اللّيل ، لبس هذا المسح ، وغلّ نفسه بهذا الغلّ ، وناجى مولاه ، ويقول في مناجاته : الهي احشرني من حواصل الطّيور ، فاستجاب الله دعائه .

اقول : اذا كان حال العبد مثل حال هذا الشّاب ، يليق به هذا العمل ، ويؤثر فيه ذلك الاثر ، رزقنا الله مثل هذه الاحوال من فضله وكرمه ، بحقّ المتهجّدين من اوليائه ، واهل خلوته ، وانسه .

وبالجملة عمل العاملين ، سواء كان من الاقوال او الافعال على وجوه ثلاثة :

الاوّل ان يتنشّى القول والفعل ، عن حال وصفة في القلب ، فانّ القلب اذا احترق من الم موت الولد مثلا ، لا بدّ ولا حيلة من النّوح والبكاء ، واظهار الاحزان والاشجان ، وذلك كلّها تغلي من قلب الثّكلى من غير تعمّل ، وهكذا اذا احترق من الم الفراق ، لا بدّ من بثّ الشّكوى ، واظهار الشّوق والعشق ، ويقول لسان حاله :

« جون شب آمد همه را ديده بيارامد ومن گوئي اندر بن مويم سر نشتر ميشد »

وهكذا اذا استشعر تطّلع الحبيب عليه ، وعلى احواله فلا محالة يظهر التّضرّع ، والاستكانة والابتهال ، والملق بالسّجود على التّراب ،

والخرور على الاذقان ، ونحوها على قدر عظمة المحبوب ، واستشعار الجناية ، والتّقصير والقصور ، من نفس المحبّ وفي ذلك قيل بالفارسية :

بسيرا زبونيها بر خويش روا دارد   درويش كه بازارش با محتشمي باشد

فكلّما صدر قول ، او عمل من المتهجّد من صفة القلب ، سواء كان توحيداً او عملا ، او تسبيحا او تكبيراً او ركوعاً او سجوداً ، او دعوى الشّوق ، او اظهار الانس ، او غير ذلك ، فهو المطلوب الاوّل ، والمقصد الاسنى من التهجّد ، والقيام ، والصّلاة والعبادات كلّها .

والثّاني ان يخالف القلب العمل ، مخالفة تامّة كصلاة المنافقين ، وهم كسالى ، وكدعوى اكثر العامّة مثلا التّوكّل ، وكدعوى الفارغ من جميع مراتب المحبّة الحبّ ، واظهار الشّوق ، وشكواه من الم الفراق ، فانّ ذلك هو الّذي لا ينتفع به صاحبه ، بل ويتضرّر به .

والثّالث ان يكون في القلب صفة من هذه المراتب ، ولكن لا على حدّ يبعث من غير تعمل على العمل المخصوص ، من قول وفعل ، وحينئذ ينبغي للعامل ان يعمل العمل قولا ، وفعلا مع قصد مقدار حاله ، وصفة قلبه ، ولو لم يصحّ دعواه الاّ بالتجوّز ، ويستكمل بذلك حاله ، وقلبه ، ويستجلب بالعمل كمال الحال ، وايّاه ان يقصد من فعله ، وقوله ازيد عمّا في قلبه ، فيكون كاذباً ومنافقاً . ويسير سبباً للخذلان والخسران ، هذا .

فليكن قيام العبد الى تهجّده عن الشّوق ، فاذاً لا يرضى بالقليل ، والافضل ان يجعل ذلك مقدار ما بيّنه كتاب الله لنبيّه (ص) ، وطائفة من المؤمنين الّذين كانوا معه ، وان لم يوفّق بهذا المقدار لاعذار عامّة ، او خاصّة فلا محالة ان يكون ذلك في الشّتاء ، اربع ساعات او خمس ساعات ، وفي الصّيف من الثّلاث الى ساعتين ، وان امكنه ان يقوم عند

الانتصاف الّذي هو مخصوص لاهل الخلوة ، حتّى يصلّي اربع ركعات من صلوات اللّيل ، ويدعو الله تعالى في السّاعة الاولى من النّصف الثّاني ، في مهمّاته ، ثمّ ان غلبه النّوم نام ساعة ، ثمّ يقوم ثانياً الى اتمام ورده ، فانّ هذه السّاعة ، ساعة مخصوصة لاجابة الدّعاء ، وللخلوة بيار الله تعالى .

كما ورد ذلك في خبر[1] ابن اذينه، عن الصادق (ع) ، قال : ان في اللّيل لساعة لا يوافقها عبد مسلم ، يصلّي ، ويدعو الله فيها الّا استجاب له ، قال الرّاوي : قلت له : اصلحك الله ، واية ساعة هي من اللّيل ، قال : اذا مضى نصف اللّيل ، في السّدس الاوّل ، من النّصف الثّاني .

وقد روى النّوم بعد اربع ركعات منها ، عن رسول الله في بعض اللّيالي ، ثمّ القيام ثانياً ، ثمّ انّ من مهمّات اهل المحبّة ، اكرام رسول الحبيب .

ولذلك انشأ قدوة اهل المراقبة سيّدنا الاوحد ، جزاه الله عن امّة جدّه ، جزاء المعلّمين المنبّهين ، لجواب منادي الله تعالى في اللّيالي كلاماً لطيفاً جامعاً لمراسم هذا المقام ، مناسباً لاداء حقّ المنادي ، والنّداء .

وهو قوله : اللّهمّ انّي قد صدقت بربوبيّتك ، وبمحمّد خاتم رسالتك ، وبهذا المنادي عن جوارك ، وان لم تسمعه اذني ، فقد سمعه عقلي المصدّق بالاخبار المتضمّنة لوعودك ، فانا اقول : مرحباً بك ايّها الملك الوارد علينا من مالكنا الحكيم الكريم الجواد المحسن الينا ، قد سمعنا بلسان حال عقولنا قولك ، عن معدن انجاح مسؤولنا، هل من سائل فاعطيه سؤله ، وانا سائل لكلّ ما احتاج اليه ممّا يقتضي دوام اقباله

---

(١) رواه في الكافي .

عليّ ، ودوام توفيقي للاقبال عليه ، وتمام احسانه اليّ ، وكمال ادبي بين يديه ، وان يحفظني ويحفظ عليّ كلّ ما احسن به الي ، وسمعنا ايّها الملك قولك ، عن مولينا الّذي هو اهل لبلوغ مأمولنا ، هل من تائب فأتوب اليه ؟ وانا تائب اختياراً واضطراراً ، لانّي عاجز ضعيف عن غضبه ، وعقابه ، ومضطّر الى رضاه وثوابه ، فان صدقت نفسي في التّوبة على التّحقيق ، والاّ فلسان حالي وعقلي تائب اليه ، بكلّ طريق من طرق التوفيق ، وسمعنا قولك ايّها الملك عن سيّدنا وسلطاننا ، الّذي هو اهل لرحمتنا ، وقبولنا : هل من مستغفر ، فاغفر له ؟ وانا مملوكه المستغفر من كلّ ما يكرهه منّي المستجير به في العفو عنّي ، فان صدق قلبي ولساني في الاستغفار ، والاّ فلسان حال عقلي ، وما انا عليه من الاضطرار ، والاعسار ، والانكسار يستغفر عنّي بين يدي جلالته ، وعفوه ورحمته ، وانا ذليل حقير بين يدي عزّته ، ورأفته ، وقد جعلت ايّها الملك ما قد ذكرته من سؤالي ، وتوبتي واستغفاري ، وافتقاري ، وذلّي وانكساري امانة مسلّمة اليك ، تعرّضها من باب الحلم والرحمة ، والكرم والجود ، على من انعم بك علينا ، وبعثك الينا ، وفتح بين يدينا ابواب التوسّل اليه فيما تعرضه عليه .

وقال : وإن لم تحفظ ما ذكرناه ، ولا تهيّأ لك ان تتلوه فاكتبه في رقعة . وتكون معك تحفظها ، كما تحفظ عزيزك ، واذا كان في ثلث الاخير من كلّ ليلة ، تخرجها بين يديك ، وتقول : ايّها الملك المنادي عن ارحم الراحمين ، واكرم الاكرمين ، هذه قصّتي قد سلّمتها اليك ، مالي لسان ولا جنان ، يصلح لكلام اعرضه عليك .

اقول : التّعرض بجواب هذا المنادى ايضاً من قسط هذا السيّد الجليل ره ، ولقد اجاد واتى بما هو فوق المراد ولكن ظنّي انّه سقط منه بعد قوله ومحمّد خاتم رسالتك ذكر التصديق باوصيائه .

فالاولى ان يقال ، بعده ، وباوصيائه المعصومين الاثنى عشر ،

حججك ، وخلفاءك ، عليهم افضل صلاتك وسلامك .

ثمّ يعقبه بقوله : وبهذا المنادى ، وانا اقول : وان شاء ان يجمع بين الامرين ، فليقل في ليلة الجمعة من اوّل اللّيل ، وفي سائر اللّيالي في اوّل الثّلث الاخير .

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، بأفضل صلواتك ، وصلّ على هذا الملك الكريم الوارد علينا ، يندبنا الى رحمتك ، ودعاءك ، ومغفرتك ، وقبولك ، ووفّقنا لاجابته على وفق رضاك ، ومره ان يعرض استغفارنا ، ودعائنا ، وتوبتنا الى حضرت جمالك ، من باب حلمك وكرم عفوك ، وجودك ومنّك ، وعطفك وحنانك ، يا حنّان ، يا منان ، يا ارحم الراحمين ، وصلّ على محمّد وآله ، والحقنا بهم ، واعطنا افضل ما وعدته لاوليائهم ، صلواتك وسلامك عليهم اجمعين .

ثمّ انّ الّذي يجب بحكم العقل على العبد المراقب ، في وظائف جهات العبوديّة ، في تهجّده خصوصاً ، وغيره من اوراده عموماً ، ان يأتم بائمّة الدّين ، من اهل بيت النبوّة (ص) ، ويجعل ما روي عنهم في ذلك اسوة لنفسه ، ومثالا بين عينيه ، بل يقيس في ذلك حاله مع احوالهم ، ويستكشف من ذلك حقّ ما يجب عليه من التمكّن ، والتذلّل ، والتّضرّع ، والابتهال ، وانّه اذا ثبت هذه التّضرّعات ، والتّمكّن ، والاعتراف منهم ، مع كونهم مقرّبين عنده ، ومطيعين له لم يعصوا الله طرفة عين ابداً ، ولم يسهوا عنه لحظة ابداً ، فما يكون حقّنا مع سوء حالنا وذلّ مقامنا وتورّطنا في سوئة ذنوبنا واتّصافنا بهذه الاخلاق الرّذيلة مثلا اذا تأمّل في مناجات الائمّة ، لسان ضراعتهم ، واعترافهم مع طهارتهم ، وعصمتهم فليحكم على نفسه من حقّ الضّراعة والاعتراف ، بما يجب عليه بحكم القياس .

وانا اذكر ما كان يناجي به الامام السجّاد (ع) في السّجدة ، بين كلّ ركعتين من صلاة اللّيل فليكن عبرة لامثالنا ، فيما يجب من اداه حق

جهات العبوديّة ، روي[1] انّه كان يسجد بين كلّ ركعتين سجدتي الشّكر ، ويقول فيها ، الهي وعزّتك وجلالك ، وعظمتك ، لو انّي منذ بدعت فطرتي من اوّل الدّهر ، عبدتك دوام خلود ربوبيّتك ، بكلّ شعرة في كلّ طرفة عين ، سرمداً ابداً بحمد الخلائق ، وشكرهم اجمعين ، لكنت مقصّراً في بلوغ اداء شكر خفّي نعمة من نعمك عليّ ، ولو اني كربت معادن حديد الدّنيا بانيابي ، وحرثت ارضها باشفار عيني ، وبكيت من خشيتك مثل بحور السّموات والارضين دماً وصديداً ، لكان ذلك قليلا من كثير ما يجب من حقّك عليّ ، ولو انّك الهي عذّبتني بعد ذلك ، بعذاب الخلائق اجمعين ، وعظّمت للنّار خلقي ، وجسمي ، وملأت طبقات جهنّم منّي ، حتّى لا يكون في النّار معذّب غيري ، ولا يكون بجهنّم حطب سواي ، لكان ذلك بعدلك عليّ ، قليلا من كثير ما استوجبه من عقوبتك .

تأمّل يا اخي في هذه الحال ، ممّن رأى من حقّ شكر الله عليه . مثل ما رآه (ع) وذكره في هذا الدّعاء ، بعد القسم بعزّة الله وجلاله ، وراى من استحقاق العقوبة ما ذكره (ع) ، كيف يكون حاله في حضور مولاه ، واذا كان هذا حاله (ع) مع طهارته وعبادته ، وزهده في الدّنيا ، ومعرفته ، ومحبّته على مولاه ، وقربه منه ، فكيف يجب ان يكون حالنا مع ما نحن عليه من هذه الاحوال ؟ فواسواتاه ، وواحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله ، وقد كنّا من السّاخرين على انفسنا ، وبالجملة اصل كلّ خسران الجهل ، والغرور ، والّذي اراه في نفسي ، وفي امثالي من الجاهلين ، انّه لو يبكي ساعة من خوف الله ، وجرى من عينه عشرة مثاقيل من الدّموع ، يجد من نفسه حالا او طمأنينة كأنّه ادّى حقّ شكر الله ، وازيد ، بل اذا انضمّ اليه احياء ليلة يتراءى من حاله شبه دلال في اعماله ، ودعواته كأنّه يرى حقّاً لنفسه ، على الله ، وقس يا مغرور هذا

(١) رواه شيخنا البهائي في مفتاح الفلاح .

الحال من عباداته وزهده ، ومثل ما له (ع) ، وبكى اربعين سنة ، وهو يرى جناياته ، وقصوره في اداء حقّ العبوديّة ، بحيث لو عذّبه الله بعذاب الخلائق اجمعين ، وملأ طبقات جهنّم منه ، كان ذلك قليلا بالنّسبة الى كثير ما يستوجبه من عقوبة الله ، فسبحان خالق النّور ، والحمد لله حمداً ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله في خلق هؤلاء الانوار السّاطعة من اوليائه ، ومنّه بهم ، وبمعرفتهم ، وولايتهم علينا ، وصلّى الله عليهم صلاة ينبغي لكرم وجهه ، ونور جماله ، وفيض جوده ، وكماله ، ونستغفر الله برحمته ، وبشفاعتهم ، ان يغفر لنا عظائم اوزار الجهل ، والغرور ، واخرجنا بهم من الظّلمات الى النّور باذنه ، وهدانا الى الصّراط المستقيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

ثمّ انّه ينبغي ان يكون همّ الرّجل في تلطيف المراقبة ، ويعالج في ذلك بكلّ ما يقدر عليه من الضّراعة ، والابتهال ، والتّبتّل ، والتّبصبص ، والبكاء ، والدّعاء ، ونداء الله باسمائه الجماليّة ، والسّكوت ، والنّظر الى السّماء ، واطراق الرأس ، واحضار النّفس الى مجلس القود ، وتكرار القول : بيا الهي ، وسيّدي كيف نظرك اليّ بين سكّان الثّرى ، ام كيف منعك علي في دار الوحشة والبلا ، الهي يا مولاي ليت شعري ماذا تقول بدعائي ، ويكرر ذلك كثيراً ، ثمّ يفرض نفسه حاضراً بين يدي الله تعالى ، ويقول : مخاطباً عن الحضور اتقول : لا ؟ ويكون التّلفّظ بلفظة لا ، اثقل عليه من الجبال .

ثمّ يقول : فان قلت : لا ، فيا ويلي يا ويلي ، ويا غوثي ويا غوثي ، ثمّ يتفكّر في خزي ردّه تعالى في جميع عوالمه ، وآثاره في عقله ، وروحه ، وقلبه وبدنه ، ثمّ ينوح على ذلك كلّه واحداً بعد واحد ، ويقول : فيا ويل عقلي ان حجبه ربّي ، وسيّدي كيف يكون حاله ، اذا اختلس عن مقام النّور ، وشرف الحضور ، وعن درجة التّمكين ، مطاع ثمّ امين ، وصار عابداً للهوى ، ومطيعاً لخنزير الشّهوة ،

وخـادمـاً لكلب الغضب ، وحجب عن مجـاورة الاطيبين ، وقـرب ربّ العالمين ، فمسخ عن حقيقته ، فصار شيـطاناً مفتنـاً ، وابليساً مـدلّساً ، ثمّ يذكر مـا يصل الى روحـه من النّكال من ردّ الملك المتعـال ، ويقول : فيـا ويـل روحي ، ان منـع عن جـوار الله ، والتعلّق بعزّ القـدس ، وطـرد عن مـجلس الانس ، وحـجب عـن العـلّيّيـن ، وصـار في مـهـوى دركـات السّجّين ، وقـرن مع الشّيـاطين ، ثمّ يذكـر قلبه ، ويقـول : ايـا ويـح قلب من بـه مثل مـا بيا ، اذا منـع عن ذكر الـرّحمن ، ومحبّـة الحنّـان المنّـان ، ومال الى الشّيطان وعشق هـذه الدّنيـا الدّنيـة واستهتر في حبّهـا ، ووقع في جبّهـا ، واخلد الى الارض ، فمثله كمثـل الكلب ، ان تحمـل عليـه ، يلهث ، واسودّ من ظلم المعاصي ، واعتـاض من ذكر الله بـالتّناسي ، ومن العلوم بـالوسـواس ، فطبـع عليه ، ولم يبق لـه طـريق الى الخـلاص ، ثمّ ينـوح على اجزاء بـدنه واحـداً بعد واحـد ، ويخاطب رأسـه ، ويقول : يـا رأسي كيف بـك من غضب الرّحمن ، ان عـذّبـك في الـدّنيـا ، ومسخـك بـرأس القردة والخنـازير ، او سـوّد وجهـك ، وفضحـك بين العـالمين ، او اعمى بصـرك ، او اصمّ سمعك ، او اخـرس لسانـك ، او شـوّه خلقـك ، امـا رأيت وسمعت ، رؤسـاً كثيـرة من العصـاة ، غضب عليهم الـرّحمن ، وعذّبهم بذلك ، او بغيرها من المخازي ، او ارسل اليهم نارا فـاحرقهـا في الدّنيا ، وساقها بعده الى نار الاخرة ، او اخّر اخذك بما بعـد الموت ، ومـا بعد الموت اخـزى وادهى ، فياذا العقـل والتّعريف ، والـرّأي والتّصريف ، امـا تذكـر احـوال القبـر والبلى ، والـدّود والبلوى ؟ اذ اغنيت في الثّـرى ، سيأكل التّراب لحمك ، ويـدخل الـدّود في انفك ، ويجـري حدقتـك على خـدّك ، وتبـدّل من المنـظر النّـظيف ، والجمـال اللّطيف ، الى الحـطب الكثيف ، فيزيل وجهك في الثّرى ، ويغبّر في الغبراء ، فيـرهقه قتـر وذلّة ، وبؤس ومـذلّة ، وكبـر ومثلة ، فانـظر في مـرآة عقلك جمـال صـورتـك ، وتأمّل في قبح منظرك ، وشوهتك ، وخذ من هذه السّوانح مـوعظتـك ، ثمّ اعـطف عنان فكـرك الى عـذاب الاخـرة ، والجحيم وتـدبّـر في الحميم ،

الّذي يصبّ على رأسك ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، والقى في نار حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، وحليتها حديد ، وشرابها الحميم والصّديد .

وبالجملة ينوح على اجزائه واحداً بعد واحد ، ويذكر ما يفعل بها ، ان كان من اهل العذاب ، وان شاء ان يجعل نوحه كلّ ليلة بواحد منها ، وان شاء يقرء في بعض اللّيالي .

ما رواه الزّهري من نوح السّجّاد على نفسه ، بالنّثر والشّعر ، ويجعل ليلة من لياليه ايضا ينوح فيها على حياته ، فيذكر اوّلا من جميل صنع الله عليه ، وطول اناته ، وحسن طلبه ، ولطفه في دعوته الى خلوته ، وقربه ومجلس انسه، ثمّ يذكر معاملته مع هذا الرّبّ الجليل ، ويتأمّل فيما يجب عليه في قبال هذه الكرامات العظيمة ، يندب ، وينوح على مروئته وحيائه ، ووفائه ، ويقول : فواسوأتاه وواخجلاه من افتضاحي ، وقلّة حيائي ، هذا ربّي ، وسيّدي ، ومنعمي ، ملك الملوك ، جبّار الجبابرة ، اكرم الاكرمين ، هو يدعوني الى ذكره ، ومجالسته ، والانس معه ، وهو ملك الملوك ، اغنى الاغنياء اله الارض والسّماء ، وانا استثقل عن قبول هذه الكرامات العظيمة ، وانا اذلّ الاذلّاء ، فقير من كلّ الجهات ، بل فقر محض ، ولا شيء مفلس مرهون نعمه ، موجود بعنايته ، حيّ بحيوته ، مرزوق بنعمه ، مقصّر جان في خدمته ، كيف لولا حلمه عنّي ؟ وقد امهلني ، وشملني بستره ، واكرمني بمعرفته ، وهداني السّبيل الى طاعته ، وسهّل لي المسلك الى كرامته ، واحضر في سبيل قربته ، وتحبّب اليّ بنعمه ، وارسل لدعوتي الى مجلس كرامته ، والاستيناس بمناجاته ، اكرم خلقه عنده واحبّ عباده اليه ، ولم يقنع في اكرامي بنعمة دون اخرى ، وكرامة فوق كرامة ، حتّى اعزّني بارسال ملك في كلّ ليلة الى دعوتي ، فكان جزائه منّي ، ان كافأته عن الاحسان بالاسائة ، وقبح المعاملة ، حريصاً على ما

اسخطه سريعاً الى ما ابعد عن رضاه ، مستبطأ لمزيده ، مستحظّا لميسور رزقه ، مستقضياً بجوائزه بعمل الفجّار ، كالمراصد رحمته بعمل الابرار ، اتمنّى عليه العظائم كالمدلّ الآمن من قصاص الجرائم ، فانّا لله وانّا اليه راجعون ، مصيبة عظم رزئها وجلّ عقابها ، فما اقبحني والأمني ، وافضحني ، واشنعني ، وما اقلّ حيائي ، واعدم وفائي ، حين جاهرته بالكبائر ، مستخفياً عن اصاغر خلقه ، فلا راقبته ، وهو معي ، ولا راعيت حرمة ستره عليّ ، آه واسوء صباحاه ، بايّ وجه القاه ، ام باي لسان اناجيه ؟ وقد نقضت العهود ، والايمان بعد توكيدها ودعوته حين دعوته ، وانا مقتحم بالخطايا ، فاجابني وهو غنيّ عنّي ، وسكتّ عنه ، فابتدأني ، ودعاني ، ولم اجب ، واقبل اليّ ، واعرضت عنه ، فواسوأتاه ، وقبح صنيعاه ، ايّة جرئة تجرءت ، واي تعزير عزرت بنفسي ؟ فيالله من هذه العظائم الفظيعة ، والاحوال الشّنيعة الفضيحة ، فوعزّتك وجلالك يا سيّدي ومولاي ، ويا ملجيء ومنجاي ، لو كان لي جلد على عذابك ، وقوّة على انتقامك ، ما سالتك العفو عنّي ، بل دعوتك الى عذابي ، وعقابي سخطاً على نفسي ، ولؤمها ، كيف عصيتك بعد هذه الكرامات الجليلة ، واقبلت اليها ، واعرضت مدبرة عنك ، بعد هذه الالطاف الجميلة ، ويا سبحان هذا الرّبّ الودود ، ويا سبحان هذا الحلم العظيم ، ويا سبحان هذا اللّطف الالطف ؟ ! فقد فتح لامثالي من العصاة اللئام ، والطّغاة الملائيم ، باب التّوبة ، ولم يمنع عن الاوبة ، ووعد للتائب القبول ، وعفى عن السيّئات ، وبدلها باضعافها من الحسنات ، وبالجملة يكون جدّه في اظهار حقيقة جناياته ، وما يعرفه من كرامات ربّه ، ليكثر حسراته ، وجده وبكائه ، فيؤثر في نزول الرّحمة ، وشمول الكرامة .

ثمّ انّه من اهمّ المهمّات ، ان يتوسل في آخر كل ليلة بخفراء اللّيلة ، وحماة الامّة من المعصومين ، ويسلّم عليهم ويسئلهم ان يشفعوا

له عند ربّه بالقبول ، وتبديل السيّئات بالحسنات ، ويجعلوه من شيعتهم وحزبهم ودعاتهم ، ويرغبوا الى الله في ان يرضى عنه ، ويقبله ويلحقه بهم ، ويجعله من شيعتهم المقرّبين ، واوليائهم السّابقين .

هذا ، ومن مهمّات امر الصّلاة الجماعة ، وورد فيها ، وفي التّرغيب عليها ، والزّجر عن تركها ، امر عظيم في اخبار المعصومين ، وهكذا في فضلها ، وعقوبة تركها ، فمن اراد تفصيلها ، فليراجع كتب الاخبار ، وانا اشير الى بعض ما ورد فيها ، بعد الاشارة الى سرّ تشريعها .

فأقول الحكمة العظمى في تشريعها اتّحاد قلوب المؤمنين في امر الله ولذلك فوائد لا تحصى من قوّة امر الاسلام وغيرها ، وله تأثير في تكميل النّفوس ، وقوّتها في السّير الى الله ، واستجلاب الفيض الاقدس ، فانّ رحمة الله اذا نزلت لواحد من المجتمعين ، لا سيّما اذا كان اجتماعهم واتّحادهم لله ، وفي الله ، يعمّ جميعهم ، وان لم يكن غيره مستحقّاً له ، ومثل اجتماع القلوب ، اتّصال المياه القليلة المتعدّدة ، اذا صارت بالاتّصال كرّاً ، لا يقبل النّجاسة ، ولا ينجسه شيء ، وله سرّ شريف ، ووجه لطيف في علم المعرفة ، وايضاً صلاة الجماعة كالصّلاة الواحدة ، فاذا فرض كون بعض المصلّين واجداً لبعض شرائط الفضيلة ، والكمال ، والاخر واجداً للبعض الاخر ، فالكريم يعطي الفاقد ايضاً فضيلة صاحبه الواجد ، والعمدة في حكمة فضيلتها الامران الاوّلان .

واذاً يجب على العبد بحكم المراقبة ، ان يجدّ في تقوية امر اتّحاد القلوب ، مع اخوانه المؤمنين ، وصفائها فكلّما زاد الاتّحاد والصّفا ، زاد تأثّر كلّ واحد منهم من نور صحبه ، وزادت الرّوحانيّة ، فانظر في مبالغة الشّرع في هذا الامر ، وما ورد في مدح المواسين والموثرين على انفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، في القرآن والامر بصلة القاطع ، ووصل الهاجر ، وان يقول المحقّ لغير المحقّ انت

المحقّ ، وانا غير المحقّ ، وجعل الكذب في الاصلاح بين الاخوين مستحبّاً ، وندب المؤمنين في امر الصّفا ، بأن لا يخفى احدهم اموره من اخيه الثّقة لانّ في ذلك نوع اختلاف بين القلوب ، ويضادّ كمال الصّفا ، وانظر الى ما ورد في فضيلة التّحابّ في الله من الامر العظيم ، الّذي يتحيّر العقول ، ويعجبني ان اشير الى عدّة ممّا ورد فيها :

منها ما رواه في الكافي عن ابي جعفر (ع) ، قال : انّ المؤمنين اذا التقيا ، فتصافحا ، ادخل الله عزّ وجلّ يده بين ايديهما ، واقبل بوجهه على اشدّهما حبّاً لصاحبه .

اقول : تأمّل في هذه الرّواية ، فانّ فيها لبلاغاً لانّ المتصافحين ، قد يكون احدهما من اهل الفضائل العظيمة ، والاخر من اهل المعصية ، واذا فرض انّ هذا العاصي ، احبّ المتّقي اكثر من حبّه للعاصي ، واقبل الله عليه بوجهه ، دون المتّقي كأنّه يكشف ذلك عن كون المحبّة في الله ، اشدّ تاثيراً عند الله من جميع الفضائل ، بل يكشف عن كون غيرها بالنّسبة اليها كالعدم ، ولعمري انّ هذا امر عظيم ، لا يقدر قدرها القادرون .

وروي فيه ايضاً في حديث ، عن ابي عبد الله (ع) قال : اما بلغك الحديث ، انّ رسول الله (ص) كان يقول : انّ لله خلقاً عن يمين العرش ، بين يدي الله ، وعن يمين الله ، وجوههم ابيض من الثّلج ، واضوء من الشّمس الضّاحية ، يسئل السّائل ما هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء الّذين تحابّوا في جلال الله .

وروي فيه ايضاً عن ابي جعفر (ع) قال: قال رسول الله ، المتحابّون في الله ، يوم القيامة على ارض زبرجدة خضراء ، في ظلّ عرشه عن يمينه ، وكلتا يديه يمين ، وجوههم اشدّ بياضاً ، واضوء من الشّمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرّب ، وكلّ نبيّ مرسل ، ويقول النّاس : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابّون في الله .

وروي في المستدرك عن مجموعة الشّهيد (قـده) ، نقلا من كتـاب الانـوار لأبي علي ، محمّد بن همـام ، باسنـاده الى معروف بن معـروف ، صاحب ابي طفيل الّـذي كان صـاحب النّبي (ص) ، وامير المؤمنين ، عن ابي جعفـر (ع) عن ابيـه ، عن ابيـه ، عن ابيـه ، قـال قـال النّبيّ (ص) : من زار اخاه في الله ، باهى الله بـه ملائكتـه ، حتّى اذا لقيه نـاداه ملك من السّمـاء ، طبت وطـاب ممشـاك ، حتّى اذا حـدّثـه قـال الله للملكين : لـه عمـل سبعين نبيّاً كلّهم مجتهـد في طاعتي ، قـد اهـريق دمـه في سبيلي ، حتّى اذا ضاحكه قـال الله للملائكـة : اشهدكم عبـادي ، انّي اضحكه يـوم تبيّض وجـوه ، وتسـوّد وجـوه ، حتّى اذا آكله قـال الله عـزّ وجـلّ بخـزّان جنّتـه ، وسكّـانهـا من كـرائم مـلائكتـه : اشهـدكم عبـادي ، وخـزنتي من خلقي ، وملائكتي ، انّي اكرمه بالنـظر الى نوري ، وجـلالي وكبريـائي يوم القيامة ، واشهدكم انّي ممّن ازكّيه ، واطهّره واثيبه ، وارضيه ، واشفعه .

تدبّر في هذه الرّواية ،وهذا الجـزاء جدّا ، وإذ قـد تمهّد لـك ذلك ، فـراقب أن يكـون قلبـك في صلاة الجمـاعـة صـافيـاً مـع امـامـك ، والمأمومين ، لا سيّما مع امامك الّـذي ورد فيه : انّـه شفيعك ، فـانظر من تشفعـه ، ولـذا قـال الشّهيـد في شـرح النّفليّـة في معنى العـالم الّـذي في رواية من صلّى مع امـام عالم : انّ المـراد من العالم من كـان عالمـاً بالله ، وبكتابه وسنّة نبيّه ، وما يتوقّف عليه من المقدّمـات ، وعالمـاً بكيفيّة تـطهير القلب ، وتـزكية النّفس ، مـع استعمالهـا ، وقال في آخـر كـلامـه ، وإنّمـا العلم الموجب للقرب والجنّة ، هو الاخيـر ، وذلك لانّ الامـام الّذي طهـر قلبـه ، وزكى نفسه يحبّـه لا محالـة من يعرفـه ، وهو أيضـاً يحبّ المؤمنين بحبّ الله ، أشـدّ من حبّهم له ، فيكـون قلبـه صـافيـاً مـع المؤمنين الّـذين يأتمـون بـه وهكذا يكـون قلـوب . المأمون معـه في كمال الصفا بل ويكـون أصحابه أيضـاً غالبـاً من أهل الصّفـا ، فيكون اجتمـاعهم في صلاتهم على مـراد الله ، وأمّا من كـان اجتمـاعـه في صـلاتـه بمجـرّد الصّـورة ، وكـانت

القلوب مخالفة ، بل يكون بينها عداوة ، يريد كلّ واحد شرّ اخيه ، ويحاسده في نعم الله ، لا سيّما إذا كان ذلك بين المأموم والامام ، لا اظنّ أن يكون في هذه الجماعة نور ، ولهذا الاجتماع فضل عند الله ، فالعمدة في العبادات كونها مثاراً لصفات القلوب ، وتأثراتها ، وتنويرها ، والعبادة إذا لم تؤثر في القلب ، لا يثمر إلّا شيئاً قليلا ملحقاً بالعدم .

روى في الاحتجاج في جملة ما كتبه امامنا ارواحنا فداه ، إلى الشيخ الجليل الشيخ المفيد ره ، ولو انّ اشياعنا وفّقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا .

وقال عيسى : يا عبيد الدّنيا ، تحلقون رؤسكم وتقصّرون قميصكم ، وتنكسون رؤوسكم؟ ولا تنزعون الغلّ من قلوبكم .

وروى أيضاً ، انّ من بعض ما وعظ الله تعالى عيسى ، وان قلّموا اظفاركم عن كسب الحرام ، واصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء واقبلوا بقلوبكم فانّي لست أريد صوركم.

وبالجملة الاهمّ اجتماع القلوب ، فمن وفّق لصّلاة الجماعة مع قوم يكون قلوبهم مجتمعة في الله ، فليرج من كرم الله كلّ ما ورد في فضل الجماعة ، ومن كان اجتماعه مع قوم بينهم تباغض وتحاسد ، ويرجو ان يجزيه الله هذه المثوبات الّتي وردت في الاخبار لصلوة الجماعة ، فهو مغرور وليس رجائه رجاء ، بل امنيّة وغرور ، هذا .

وقد ورد في تفضيل امام الجماعة على المأموم ، ما يكشف عن حقيقة ما ذكرناه من لزوم القلب مع الامام ، وهو ما رواه في المستدرك عن كتاب تحف العقول ، في حديث طويل قال : وأمّا حقّ امامك في صلاتك ، ان تعلم انّه قد تقلّد السّفارة فيما بينك وبين الله ، والوفادة إلى ربّك ، وتكلّم عنك ، ولم نتكلم عنه ، ودعا لك ، ولم تدع له ،

وطلب فيـك ، ولم تـطلب فيـه ، وكفـاك همّ المقـام بين يـدي الله ، والمسائلة فيك ، ولم تكفه ذلك ، فان كان في شيء من ذلـك تقصير كـان بـه دونك ، وإن كـان اثماً لم تكن شـريكـه فيـه ، ولم يكن عليـه فضـل ، فـوقي نفسك بنفسـه ، وصلاتك بصلاته ، فتشكـر لـه ، على ذلـك ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله .

أقول : لا يخفى على العاقل ، انّ من وضع امام صلاته بهذا

الموضع ، وعامله ، معاملة السّفير الوافد المتكلّم عنه ،

مع الله بذل له كل الدنيا وروحه ويرى ذلك قليلا في جنب

الله جلّ جلاله فضلا عن الصّفاء والوفاء . . .

الفهرس